

البَابُ الثَّانِي

الخواص التركيبية للجمل
في رسالة الغفران

الفصل الأول

مدخل إلى دراسة الجمل في رسالة الغفران

أول ما يبدو بوضوح لدارس لغة رسالة الغفران هو ما في الجمل والتراكيب من امتداد داخلي يتعب القارئ، حتى يكاد يضيع عليه المعنى، فيرغمه أحياناً على إعادة قراءة الجملة أكثر من مرة، ولكي لا نتخذ، اعتباطياً، من هذا الانطباع قاعدة، قمنا باستبار، فجمعنا عدداً من آراء أساتذة اللغة العربية بالمشرق والمغرب^(١)، حول نصوص من رسالة الغفران، كانت النتيجة أن آراءهم تكاد تتفق على تعقيد لغتها، فالقارئ ولو تمكن من تذليل الصعوبات التي ترجع إلى الحشد الهائل من الألفاظ الغريبة، والشواهد وأسماء الأعلام والإشارات التاريخية، لن يصل بسهولة إلى فهم مبين لمضامين الجمل وال فقرات. إن عائقاً قوياً يقف دون ذلك، إنه التراكيب اللغوية ذات البنيات المختلفة المتداخلة التي تتطلب من القارئ بذل جهد أكثر مما يبذله مع أى نص آخر.

يمكن أن نرجع صعوبة الغفران إلى الإطار الذي وضع فيه أبو العلاء أفكاره، ذلك الإطار الذي يبرز شخصية المؤلف لما تتميز به من إغراقه العميق في خيالات تخلع على النص ثوباً من الغموض والتعقيد، فصعوبة النص ترجع بالدرجة الأولى إلى ما فيه من استطرادات طويلة تعترض طرفي الجملة الرئيسية. يبدأ المعرى الحكم ثم يستطرد إلى كلام طويل يبلغ أحياناً اثني عشر سطراً، وأحياناً أكثر من ذلك قبل أن ينهي الحكم الأول. وهذا ما يؤدي في بعض المرات إلى ضياع الطرف الآخر للجملة، أو نسيانه في زحام العبارات المستطردة.

(١) من بين من لجأنا إلى الاستشارة بأرائهم الأساتذة: محمد السعيد بدوي رئيس قسم اللغات بالجامعة الأمريكية (القاهرة)، شوقي أمين عضو في مجمع اللغة العربية (القاهرة)، وعبد الرحمن الحاج صالح مدير معهد اللسانيات (الجزائر)، ومحمود الربداوي أستاذ بكلية الآداب، (دمشق).

فهل مرد ذلك إلى عاهة العمى التي لم تكن تسمح له بالكتابة؟ فأبو العلاء كان يملى، ولا يكتب، ولا شك أن خصائص اللغة المملأة تختلف كثيراً عن خصائص اللغة المكتوبة. وإن لم يكن الاختلاف بينهما من نوع الاختلاف القائم بين اللغة المكتوبة واللغة المتكلمة فهاتان الأخيرتان، كما يرى (فندريس)، لا تختلطان أبداً: «اللغة المكتوبة هي الطابع المميز للغات المشتركة. واللغة المشتركة، بطبيعتها، في نزاع دائم مع اللغة المتكلمة، لأن هذه الأخيرة تخضع للتأثيرات الفردية، وتميل دائماً إلى الابتعاد عن المثل الأعلى الذي تحتذيه اللغة المشتركة. واللغة المكتوبة معرضة، بدورها، لضربات اللغة المتكلمة، لأن اللغة المشتركة تعتمد في مقاومتها على الكتابة، أولاً وقبل كل شيء. ومن جهة أخرى، تستعمل الكتابة في التعبير عن كثير من اللغات الخاصة، بل لا وجود لبعض هذه اللغات الخاصة إلا في صورة مكتوبة، ولهذا الاعتبار، أيضاً كان الخلاف بين الكلام والكتابة أمراً مقررًا ثابتاً»^(١).

حقاً كان أبو العلاء يملى لكنه كان يعلم أن ما يمليه يكتب بيد يستعيرها. فليس ما يمليه لغة متكلمة، وإنما لغة منطوقة في نية الكتابة، فكان ولا شك يتحرى اختيار ما يلائم لغة الكتابة. وبالرغم من ذلك فإن عدم تقيده بالكتابة يرمى به في الانسياب مع الإملاء والانفلات من قيود صور الحروف والكلمات، بل يستمر منطلقاً فيضيع منه جزء أساسي من الجملة.

ولنضرب مثلاً ليتجلى مصداق ما قدمناه. يقول أبو العلاء في وصف أنهار الجنة التي أعدت لابن القارح:

«وفي تلك الأنهار، أوإن على هيئة الطير السابحة، والغانية عن الماء السائحة، فمنها ما هو على صور الكراكي، وأخر تُشاكلُ المكاكي، وعلى خلق طواويس وبط، فبعض في الجارية، وبعض في الشط، ينبع من أفواها شراب، كأنه من الرقة سراب، لو جرع جرعة منه «الحكمي»^(٢) لحكم أنه الفوز القدمي، وشهد له

(١) انظر: ج فندريس اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص ٤٠٥، القاهرة، مكتبة الأنجلو،

١٩٥٠.

(٢) الحكمي: أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر العباسي.

كُلُّ وُصَافِ الخَمْرِ، من مُخَدِّثٍ في الزَمَنِ وَعَتِيقِ الأَمْرِ، أنَّ أصْنَافَ الأشْرَبَةِ المنسوبة إلى الدارِ الفانيَةِ، كخَمِرِ «عانة» و«أذرعَات» وهي مِظَنَّةٌ لِلنُّعَاتِ، و«غزّة»، و«بيتِ راس» و«الفِلَسْطِيَّة» ذوات الأَحْرَاسِ، وما جُلِبَ من «بُصْرَى» في الوَسْوَاقِ، تُبَغَى به المِرابِحَةُ عند سُوقِ، وما ذَخَرَهُ «ابنُ بُجْرَةَ» بـ «وَجَّ» واعتمد به أوقاتِ الحَجِّ، قبل أن تُحَرَّمَ على الناسِ القهواتُ، وتَحَطَّرَ لَخُوفِ اللَّهِ الشَّهواتُ.

قال «أبو ذؤيب»^(١):

ولو أن ما عند «ابنِ بُجْرَةَ» عندها من الخمرِ، لم تَبْلُلْ لهاي بناطل
وما اعتصر بـ «صرخد» أو أرض «شيام» لكل ملك غير عِمام^(٢) وما تردد ذكره
من كميت «بَابِلَ» و«صَرِيْفِينَ» واتَّخَذَ للأشْرَافِ المُنيْفِينَ، وما عَمِلَ من أجناس
المسكراتِ، مَفْوَقاتٍ للشاربِ ومُوكَّرَاتِ، كالجمعة، والبِتْعِ، والمِزْرِ، والسكركة
ذاتِ الوِزْرِ، وما وُلِدَ من النخيلِ لكَرِيمٍ يُعْتَرَفُ أو بَخِيلِ، وما صُنِعَ في أيامِ «آدَمَ»
و«شِيثَ» إلى يومِ المبعثِ من مُعَجَّلٍ أو مكِيثِ. إذ كانت تلكِ النُظْفَةُ مِلْكَةً،
لا تَصْلُحُ أن تكونَ برعاياها مُشْتَبِكَةً^(٣).

وردت في هذه الفقرة أن واسمها: «أن أصناف الأشربة» ولم يتبين لنا خبرها،
فعرضنا النص على بعض المختصين في اللغة للاسترشاد بأرائهم، فكان موقفهم
منه لا يخلو من استغراب وحيرة بل اختلاف، ويمكننا أن نلخص آراءهم في موقفين
مختلفين، أحدهما للأستاذ عباس حسن^(٤) الذي يرى أن الخبر ضاع من أبي العلاء،
والآخر للأستاذ عبد الوهاب التازي^(٥) الذي يرى أن الخبر هو الجملة «إذا كانت
تلك النطفة . . .» وعلى فرض أننا نأخذ بالرأى الثاني فإن هذا لا يزيل ما تتميز به
الجملة العلائقية من طول نفس، كما قلنا، فقد فصل بين طرفي الجملة، المسند
والمسند إليه، اثنا عشر معطوفاً مفرداً، منها سبعة معطوفات، عبارة عن اسم

(١) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم فحل.

(٢) العمام: الغليظ الخلفة في حق.

(٣) انظر: رسالة الغفران، ص ١٤٩، إلى ١٥٣.

(٤) عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٥) أستاذ فقه اللغة وعميد كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بن فاس.

موصول، هو «ما» ولكل منها جملة صلة، وجملة أو أكثر حال من الموصول، بالإضافة إلى الاستشهاد ببيت شعر لأبي ذؤيب، في معرض الحديث عن تحريم الخمر، كل ذلك قبل أن يصل المعرى إلى ما يُظن أنه «مسند» إذ لا يخلو موقع الجملة: «إذ كانت تلك النطفة ملكة لا تصلح أن تكون برعاياها مشتبكة» من غموض واضطراب.

هكذا، يؤدي الاستطراد إلى تداخل القول، خصوصاً حين يعتمد أبو العلاء إلى شرح المفردات ثم الاستشهاد على ما شرحه من الألفاظ.

لنأخذ مثلاً آخر على استطراد المعرى، هو تعرضه لشرح لفظة «المحظلة» واستشهاده لذلك بقول للمعرب، وشعر لأحد الرجاز، قبل أن يعود إلى سياق حديثه، أى إلى وصف غسل الجنة، يقول:

«ولو خالط منا^(١) من غسل الجنان، ما خلقه الله سبحانه في هذه الدار الخادعة، كالصاب، والمقر، والسَّلْع والجَعْدَة، والشَّيْح، والهَبِيد، لعادَ ذلك كلُّه وغيره من المعقبات، يُعدُّ من اللذائذ المرتقيات، فأض ما كره من الصَّاب، كأنه المعتصر من المصاب. والمصاب: قصب السكر. وأمسي (لحجج، وكأنه المتخذ بالأهواز، إلا يكن السكر، فإنه مُوازٍ، ولصارت الراعية في الإبل، إذا وجدت الحنظلة، أُحْفَت بها السيدة المحظلة، وهى التى تعظُم عليها الغيرة، من قولهم: حَظَل نساءه، إذا أفرط في الغيرة عليهن، قال الرجاز:

ولا ترى بعلاً ولا حلائلاً كهُ، ولا كهُنَّ إلا حائلاً

وانقطعت معاشُ أربابِ القصبِ في ساحل البحر، وصُنِع من المرِّ الفالوذُ
المُحكَّم بلا سِحْرِ، أى بلا خَدَع^(٢).

وكثيراً ما يبدأ أبو العلاء الجملة، ثم يستطرِد إلى غيرها، في نحو ثلاثة أسطر،

(١) أبو العلاء هنا يستأنف حديثه عن غسل الجنة بعد أن قطعه استطراداً بحكاية بيتي «النمر» والتفريع عليها خلال

إحدى عشرة صفحة من ص ١٥٣ إلى ١٦٤.

النا: كيل يكال به السمن وغيره.

(٢) رسالة الغفران من ص ١٦٤-١٦٥.

قبل أن يصل إلى نهايتها من ذلك قوله :

« . . . فيهتف هاتفٌ :

أشعرُ أيها العبدُ المغفورُ لهُ، لمن هذا الشعرُ؟

فيقول الشيخُ :

نعم، حَدَّثَنَا أَهْلُ ثِقَاتِنَا عَنْ أَهْلِ ثِقَاتِهِمْ، يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، حَتَّى يَصْلُوهُ بِأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ^(١)، فَيُرْوِيهِ لَهُمْ عَنْ أَشْيَاحِ الْعَرَبِ، حَرَشَةَ الضَّبَابِ فِي الْبِلَادِ الْكَلْدَاتِ وَجُنَاةِ الْكَمَاءِ^(٢) فِي مَغَانِي الْبُدَاةِ، الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا شِيرَارَ الْأَلْبَانِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا الثَّمَرَ فِي الثَّبَانِ، أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِمَيْمُونِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلٍ، أَخِي بَنِي رَبِيعَةَ ابْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ^(٣).

وقد تأتي الجملة فلا ندرى أمعطوفة هي على ما قبلها أم مقطوعة عنه، مثلاً، قوله في نص سقناه سابقاً :

« ينبع من أفواهما (أواني أنهار الجنة) شرابٌ كأنه من الرقة سَرَابٌ، لو جَرَعَ جُرْعَةً مِنْهُ « الْحَكْمِيُّ » لِحُكْمِ أَنَّهُ الْفَوْزُ الْقَدِيمِيُّ، وَشَهِدَ لَهُ كُلُّ وَصَافِ الْخَمْرِ مِنْ مُحَدِّثِ فِي الزَّمَنِ وَعَتِيقِ الْأَمْرِ^(٤).

إننا نظل حيارى أمام جملة « وشهد له كل . . . » فهل هي معطوفة أم مستأنفة؟

وإذا كانت معطوفة، فعلام عطفها؟، أعلى جملة « لحكم أنه . . . » أم على

سواها؟

ولا شك أن هذا يمزق الفكرة ويفسد وحدة الموضوع، ويعبث بنظم الأسلوب، مما يشتت ذهن القارئ، ويلجئه إلى بذل أقصى جهد في متابعة الموضوع، وربط أجزائه بعضها ببعض.

(١) العالم المشهور في القراءة واللغة توفي سنة ١٥٤ هـ.

(٢) الكماء: جمع كمء وقيل اسم جمع، نبات يوجد تحت الأرض لاساق له ولا عروق، لونه يميل إلى الغبرة.

(٣) رسالة الغفران من ص ١٧٦-١٧٧.

(٤) رسالة الغفران ص ١٤٩.

ورغم كل شيء، فإن القارئ المتفقه الذى يقبل القيام بالجهد اللازم، سيعجب برسالة الغفران، مصارعاً العوائق، مثله كمثل «الْبَيْ»^(١) يتحمل الأخطار وهو يتسلق الجبال لأنه يتصور، مسبقاً، أن بعد الصعوبات لذة الفوز بمتعة الوصول إلى القمة. حقاً، وراء صعوبات لغة رسالة الغفران، جاذبية خاصة، شيء ما يفرضها كرائعة من روائع الآداب العربية، فمن المفروض لمن يريد اصطلياد الحجل أن يتسلح بالبندقية وبالصبر... وعلى القارئ ألا يقف عند مشكلة الأشكال اللغوية، كما يفعل المناطقة الأرسطيون الذين يهتمون بصورة القياس على حساب مضمون النتيجة. عليه أن يذهب إلى أبعد، إلى الشيء السحري الكامن في «الغفران» فكما يقول محمد كامل حسين:

«أسلوب أبي العلاء شعراً ونثراً، فيه كل ما نعيه على غيره... وفيه كل ما ينبو عنه الذوق الحديث: في سجعه تكلف بالغ، وصنعة واضحة، وإغراب وشطط، وفي معانيه تكرار كثير، وله تشبيهات غامضة ملتوية واستعارات بعيدة، وكثيراً ما يكون فيه إسراف في إظهار علمه باللغة، فترى فيه كثيراً من الغريب الذى لم يقصد به إلا غرابته، ولا يستساغ ذلك عند غير أبي العلاء، ولأمر ما نرانا نقبل منه ما لا نقبل من غيره. بل إننا لنقرأ أدب غيره من ذوى الأسلوب الجميل والتشبيهات الجيدة والاستعارات البراقة فلا يثير فينا أدهم الجميل إلا الملل، وهو ما لا نشعر بشيء منه في أدب أبي العلاء حتى حين يكون خلواً من الجمال المألوف»^(٢).

ويؤكد كامل حسين خلو أسلوب أبي العلاء من الجمال قائلاً:

«لا يرجع تعلقنا به إلى أسلوبه، فأسلوبه ليس جميلاً»^(٣).

فما السبب في تعلقنا بأدب أبي العلاء، بالرغم مما نعانيه ونحن نستقرئ نصوصه الممتعة؟

واضح، كما قلنا سابقاً، أن ما يميز لغة الغفران إنما يرجع إلى طبيعة الإملاء،

(١) Alpiniste وهو الذى يتسلق جبال «الألب» وأصبحت الكلمة تطلق على كل من له هواية تسلق الجبال العالية.

(٢) البحوث والمحاضرات، مجمع اللغة العربية، ص ٢٧، القاهرة، ١٩٦٠-١٩٦١.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٩.

فاللغة المملأة بمختلف، حتماً، عن اللغة المكتوبة. ولعل إعجابنا بهذا الأدب يرجع إلى « ما وراء » النص، إلى البنيات الخاصة بلغة هي « لغة المعرى » الأعمى والفنان الفيلسوف. إن لها صفات خصوصية وأخرى مشتركة، بها يقاس الأدب العالى.

ما هي تلك البنيات الخاصة؟

في رسالة الغفران قوة غير مرئية (خارج اللغة، تظهر باللغة، بالرغم من صعوبة اللغة)، فيها تكمن براعة أبي العلاء الأدبية. مثلها كمثل القوة المغناطيسية تجذب ولا ترى. كلنا يعرف أن العلوم الطبيعية نفسها تثبت - من بين المسلمات - وجود قوى غير مرئية. حقاً، إن أناقة الأسلوب وسهولة اللغة، ليكونان سحر البيان الذى تنبنى عليه قوة التعبير، وهى الميزة الأساسية لكل أدب، بها يبلغ أحسن المراتب، وبها تتحقق القيم الاتباعية التى تضمن له الخلود.

فالجانب الطريف، فى كل لسان، هو أن يسمح لأى فرد أن يتكلم، وأن يختلف كلامه عن كلام الآخرين، ومع ذلك يحصل تفاهم، كما أن الألسنة تسمح لكل متكلم وصل حدًا ما من إتقان التراكيب والقدرة على استساغتها، بأن يجعل من كلامه أسلوباً يميزه، دون أن يخرج عن اللسان وأسنه المتفق عليها^(١). فلغة المعرى ليست لغة ابن المقفع، وإن كانتا معاً من صميم اللسان العربى. ومرجع هذه الظاهرة إلى ما فى اللسان من قوة خلاقية، أو ما يعبر عنه شومسكى «بالقدرة على الإبداع» (La créativité).

إن طبيعة اللغة متصلة بطبيعة المتكلم، بقدر ما هى نابعة عن النظام التركيبى الخاص بهذا اللسان أو بذاك. من هنا، يمكننا أن نؤكد أن لغة أبى العلاء هى نتيجة تلاق بين عبقرية العربية كلسان مع مواهبه الخاصة وتطلعاته. فلا يستغل

(١) «الكلام» (Parole) شخصى، أى عمل تعبيرى فردى، إنه غير «اللسان» (Langue) الذى هو نسق مجتمعى، ضمنه ينظم الكلام، فبدون خضوع الكلام لمعايير اللغة، لا يتم التواصل بين المتكلمين، وحينها يصبح الكلام موضوعاً للتفكير العلمى، يسمى «لغة» (Language).

إن اللغة تتعدى ما هو خاص فردى، إنها القانون العام الذى يهيمن على مجموع الألسنة. أما اللسان فمحدد زمانياً، ومكانياً لما يدخل فيه المتكلمون من «اختراعات» شخصية. فى حين تظل اللغة هى الظاهرة الكبرى التى لا تتغير بتغير الأفراد.

القدرة على الإبداع اللغوى، إلا من كان مهيمًا لاستثمار إمكاناته الشخصية، بالإضافة إلى تمكن تام من قواعد اللغة وضوابطها. فلغة المعرى (أى أسلوبه فى الحديث الملفوظ والمقروء) اختراع شخصى مستمر داخل إطار ما. ومدى الاختراع الشخصى فى اللغة أوسع مما يمكن أن نتخيل، فكما يقول (شومسكى) أنه من المؤكد:

«أن عدد الجمل التى يمكن الفرد أن يفهمها مباشرة فى لسانه القومى دون الشعور بأية صعوبة أو أية غرابة، لا يخطر على بال»^(١).

وبالفعل، إن النماذج الكلامية الممكنة تفوق، كما قيل، عدد الثوانى التى مر بها تاريخ اللغات الإنسانية. لأن الكلام ضمنيًا، لا تنتهى إمكاناته. فالفكر المبدع يلعب على الدوام، بالبنيات الموجودة، وبهذا الاستغلال يثرى اللغة بينيات جديدة، تميز لغة كاتب عن لغة كاتب آخرين.

بهذا الصدد، نطرح سؤالًا ملحقًا، وهو:

أين نضع رسالة الغفران بالنسبة للسان العربى؟

هل فى مستوى لغة مؤلفة مكتوبة، باعتبار النص الذى بين أيدينا؟

أم فى مستوى كلام، باعتبارها، عمليًا، منظوقة، مملأة؟

يبدولنا أن الرسالة نوع خاص يجمع بين مميزات الكلام الممل، وبين خصائص اللغة المكتوبة.

بالرسالة استطرادات أدت إلى فلتات مخلتة بتقنية التركيب العربى السليم، كما بيناه سابقًا. وتبدو، واضحة، أيضًا، هلهلة المنهجية التى سار عليها أبو العلاء، ولا شك أن ذلك ناتج عن ارتجال المؤلف لكثير من الفقرات.

ومن أبرز مظاهر الفوضى، فى المنهج والانساق مع الارتجال، أن المعرى كان يتذرع بأوهى الأسباب ليبيث فى تضاعيف الرسالة أكثر ما يمكن من القصص والانتقادات والشروح، مما قد يكون فى كثير من الأحوال، بعيد الصلة بالموضوع

الذى يطرقه، فلنتأمل حوار ابن القارح مع أبي هدرش^(١).

يطرح أبو العلاء قضايا تتعلق بالأشعار المنسوبة إلى الجن وأخرى لها اتصال بماهية الجن وماهية آدم، وما اختص به كل منهما، وإذا به ينتقل، فجأة، ليقص على لسان الجن إحدى مغامرات هذا الأخير مع بنى آدم، ثم يذيلها بقصيدة رائعة. إثر ذلك، ينتقل أبو العلاء إلى حديث عن الرجم، ويتبعه بقصيدة في الموضوع تتألف من ستة وستين بيتاً، يسوقها على لسان الجن^(٢). هكذا نتعد شاعرية أبي العلاء عن الكتابة المنهجية، وتتغلب ذاكرته الجبارة على الالتزام بوحدة الموضوع كما تفرضه العقلانية.

وبالمناسبة نذكرُ بحديث أبي العلاء عن دنانير سرقَت من ابن القارح : بعد أن يستقصى كثيراً مما له اتصال بلفظ «دنانير» يفاجئنا باستطراد طويل عن لفظتي «ثمانين» و«سبعين» لمجرد افتراضه أن عدد دنانير ابن القارح قد يفوق الثمانين^(٣).

إن رسالة الغفران لتزخر بمثل هذه الوثبات التي تخلق، حتماً، شبه «فوضى منهجية». وقد كان بإمكان أبي العلاء أن يتلافها لو كان يعيد قراءة ما يكتب، ويشطب ما لا محل له في السياق، ويقدم ويؤخر ما يقتضى ذلك. رغم هذا، إننا متيقنون أنه راجع ما أملاه قبل أن تودع الرسالة «المعزل» العلائى، إلا أنه قام بمراجعة ربما وحيدة، وقطعاً مراجعة سمعية لا بصرية، إذ لم تكن عاهة العمى لتتيح المجال للبصر كى يتضامن مع القلم فيعملا على المزيد من التنظيم. أليس «القلم لسان اليد» كما يقول ابن القارح^(٤) : أليس أبو العلاء «مستطيع بغيره»، كما يقول عن نفسه^(٥).

ولكى يكون ما قدمناه ملموساً، نسوق نصاً مقتطفاً من الرسالة يصور كيف ينجر أبو العلاء مع الحديث عن شيء إلى استقصاء مختلف معانيه، ومن الحديث

(١) أبو هدرش : جنى صادفه ابن القارح في جنة الغفارت.

(٢) انظر: رسالة الغفران من ص ٢٩١ إلى ٣٠٤.

(٣) انظر: رسالة الغفران ص ٥٧١.

(٤) انظر: رسالة الغفران ص ٦٢.

(٥) الرسالة، ص ٥٨٣.

عن لفظة إلى الحديث عن ضدها، فمقابل ضدها... فمثلا من حديث عن «السواد» وما له به أدنى اتصال لفظي أو معنوي، ينتقل أبو العلاء إلى الحديث عن «البياض» كما تقدم أن أشرنا إليه. ثم يندفع من «بياض» إلى «الأبيضين» (= اللبن والماء)، وإلى غير ذلك من المعاني الخاصة بالبياض، وهو مفهوم ساقه عرضاً، إذ لم يكن يقصده أولاً، وإنما انساق إليه بطريق تداعى المعاني، ومرة أخرى، ينزلق المعرى من لفظ «الأبيضين» إلى ألفاظ أخرى جانبية، لم تكن لتخطر على بال القارئ، فعندما يذكر صيغة المثني: «الأبيضين»، يتذكر «الأحامرة» و«الأحمرين». يقول مخاطباً ابن القارح:

«... وأن في منزلي لأسود^(١) هو أعزُّ عليَّ من عنترَةَ على «زبيبة» (...). وحضر^(٢) (الأسود) في ناد حضرهُ الأسودان اللذان هما الهنمُ والماء، والحرَّة الغابرةُ والظلماءُ. وإنه لَيَنفِرُ عن الأبييضين، إذا كانا في الرَّهَج^(٣) مُعرَّضين. الأبيضان اللذان ينفِرُ منهما: سيفان، أو سيفٌ وسنانٌ، ويصبرُ عليهما إذا وجدتهما. قال الراجز:

الأبيضان أبدا عظامي الماء والفت بلا إدام.

ويرتاح إليهما في قول الآخر:

ولكنه يمضي لى الحول كلُّه ومالى إلا الأبيضين شرابُ

فأما الأبيضان اللذان هما شحمٌ وشباب، فإنما تفرحُ بهما الربابُ، وقد يبتهجُ بهما عند غيري، فأما أنا فقيسًا من خيرى. وكذلك الأحامرة والأحمران^(٤)، يعجبُ لها أسودُ رانٍ، فيتبعه حليفُ سترٍ، ما نزل به حادثُ هترٍ^(٥).

(١) يقصد أبو العلاء بـ «أسود» قلبه.

(٢) يذكر أبو العلاء بعض الأشخاص ممن سموا بأسود، مثل «أبي الأسود الدؤلى»، و«الأسودان» بصيغة المثني، وإن كان يطلق على رجل واحد، هو نبهان بن عمرو بن طيء، وقد أحصينا أربعة عشر شخصاً ممن يحملون هذا الاسم، وذكرهم أبو العلاء بهذا الصدد. ولطول النص، نحيل على رسالة الغفران، من ص ١٣٣ إلى ص ١٣٨.

(٣) الرهج: بسكون الهاء وفتحها، الغبار.

(٤) الأحمران: الخمر واللحم. والأحامرة (بصيغة الجمع): الخمر واللحم والخلوق، وهو نوع من الطيب.

(٥) الرسالة: انظر من ص ١٣٢ إلى ١٣٩.

أترى صنيع أبي العلاء إلى أين يَصِل؟

إن استطراداته تطول جدًا لأنه يحيط بأطراف الموضوع الفرعى، الهامشى، ولا يكتفى بذلك، بل كل استطراد يسلمه، بتلقائية أحياناً، وبتكلف، أحياناً أخرى، إلى استطراد آخر، فأخر.

لعل التزام أبي العلاء بالسجع، كان له أيضاً الأثر الكبير في ذلك، ولعمري إن إتقان السجع خاصية لا تتوفر إلا لمن يحظى بذخيرة لغوية تمكنه من إشباع التعلق بالصنعة والتنميق، فقد شغف المعري بتحدى منافسيه وخصومه، لا يشعر بإحراج في إحراجهم «لزوم ما لا يلزم». فالاستطرادات، في الرسالة، تردد صدئ لرغبة في أعماقه، أنها إبراز الثروة اللغوية الهائلة التي يفخر بها والتي تعكس شخصيته كلغوى مشهور، وأستاذ يُؤم.

ومن هنا نعود لنؤكد ما قلناه: أين نضع رسالة الغفران، ضمن نظام الكلام أم ضمن نظام اللغة العربية؟

لقد أجبنا بأنه أسلوب يجمع بين خصائص كل من المستويين. غير أنه بالرغم من كل شيء، إن الظواهر الكلامية تظل نادرة إذا قيست بمميزات رسالة الغفران، باعتبارها أثرًا «لغويًا» و«أدبًا فنيًا» مسطورًا، حرر طبقًا لتقنية التأليف اللغوى الراقى. حقًا، كان أبو العلاء يميل، ولكن إملاءاته تأتي بعد أن اختمرت في ذهنه، إنه إملاء بعد تأمل سابق، منسق.

وعندما كان المعري يميل، كان «يتكلم» طبقًا للغة، أى: «لمعايير تراعى». إن اللغة، بالنسبة لكل متكلم: «ميزان حركة ووسيلة حياة في المجتمع»^(١). ففي فترة اختمار ما سيملى، كان ذهنُ أبي العلاء منشغلا بالقوالب التي سيفرغ

(١) تمام حسان، اللغة العربية، مبناها ومعناها، ص ٣٢، القاهرة ١٩٧٣، انظر كذلك كتابيه مناهج البحث في اللغة واللغة بين المعيارية والوصفية.

فيها المعاني طبقاً لمقاييس اللغة العربية، أى لأنماط معيارية مشتركة سابقة عن الكلام.

ألم يُرْم أبو العلاء، بالإضافة إلى إبداع قصة سهاوية، كتابة رسالة في اللغة والأدب تحديثاً لمراسلة، ابن القارح؟

ألم يكن على علم بأن رسالته الكبيرة الحجم المتنوعة المعاني ستسير في المجالس الأدبية واللغوية، في المعرة وحلب وغيرهما من المراكز الثقافية المزدهرة آنذاك؟

ألم يكن المعري على علم بأن له خصوصاً يتربصون به الهفوات، وهو المتضلع في اللغة، المعتر بقيمته وسعة اطلاعه؟

إذا كان الأمر كذلك، فلم لا يعمل صاحبنا جاهداً على أن تأتى الغفران في قمة الآثار الأدبية، وأن تتبوأ أعلى مستويات اللغة، تراكيباً وألفاظاً؟

هكذا جاءت الرسالة تعكس شخص أبي العلاء كأعمى يملئ، وكلغوى ماهر بيرع في الاستعمالات الجيدة، ويعرض مقدرته في الاطلاع الواسع على المترادفات والألفاظ الغريبة، فجمعت بين فنية الإطار السامى الروائى، وبين سلامة البنيات اللغوية رغم الارتجال ورغم الشكل الروائى الذى يميزها.

تحتل الرسالة، إذن، موقعاً خاصاً بين الكلام وبين اللغة، فلا يخرج «كلام» المعري عن كونه عملاً حدوده اللغة، فبرغم ما يوجد من اختلاف بين خصائص اللغة والكلام، كما يؤكد فندريس فيما سقناه سابقاً، فإن الصلة تظل وثيقة بينهما. فالكلام كما يرى الأستاذ تمام حسان «سلوك واللغة معايير هذا السلوك. والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة. والكلام يحس بالسمع نطقاً، والبصر كتابة. واللغة تفهم بالتأمل في الكلام. فالذى نقوله أو نكتبه كلام، والذى نقول بحسبه ونكتب بحسبه، هو اللغة. فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه

اللغة والمعجم ونحوها»^(١).

هكذا تمتزج في أسلوب الرسالة خصائص الكلام بخصائص اللغة ولذلك امتازت التراكيب العلائقية بطابع خاص، طابع الامتداد الداخلى.

إن عاهة العمى، حسب ما يقول علماء النفس، تقوى الذهن وتشحذه، فلا يحول دون الأعمى، كما هو الأمر بالنسبة للمبصر، مشهد يلفت نظره، فيقطع عليه الانسياب في ما هو منشغل به فكرياً، ذلك الانسياب الذى يصاحبه، حتماً، امتداد في التراكيب المعبرة.

فلنقرأ صفحة أو صفحات من مؤلفات طه حسين، مثلاً، ألا تبرز ظاهرة الجمل الطويلة فيها واضحة؟ بيد أن الأسلوب العلائقى يظل ذا ميزة لا نجد لها في أسلوب طه حسين وهى الالتزام المفرط بالإيقاع المعتمد على تداخل التراكيب والألفاظ الغريبة.

ولا غرابة في ذلك؛ فأبو العلاء كان شغوفاً بالموسيقى حتى إنه أقام في جنته، مجالس للغناء والطرب، وجمع لها أشهر المغنين والمغنيات^(٢)، وقدم لنا مشاهد لرقص الأوز على مختلف الألحان. فالمعرى، كان، يهوى الموسيقى ويتقن ضروبها^(٣). فكأنى به وهو يملئ رسالته، يهتز لسجع الألفاظ، وينفعل لتوقعات التراكيب. فجاءت لذلك جل تراكيب الرسالة، مهما كان عدد عناصرها، موقعة

(١) انظر: اللغة العربية: مبنائها ومعناها، ص ٣٢. إن التفرقة بين اللغة والكلام ناشئة عن فكرة اللغوى الفرنسى الرائد ديموسور الذى فرق بين مصطلحات ثلاثة وهى:

(أ) «Le langage» ويعنى به اللغة كظاهرة إنسانية عامة يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات.

(ب) «La langue» ويعنى بها اللغة المعينة كالعربية أو الفرنسية، مثلاً، ويقابلها في العربية مصطلح «اللسان» حسب اختيار الدكتور الأستاذ عبد الصبور شاهين (انظر كتابه: في علم اللغة العام، ص ٢٩ وما بعدها. ط ٢، القاهرة ١٩٧٧).

(ج) «Le Parole» وهو اللغة في مستوى الممارسة الفردية وتقابل مصطلح «الكلام» انظر:

(F. Saussure, cours de linguistique générale, Paris, 1960).

وهذا الصدد نشير إلى أنه إذا استخدمنا في هذا البحث «اللغة» في مقابل «الكلام» فإننا نعنى بها اللغة المعينة المقصودة بكلمة Langue.

(٢) انظر رسالة الغفران ص ٢٧٢.

(٣) انظر رسالة الغفران من ص ٢١٢ إلى ٢١٤. وانظر: كذلك، كتاب أبى العلاء، الفصول والغايات، حيث يتحدث في فقرات خاصة عن ضروب الموسيقى ومصطلحاتها.

تسير على أنغام مثيرة مانظن أبا العلاء قد أجهد نفسه لاتقانها.

إن ما يطبع أساليب الرسالة من قوة تدفق الألفاظ، وانسياب التعابير، ومرونة وصل الكلمات بعضها مع بعض، ليدل على تبحر أبي العلاء في أساليب اللغة وترويضه لها وامتلاكه لزماتها مما جعل الإملاء عنده من أعلى نماذج الكتابة عند المبصرين.

هكذا تظهر لغة المعرى (بالرغم من الصناعة) بعيدة عن التصنع الذى يتجلى عند الكثيرين من المغرمين بالصنعة.

فلنستمع إلى تعقيب أبي العلاء عن براعة «إوزة من أوز الجنة في الغناء :
«فَإِذَا تَيَقَّنَ [ابن القارح أن] لها حَذَاقَةٌ، وَعَرَفَ مِنْهَا بِالْعُودِ لَبَاقَةً، هَلَّلَ وَكَبَّرَ
وأطال حمدَ رَبِّهِ واعتَبَرَ، وقال :

وَيَحْكُ، أَلَمْ تَكُونِي السَّاعَةَ إِوْزَةً طَائِرَةً، وَاللَّهِ خَلَقَكَ مَهْدِيَّةً لَا حَاطِرَةَ؟ فَمِنْ أَيْنَ
لِكَ هَذَا الْعِلْمُ، كَأَنَّكَ لَجَذَلِ النَّفْسِ خِلْمٌ؟ لَوْ نَشَأَتْ بَيْنَ مَعْبُدٍ وَابْنِ سُرَيْجٍ، لَمَا
هَيَّبَتِ السَّامِعَ بِهَذَا الْهَيْجِ، فَكَيْفَ نَفَّضَتْ بَلَهُ إِوْزٌ، وَهَزَزَتْ إِلَى الطَّرْبِ أَشَدُّ
الهِزِّ؟»^(١).

إن ظاهرة الايقاع بين الجمل منتشرة جدًا، سواء في «فصل الرحلة» أو في
«فصل الرد على الأسئلة». وإنما كما يبدو، في النموذج السابق، تقوم على التزام
السجع، مهما كلف ذلك أبا العلاء من استعمال للغريب وشرحه.

فمثلا، من حرصه على التلاؤم، قوله «خِلْمٌ» التى تلائم لفظة «علم»،
و«سُرَيْجٍ» و«هَيْجٍ».

ولنستمع إلى نموذج آخر من الفصل الثانى من الرسالة :

«وأما أبو القَطِرَانِ الأَسَدِيُّ - وأبَى البَشْرِ مِنَ الخُطُوبِ مَفِيدَى - فصاحبُ غَزَلٍ
وتبطل، وتوفر على الخُرْدِ وتَعَطَّل. وما أشك أن الشيخ، - أقر الله عين الأدبِ

بالزيادة في عمره - أشد شوقاً إلى «أحمد بن يحيى»^(١)، مع صَمَمه، «وأبى الحسن الأثرم»^(٢)، مع ثَرَمه، من «المرار بن سعيد»، عند رجاء العدة وخوف الوعيد، وهو ذلك المتهيم إلى «وحشية» وإن فقد لبينها الحشية، وادكر ثغراً كالإغريض، وخذاً يعدل بلون الإحريض^(٣)، وإنما وُد الغانية خلابٌ وخذاع، وللكمدي في هَوَاهِ ابتداعٌ. ولو هَلَكَتْ تلك المرأة «المرار» يعيشُ لعداً أنه يتلّفها نعيشُ، لا سيّما بعد السنّ العالية، وقوة النفس الآلية. ولعل «أبا القطران» لو مُتّع بهذه المذكورة ما يكونُ قدره مائة حِقْبَةٍ، على غيرِ الجزع - والرّقبة، لجاز أن يعرّض من الوصال، إذا عَلِمَ أن حبله في اتصال. ولو نزل بها شيءٌ تتغيّر به عن العهد، لتمنى أن تُقذَف إلى غير المهدي، لأن ابن آدمَ بخيلٌ ملولٌ، تسرى به إلى المنيّة أمونٌ ذلولٌ، ولو أصابها العورُ، بعد أن سَكَنَ عينها الحورُ، لظن أن ذلك نبأ لا يُغفَرُ ولا يُكفَرُ، فكيف يُعتَبُ على الفاهين، ويتنقّم من القومِ الساهين؟ والله، سبحانه، قد رَفَعَ ذلك عن ساهٍ ما عَلِمَ، ونائم إذا أَحَسَّ بالموئم ألم»^(٤).

إن المعري «فنان» يحترم قواعد اللغة، نحواً و صرفاً وتركيباً، ولكنه يلتزم بالتعبير ذي النفس الطويل المتسلسل، وكأنه يريد أن يقنع ويبهر بتمكنه من اللغة، ويتحدى اللغويين والمعجميين ويعجزهم. يحترم أبو العلاء اللسان العربي، ويتجاوزهُ، متصرفاً خلاقاً، فهو يعتبر اللغة معرفة وصناعة، علماً وفناً: يأخذ بالمتفق عليه، بكيفية موضوعية كما هو حال العلماء أمام المعطيات الواقعية، ثم يتصرف كالفنان الذي يأخذ عن الطبيعة الألوان والظلال ليعطى لوحة فيها الطبيعة وفيها شيء آخر، شيء من ذاتيته هو. إننا نلمس طابع أبي العلاء في جميع مؤلفاته، وعلى رأسها الغفران، ذلك الطابع الذي يتجلى واضحاً في طريقة استعماله للكلمات، وكيفية رصفها، وفي تركيب الجمل ووزنها.

إذن، إن لغة المعري لغة عالم فنان، ورسالة الغفران كتاب كلاسيكي (اتباعى)

(١) تغلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة في عهده، توفي ببغداد سنة ٢٩١ هـ.

(٢) علي بن المغيرة الأثرم، عالم لغوى ونحوى، أخذ عنه تغلب، توفي سنة ٢٣٢ هـ.

(٣) الإحريض: العصفرة عامة، وقيل حب العصفرة.

(٤) انظر: الرسالة، ص ٣٩٦-٣٩٧.

من وجهتين، من جانب «علوم» اللغة، ومن الجانب الأدبي، وأعنى فنون القول حيث تتدخل المخيلة، والذوق، والتلميحات اللاذعة، وعنق التعبير، وحنان التعاطف.

إنها للذة كبرى نشعر بها ونحن نردد كثيراً من فقرات الرسالة ونعيش بين أحضان نسيجها الرائق. يقول أبو العلاء في وصف جارية بالجنة :

«فياخذُ [ابن القارح] سَفْرَجَلَةً، أو رُمانَةً، أو تُفاحَةً، أو ما شاء الله من الثمار، فيكسرُها، فتخرج منها جاريةٌ حوراءٌ عيناءٌ، تَبْرُقُ لِحْسِنِها حُورِيَّاتُ الجِنانِ، فتقول :

مَنْ أَنْتَ يا عَبْدَ اللهِ؟

فيقول :

أنا فلان ابن فلان.

فتقول :

إني أُمْنِيَّ بِلِقائِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ الدُّنيا بأربعةِ آلافِ سَنَةٍ.

فعند ذلك يَسْجُدُ إعْظَماً اللهُ القَدِيرَ ويقول :

هذا كما جاء في الحديثِ : «أَعَدَدْتُ لِعِبادِي المُؤمِنِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، بَلَّه ما أَطْلَعْتُهُم عليه»، وبله في مَعْنى : دَعُ وكَيْفَ.

ويخْطُرُ في نَفْسِهِ، وهو ساجدٌ، أن تلك الجارية على حُسْنِها ضاويةٌ، فيرْفَعُ رأسَهُ من السُّجودِ وقد صار من ورائها رِدْفٌ يُضاهي كُتبانَ «عالج» وأنقاءَ الدُّهْناءِ وأرْملةَ يَيرينَ وبنى سَعْدِ، فيُهالُ من قُدْرَةِ اللهِ اللطيفِ الخبيرِ، ويقول :

يا رازِقَ المِشْرِقةِ سَنَها، ومبْلِغِ السائِلَةِ مُناها، والذي فَعَلَ ما أَعْجَزَ وهالَ ودَعَا إلى الحِلْمِ الجُهَّالِ، أَسأَلُكَ أن تَقْصِرَ بُوْصَ هذه الحُورِيَّةِ على ميلٍ في ميلٍ، فقد جازَ بها قَدْرَكَ حدَّ التَّامِيلِ، فيقال له :

أنت مخيرٌ في تكوينِ هذه الجاريةِ كما تشاء، فَيَقْتَصِرُ من ذلك على الإرادة»^(١).
ونلاحظ، كذلك ظاهرة السخرية في الأسلوب العلائى وقد امتزجت بتلميحات
لاذعة في مشهد شجار الأعشى مع نابغة بنى جعدة، بالجنان^(٢).

* * *

يصف بعضهم الشاعر المجيد بأنه «ذو نفس شعري طويل». وبما أن جمل أبي
العلاء مترامية الأطراف، قد يجوز أن نصف المعرى بأنه «ذو نفس تركيبى
طويل». فإذا كان غيره يكتبى، مثلاً، بالنعت المفرد فهو تروقه الجمل الوصفية
المتالية، مثل ما نجده في النص التالى. يقول:

«وأجمع مُلِحِدٌ ومُهْتَدٍ، وناكبٌ عن المحجّة ومُقْتَدٍ، أن هذا (الكتاب) الذى جاء
به «محمد»، ﷺ، كتابٌ بهر بالإعجاز، ولقى عَدُوّه بالإرجاز»^(٣)، ما حذى على
مثالٍ ولا أشبه غَرِيبَ الأمثالِ، ما هو من القصيد الموزون، ولا الرجز من سهل
وحزون. ولا شاكلِ خِطابةِ العرب، ولا سجعِ الكهنة ذوى الأرب. وجاء
كالشمس اللاتحة نوراً للمسرة والبائحة؛ لو فهمه الهضْبُ الرائدُ لتصدّع، أو
الوعولُ المعصمةُ لراق الفادرة والصدع «وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون»! وإن الآية منه أو بعض الآية، لتعترضُ فى أفصحِ كليمٍ يقدر عليه
المخلوقون، فتكونُ فيه كالشهاب المتلألئِ فى جنحِ عَسَقِ والزهرَةِ الباديةِ فى
جُدوبِ ذاتِ نَسَقِ»^(٤).

هكذا تتعدد الجمل الوصفية للموصوف الواحد، وسنعود إلى دراسة هذه
الظاهرة بتفصيل، فى مكان آخر.

كذلك، إذا كان من الكتاب من يميل إلى الحال المفردة، فأبو العلاء يابى إلا أن
تكون «الحال» جملة أو جملاً على العموم، يقول:

(١) انظر: الرسالة، من ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) انظر: رسالة الغفران، من ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٤.

(٣) الرجز: ارتعاد يصيب البعير أو الناقة فيعجزها عن القيام.

(٤) انظر: رسالة الغفران من ص ٤٧٢ إلى ص ٤٧٣.

«إنه المسكين قال هذه الآيات، وبنو آدم في دار المحن والبلاء، يقبضون من الشدائد على السلاء^(١)، والوالدة تخاف المنيّة على الولد، ولا يزال رُعبها في الخلد، والفقر يرهب ويتقى، والمال يُطلبُ ويُستبقي، والشعبُ موجودٌ والظُّمأُ، والكمّةُ معروفٌ والكماء^(٢)، ولم يكفّف للغيرِ عنانٌ، ولا سُكنت بالعفو الجنانُ»^(٣).

هكذا تتوالى جمل الحال معطوفاً بعضها على بعض.

وكل هذه القيود أو المكملات، تتكرر في صورة المفرد وفي صورة الجمل، ويتولد بعضها عن بعض، فتتمدد بذلك الجمل والتراكيب عنده.

من هنا، نؤكد أن التراكيب العلائقية جديرة بأن تدرس، ولن تتم هذه الدراسة، إلا إذا حددنا مفهوم الجملة وحصرنا أقسامها لنرى أي أنواع الجمل يكثر استعماله عند أبي العلاء، وما السر في تفضيله لبعض الأنواع، إلى غير ذلك مما سنراه في موضعه.

(١) السلاء: بالضم شوك النخل، واحدته سلاءة.

(٢) كمىء يكما: حفى، كمثل اليد من البرد أو العمل، تشققت فصارت كالكماء.

(٣) انظر: رسالة الغفران ص ٢٢٥-٢٢٦.

ما الجملة؟

نعنى بدراسة التراكيب إبراز خواصها. أى إحصاء مجموعة من الظاهرات التى يتميز بها البناء الداخلى للجملة، من حيث كونها بسيطة أو مركبة، فعلية أو اسمية، ومن حيث نظام الأجزاء داخليا. وبالتالى معرفة أى الأنواع يطغى على غيره فى النص المدروس.

لذا نرى من المفيد أن نخصص، أولاً: دراسة للجملة وأقسامها عند النحاة القدامى والمحدثين، ثم نعقبه بفصل آخر تطبيقي نتصدى فيه للجملة العلائية وأشكالها.

فما الجملة؟

أولاً: الجملة فى اللغة:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وجدنا ابن منظور فى لسان العرب يرى أن الجملة واحدة الجمل، وهى جماعة الشئ. ومنه قولهم أجمل الشئ أى جمعه عن تفرقة. وكذلك أجمل له الحساب. فالجملة جماعة كل شئ بكامله، من الحساب وغيره. قال تعالى:

﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة...﴾^(١).

وجاء فى حديث القدر: «كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص».

ويرى ابن منظور أن الحبل الغليظ سمي «جملة» لأنها قوى كثيرة، جمعت فأجملت جملة، ويرجح أن يكون لفظ «جملة» فى اصطلاح النحاة، مشتق من جملة الحبل^(٢).

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٢.

(٢) لسان العرب، مادة «جمل».

يتبنى الزبيدي في تاج العروس هذا التعريف نفسه، ولكنه يضيف تحليلاً بسيطاً للمفهوم الإصطلاحي «الجملة» يقول:

«ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى»^(١).
 مما تقدم نستنتج أن الجملة في اللغة تعني الجمع بين شيئين أو أكثر.
 فما مفهوم الجملة في اصطلاح النحاة؟

للإجابة على هذا السؤال سنعرض آراء بعض النحاة العرب القدامى والمحدثين، وكذا آراء بعض علماء اللغة الأوربيين.

ثانياً: «الجملة» عند النحاة العرب القدامى:

أول صعوبة صادفتنا في البحث عن تعريف النحاة للجملة هي أننا لم نوفق، في استقراءنا للكثير مما اطلعنا عليه من المؤلفات النحوية (سواء ما طبع منها أو ما يزال مخطوطاً) إلى الحصول على دراسة وافية للجملة، رغم ما لها من مكانة أساسية في التركيب.

إن الجملة قوام التعبير وهيكله على اختلاف الأشكال والصيغ، ورغم ذلك لم تنل حظ التوفر على دراسة منفردة، ورغم الجهد العظيم الذي بذله النحاة في التعرض إليها تبقى في حاجة إلى المزيد من الدرس وإلى تصنيف مختص، إذ لا يزيد عمل أولئك النحاة الذين برعوا في لم قواعد النحو وتصنيفها في الحديث عن الجملة على لمحات عرضية وسريعة ومتفرقة اقتضاها المقام، في بعض الأبواب، مثل «باب الكلام» «باب المبتدأ» «باب الموصول» «باب الصفة».

ثاني صعوبة هي أن ما عثرنا عليه من المؤلفات التي عقدت للجملة فصلاً منفرداً لم يهتم بتعريف الجملة، بقدر ما اهتم بتحليل أجزائها وسرد أقسامها وأنواعها، ثم إثارة مشكل الاختلاف القائم بين النحاة، عن معرفة ما إذا كان الكلام مرادفاً للجملة، أم هناك فرق بينها.

(١) تاج العروس، جـ ٧ ص ٢٦٤.

قد عثرنا على مخطوطات جذبتنا عناوينها^(١). لكن، بعد الاطلاع علمنا أن المراد بلفظ «جمل» هو دراسة الأبواب النحوية المعهودة، التي تتخذ الكلام منطلقاً لها، لبحث الاسم وما يعتره من بناء وإعراب، وجمع وإفراد، وبحث الفعل وأقسامه، والحرف،... دون أن نعثر على دراسة خاصة بالجملة في حد ذاتها، إلا ما ذكره لماماً في بعض الأبواب.

عثرنا كذلك، على مخطوطات متخصصة في ذكر الحدود النحوية، وهي رسائل مختصرة، بعضها تعرض لذكر حد الجملة^(٢) وبعضها الآخر لم يتعرض^(٣) كما سنرى.

كل ذلك جعلنا نضطر، إلى استقراء الأبواب التي عقدت لتعريف الكلام. بل وأكثر من ذلك، أخذنا نتقل، خلال أوتار متشابكة من الفصول والأبواب النحوية، وبين أقواس متداخلة من الشروح والحواشي التي ورد فيها ذكر الجملة، ولو عرضاً، عسانا نحصل على عناصر تثير لنا السبيل وتساعدنا في التعرف على الجملة عند النحاة العرب القدامى.

كانت مصادرنا في ذلك متنوعة، منها الكتاب لسبويه، والمقرب لابن عصفور، فمصنفات ابن مالك، وما دار حولها من الشروح والحواشي، وكتاب المغني لابن هشام.

فأما الكتاب فقد وردت فيه إشارة إلى الفرق بين الكلام والقول أثناء حديث سبويه عن الأفعال التي تستعمل وتلغى، يقول:

«واعلم أن «قلت» إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً. نحو قلت زيد منطلق لأنه يحسن أن تقول: زيد

(١) مثل: الفاخر في شرح جمل عبد القاهر الجرجاني، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٢٧ (نحو)، وشرح الجمل الكبيرة للزجاجي، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٩ (نحو)، وشرح الجملة وأقسامها (منظومة)، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢٩٣ (نحو)، إصلاح الخلل الواقع في الجمل، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١٠ (نحو).

(٢) الأزهرى شرح الحدود في النحو، دار الكتب، القاهرة رقم ١٩٥١ (نحو). ابن قاسم المالكي، شرح حدود الأبدى، دار الكتب، ١٩٥٠ (نحو). أرجوزة جزئية في الحدود النحوية، دار الكتب، ١٠٠٤ (نحو).

(٣) حسين الفصيجي، ذكر بعض الحقائق النحوية، دار الكتب ١٠٤ (نحو).

منطلق، ولا تدخل قلت»^(١).

ومقتضى هذا كما يقول ابن جنى: «أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مستقلاً بمعناه، وأن القول عنده بخلاف ذلك، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدم الفصل بينها ولما أراك فيه أن الكلام هو الجمل المستقلة بنفسها الغانية عن غيرها»^(٢).

فكان الكلام عند سيويه طبقاً لاستنباط ابن جنى مكوّناً من جملة أو جمل ولكن كل جملة تتميز بصفتين هما الاستقلال بحيث تكون (غانية عن غيرها) والإفادة. وقد نجد عند ابن جنى تحديداً أكثر لهذا المضمون في قوله:

«إن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها»^(٣).

فإذا انتقلنا إلى ابن عصفور نجده يعرف الكلام بقوله:

«الكلام، اصطلاحاً، هو اللفظ المركب وجوداً أو تقديراً، المعتمد بالوضع»^(٤).

ولعل السبب في افتقارنا لدراسة مفصلة عن الجملة في التأليف التي تلت الكتاب هو أن سيويه الرائد لم يخصص لها فصلاً، وحيث أن جميع من أتوا بعده اكتفوا بالشرح لما جاء في الكتاب، لذا لم يأتوا بجديد في الموضوع. كما أن مصنفات ابن مالك التي كانت حدثاً جديداً، في تنظيم جديد لأبواب النحو، لم تتعرض في باب خاص للجملة، وكل ما تلاها من المصنفات نفتقد فيه هو أيضاً هذه الدراسة، ويبدو أن مرجع ذلك إلى أمرين:

١ - أولهما: أن جل النحاة الذين عاصروا ابن مالك، أو جاؤوا بعده لا تخرج

(١) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ١٢٢.

(٢) الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ج١، ط٢، ص ١٨، ١٩، القاهرة ١٩٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٤) المقرب، ج١، ص ٤٥. بغداد، ١٩٧١.

دراساتهم عن كونها، إما شرحًا لكتابه، الكافية والألفية، وإما شرحًا لشروحيهما، وإما حاشية أو تعليقًا على الشرح، ومن الطبيعي أن تنهج هذه التأليف النهج الذي خطه المصنف في منظومته. وبما أن ابن مالك لم يتعرض لتعريف الجملة، فقد أبى الشراح والمعلقون إلا أن يظلوا مقلدين، يحذون حذوه، أوفياء في تقيدهم بأبواب وفصول الألفية والكافية.

- ثانيهما: أن المواقف التي اتخذها الشراح من تعريف ابن مالك للكلام كانت مواقف متنوعة.

فتعريفه الكلام هو:

« ما تضمن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتى ذلك إلا في اسمين أو في فعل واسم ». (الكافية، باب الكلام وما يتألف منه).

ويضيف في مستهل الألفية:

« كلامنا لفظ مفيد كاستقم ».

وفي التسهيل:

« الكلام ما تضمن من الكلم إسنادًا مفيدًا ومقصودًا لذاته »^(١).

إن مواقف الشراح متنوعة. لقد انقسموا أصنافًا، يمثل الصنف الأول كل الذين اعتمدوا في شرح تعريف الكلام على ما ورد في الألفية، متقيدين بذلك، دون التفات إلى التعريفين الآخرين الموجودين في الكافية وفي التسهيل، فشرحوا مدلول « لفظ » ومدلول « مفيد » شرحًا سريعًا، ولم يتعمقوا في أغوار مدلولي « الإفادة » و« القصد » وما يدخل تحتها من أنواع التراكيب، وما يخرج بالتقييد بهما من صور المركبات، ومن ثمة لم يتعرضوا لذكر تعريف الجملة مكتفين بتعريف الكلام. من هؤلاء ابن هشام في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، حيث يقول:

(١) الأشمون، حاشية الصبان، قد أفرد بابا أسماه « كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة »، ط. المدارس الملكية،

«الكلام - في اصطلاح النحويين - عبارة عما اجتمع فيه أمران : اللفظ والإفادة [...] والمراد بالمفيد : ما دل على معنى يحسن السكوت عليه».

ثم ينتقل إلى ذكر أجزاء الكلام :

«وأقل ما يتألف الكلام من اسمين : كـ «زيد قائم» ومن فعل واسم «قام زيد» ومنه «استقم» فإنه من فعل الأمر المنطوق به، ومن ضمير المخاطب المقدر بأنت»^(١).

على أن ابن هشام، كما سنرى، قد أفرد باباً خاصاً بالجملة في كتابه المغنى. وقد حظى شرح ابن هشام بحاشية للأزهري، غير أن ما بها من إضافات، في موضوع تعريف الكلام، يعتبر طفيفاً ولا يتطرق إلى الجملة. يقول الأزهري معلقاً على شرح ابن هشام لتعريف الكلام.

«الكلام في نفسه : اللفظ والإفادة. والمراد بالمفيد، هنا، ما دل على معنى يحسن السكوت (من المتكلم) عليه، (أى على ذلك اللفظ بحيث لا يصير السامع منتظراً لشيء آخر)^(٢). وعلم من تفسير المفيد، بما ذكر أنه لا يحتاج إلى قولهم المركب، لأن المفيد الفائدة المذكورة، يستلزم التركيب. ولا إلى قولهم المقصود، لأن حسن سكوت المتكلم يستدعى أن يكون قاصداً لما تكلم به».

ثم يذكر الأزهري ما يجتزئ عنه «بالمفيد» ويجعل منه المركب :

«الإسنادى المسمى به : كبرق نحره، والمعلوم للمخاطب : كالسماء فوقنا». وصور تأليف الكلام عنده ستة :

«اسمان - فعل واسم - فعل واسمان - فعل وثلاثة أسماء - فعل وأربعة أسماء - جملة القسم وجوابه - أو الشرط وجوابه»^(٣).

(١) ابن هشام، أوضاع المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ٤، ج ١، ص ١١، القاهرة، ١٩٥٦.

(٢) ما بين الأقواس من إضافات الأزهري.

(٣) الأزهري، التصريح على التوضيح، ج ١ ص ٢٢، ط. القاهرة، ١٣٢٥ هـ.

وقد اعتمد ابن عقيل هذا التقسيم، وجاء بأمثلة لبعض أنواع الصور^(١).
ويضيف الأشمونى لما خرج من حد الكلام بيقيد الافادة المركب غير المستقل،
يقول:

«وخرج باللفظ [...] وبالمفيد المفرد، نحو: زيد، والمركب الإضافى، نحو:
غلام زيد، والمركب الإسنادى المعلوم مدلوله ضرورة، كالنار حارة، وغير المستقل
كجملة الشرط، نحو: إن قام زيد...»^(٢).

يمثل الصنف الثانى من الشراح أولئك الذين تناولوا تعريف الكلام فى الألفية،
على ضوء تعريفى الكافية والتسهيل، فذكروا ما يخرج عن حيز الكلام، من
الجمل، نتيجة تقييد ابن مالك الإسناد المفيد بكونه «مقصوداً لذاته». وحصروه فى
أنواع من الجمل. من هؤلاء الحضرى الذى يرى أن التقييد بـ«المفيد» يغنى عن
قوله «المقصود لذاته» لأن هذه الجمل لم تفد لنقص إسنادها بتوقفها على ما هى قيد
له^(٣). كذلك الأشمونى والصبان، إذ يريان أن ابن مالك، فى شرح الكافية، لم
يذكر فى حد الكلام «التركيب»، و«القصده» نظراً إلى أن الإفادة تستلزمها.
لكنه، فى التسهيل، صرح بهما وزاد فقال:

«لإخراج نحو «قام أبوه» من قولك: «جاءنى الذى قام أبوه»، لأن الإسناد فيه
ليس مقصوداً لذاته، بل لتعيين الموصول وتوضيحه. ومثلها الجملة الخبرية والحالية
والنعتية»^(٤).

ويضيف السيوطى، إلى أنواع الجمل السابقة، جملة الجزاء:
«... ليخرج المقصود لغيره كجملة الصلة والجزاء»^(٥).

ويضيف الرضى الجملة القسمية والجملة الشرطية:

(١) انظر ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ص ٣ ط. القاهرة، ١٢٨١هـ.
(٢) انظر الأشمونى، حاشية الصبان، باب «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة»، ط. المدارس الملكية،
١٢٩١هـ.

(٣) انظر: الحضرى، حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ط ٢، مصر، ١٣٠٦هـ.

(٤) انظر: الأشمونى، حاشية الصبان، باب «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة».

(٥) انظر السيوطى، البهجة المرضية فى شرح الألفية، ص ٤، ط ١، المدارس الملكية ١٢٩١هـ.

«وليخرج بقوله المقصود ما تركيب به لذاته الإسناد [...] الذى فى الجملة القسمة، لأنها لتوكيد جواب القسم، والذى فى الشرطية، لأنها قيد فى الجزاء»^(١).

لقد رأينا السيوطى يخرج جملة الجزاء من مفهوم الكلام، فى حين نجد الرضى ينص على أنها كلام، فيضيف بأن جزاء الشرط وجواب القسم كلامان، بخلاف الجملة الشرطية والقسمة^(٢).

لكننا نجد صاحب الفاخر ينص على خروج الجملة الشرطية عن مفهوم الكلام:

«فخرج به كل ما لم يحسن السكوت عليه مما ذكر، وخرج الشرط بانفراده، والجواب على انفراده»^(٣).

الصنف الثالث: هناك فئة أخرى من النحاة، لم تتقيد فى شرح تعريف ابن مالك للكلام بما تقيد به شراح الصنف الثانى، بل طرحوا مشكل تعريف الجملة، فتساءلوا: هل هى والكلام شىء واحد، أم هناك فرق بينهما؟

منهم من يرى أنها تخالف الكلام لكون الإسناد الأسمى فيها قد لا يكون مقصوداً لذاته. ومن هؤلاء الرضى الذى يصرح:

«والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأسمى، سواء كانت مقصودة لذاتها أولاً، كالجملة التى هى خبر المبتدأ [...]. والكلام ما تضمن الإسناد الأسمى وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»^(٤).

ومنهم من لا يفرق بين الكلام والجملة، كالزحشرى الذى يعرف الكلام بأنه:

(١) انظر الرضى، شرح الكافية، ج ١، ط. اولتمسدر، ١٣١٠هـ.

(٢) نفس المصدر

(٣) انظر الفاخر فى شرح جل عبدالقاهر، مخطوط، دار الكتب، رقم ٢٢٧ (نحو)، ص ٩.

(٤) شرح الكافية.

ملاحظة: عاصر ابن مالك، وفرغ من شرح الكافية فى سنة ٦٧٣هـ، ويبدو أنه لم يطلع على التسهيل، من ثم أخذ على صاحبه ما أخذ منها: إطلاقه «الإسناد» فى تعريف الكلام، من غير قيد كونه «مقصوداً لذاته» كما يتم التفريق بينه وبين الجملة.

« هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى [...] ويسمى الجملة ». .
 ويحصر ابن يعيش الجمل التي تسمى كلاماً فيها كان مفيداً، فيشرح تعريف
 الزمخشري للكلام بقوله :
 «إنه عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها»^(١).

أما ما اطلعنا عليه من دراسات خاصة بالجملة (خارج نطاق الشروح
 والحواشي)، ففتقد فيها، هي كذلك، التعريف الجامع المانع للجملة، كل تلك
 الدراسات مهمة، إلى حد بعيد، بالاختلافات القائمة حول جواز تسمية الكلام
 جملة .

ولعل ابن هشام هو أول من عقد باباً خاصاً بالجملة، وذكر أقسامها وأحكامها.
 ولقد أعلن، منذ البداية، بل في عنوان الباب نفسه، عن رأيه فيها :
 « شرح الجملة وبيان أن الكلام أخص منها لا مرادف لها»^(٢).
 فالجملة في نظره أعم من الكلام.. يقول :

«الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد، ما دل على معنى يحسن
 السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ «قام زيد»، والمبتدأ وخبر،
 كـ «زيد قائم»، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو «ضرب اللص»، و «أقائم
 الزيدان»؟، و «كان زيد قائماً»، و «ظننته قائماً». وبهذا يظهر لك أنها ليسا
 بمترادفين، كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه، بعد
 أن فرغ من حد الكلام، قال : ويسمى الجملة، والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه
 الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة،
 وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام»^(٣).

(١) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، جـ ١، ص ١٨.

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد عيسى الدين عبد الحميد، جـ ٢، ص ٣٧٤، القاهرة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

لقد اكتفى ابن هشام، في تعريف الجملة، بالنص على ما تتألف منه، مع ضرب أمثلة لبعض صورها، ثم قارن بين تعريف تام ومحدد للكلام، وتعريف شكلي بالأمثلة للجملة، مستخلصاً من ذلك «أنهما ليسا مترادفين».

لكن، يبدو لنا، أن ما عرف به الجملة لا يحتوي على أى عنصر يميزها، عن الكلام. فكيف بنى حكمه في التفريق بينها على مشار إليه مبهم، وهو ما جاء في العبارة التالية :

وبهذا يظهر لك . . .

إن ما «يظهر» له من التعريفين غير ما يظهر لنا، فالأمثلة التي ساقها للجملة مفيدة يحسن السكوت عليها، وهى بذلك نماذج للكلام، حسب تعريفه هو نفسه للكلام، وهو لا يخرج عن تعريف النحاة، كما رأينا.

ومن جهة أخرى، إنه تعريف لا يصلح لأن يتخذ حجة للتفريق بين «جملة» و«كلام»، ولا للرد على الزمخشري فيما ذهب إليه. فهل يمكننا أن نرمى قول ابن هشام هذا بالغموض والاضطراب؟

أورد ابن هشام حديثاً عن عدد الجمل المعترضة، في الآيات القرآنية :

﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة، حتى عفوا وقالوا: قد مس آباءنا الضراء والسراء، فأخذناهم بغتة وهو لا يشعرون. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا، فأخذناهم بما كانوا يكسبون. أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون﴾^(١).

فلنتأمل تعليقه على هذه الآيات، عسانا نتعرف على رأيه في ما تختلف فيه الجملة عن الكلام.

يروى ابن هشام رأى بعض المعترضين على ابن مالك فهم يرون أنه كان عليه أن يعد الجملة الاعتراضية ثلاثاً، ولكن المعترض على ابن مالك، كما يقول

(١) سورة الأعراف، الآيات ٩٥، ٩٧.

ابن هشام: «لا يعد، و«هم لا يشعرون» جملة، لأنها حال مرتبطة بعاملها، وليست مستقلة برأسها، ويعد «لو» وما في حيزها جملة واحدة [...] . ويعد «ولكن كذبوا» جملة و«فأخذناهم بما كانوا يكسبون» كلة جملة. وهذا هو التحقيق، ولا ينافي ذلك ما قدمناه في تفسير الجملة، لأن الكلام هنا ليس في مطلق الجملة، بل في الجملة بقيد كونها جملة اعتراض، وتلك لا تكون إلا كلاماً تاماً^(١).

يبدو أن ابن هشام يطلق «جملة» على كل ما توفر فيه الإسناد الأصلي، سواء كان مستقلاً بالإفادة لكونه مقصوداً لذاته، (مثل الجمل الاعترافية الثلاث التي يصفها بأنها ليست مطلق جملة)^(٢) أو غير مستقل بالإفادة لكونه غير مقصود لذاته، مثل جملة الحال «وهم لا يشعرون». فالنوع الأول هو المسمى كلاماً.

وعليه، فالجملة عند ابن هشام، كما يظهر لنا، نوعان: نوع يسميه «مطلق جملة» وهو الذي لا يشترط فيه الاستقلال بالفائدة، ونوع «ليس مطلق جملة» وهذا يشترط فيه أن يكون كلاماً تاماً.

ذلك هو رأى ابن هشام في الجملة، فماذا نجد عند غيره من النحاة؟ يقتصر السيوطي في «باب الكلام والجملة» على نقل أقوال بعض النحاة، وخاصة ما جاء عند ابن هشام. وسنحاول أن نستخلص رأيه مما في «باب الألفاظ» حيث يقول:

«تقسيم ما خرج من الفم، إن لم يشتمل على حرف فصوت. وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى، فلفظ. وإن أفاد معنى، فقول، وإن كان مفرداً، فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها، فجملة، أو أفاد ذاك فكلام»^(٣). يبدو لنا أن السيوطي يخص الجملة بما لا يكون الإسناد فيه مقصوداً لذاته.

(١) ابن هشام، المغني، ج ٢ ص ٣٧٥.

(٢) نشير هنا إلى رأى الدماميني الذي يعتبر أنه ابتداء من قوله تعالى: «ولو أن [...] يكسبون» كلام واحد، لارتباط بعضه ببعض، فالمقصود بالفائدة المجموع، فهو جملة اعتراض واحدة تضمنت جملاً (انظر: حاشية الأمير على المغني).

(٣) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج ٢ ص ٢، حيدر آباد، ١٣١٦ هـ.

وعلى ذلك، فهي عنده ليست أعم من الكلام، إذ لكل منها خصائص تميزه عن الآخر.

وقد لا نكون مخطئين إذا قلنا إن السيوطي ينفرد بهذا الرأي، فلم نعثر على نحوى غيره يذهب مذهبه، في حين نجد جماعة من النحاة يحذون حذو ابن هشام. من هؤلاء، نذكر الأزهرى، وعبد القاهر، فكل منهما يشير إلى الخلاف القائم حول ترادف الجملة والكلام، ثم يذكر حدًّا للجملة لا يخرج مؤداه عما جاء عند ابن هشام.

يقول الأزهرى:

«فحدها (الجملة) القول المركب الإسنادى، أفاد أو لم يفد»^(١).

ونجد ابن القاسم يصرح بكون الجملة أعم من الكلام. يقول:

«حد الجملة ما تركيب من كلمتين فأكثر، بشرط الإسناد، أفاد أو لم يفد. فهي أعم من الكلام إذ يشترط فيه الإفادة بخلافها. ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، وجملة الجواب، وليس ذلك بمفيد، فليس كلاماً»^(٢).

وقد سلك نفس النهج صاحب الأرجوزة الجزئية^(٣)، وصاحب الفاخر في شرح جهل عبد القاهر^(٤) وهذا الأخير لم يتعرض لحد الجملة، في باب الكلام وإنما استخلصنا رأيه من حديثه عن خبر المتبدأ، حين قال:

«المسألة الرابعة في تقسيم الخبر، وهو قسمان، مفرد [...] وجملة، وهى ما تضمن جزأين، مسند ومسند إليه».

(١) الأزهرى: شرح الحدود في النحو، مخطوط بدار الكتب، رقم ١٩٥١.

(٢) ابن القاسم، شرح حدود الأبدى، مخطوط بدار الكتب، رقم ١٩٥٠.

ملاحظة: يبدو أن ما جاء عند كل من الأزهرى وابن القاسم يكاد يكون منقولاً حرفياً عن الدمامينى، في شرح المعنى، وإن لم يذكر أى واحد منها أنه نقل عنه. يؤكد هذا تاريخ انتهاء التأليف، فقد انتهى الدمامينى شرحه حوالى سنة ٨١٧هـ، في حين أن الآخرين أنبأ عملهما سنة ٩٨٠هـ، كما يصرحان بذلك.

(٣) أرجوزة جزئية في الحدود النحوية، مخطوط بدار الكتب، القاهرة، رقم ١٠٠٤.

(٤) مخطوط بدار الكتب ص ٩١، رقم ٢٢٧ (نحو).

كان بودنا أن نتعرف على رأى الزجاجى فى الجملة^(١)، غير أن كل ما عثرنا عليه هو ما جاء عند شارح «الجملة» فى حديثه عن الجملة المحكية، يقول:

«المراد بالجملة هنا، ما عمل بعضه فى بعض، فالمحكى فى هذا الباب هو الجملة النسوبة، كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر»^(٢).

كما علمنا من خلال ما يأخذه عليه صاحب إصلاح الخلل الواقع فى الجمل إنه يفرق بين الفعل وفاعله وبين الجملة، يقول: «واعلم أن الاسم المبتدأ يخبر عنه بأحد أربعة أشياء، باسم هو هو [. . .] أو بفعل وما اتصل به من فاعل ومفعول كقولك زيد خرج وعبد الله أكرم أخاك وما أشبهه، أو بظرف [. . .]، وبجملة نحو قولك زيد قائم [. . .] هذا التقسيم خطأ لأنه جعل الفعل والفاعل وما اتصل بهما قسماً على حدة وأخرجه من الجمل، وحكمه حكم الجمل»^(٣).

. تلك هى بعض وجهات النظر التى أدلى بها نحائنا، منذ بداية استنباط قواعد النحو وضبطها إلى القرن الثانى عشر الهجرى. ومنها نستنتج أن آراءهم فى الجملة ومقارنتها بالكلام تنقسم إلى مذاهب مختلفة، أبرزها أربعة، على أن الاختلاف القائم بينهم اختلاف لا يتعدى أن يكون جزئياً، إن لم يكن شكلياً:

١ - الكلام مكون من جمل مستقلة فهو أعم من الجملة، وهو مذهب ابن جنى القائم على كلام سيويه.

٢ - الكلام أخص من الجملة، وهو رأى ابن هشام.

٣ - الكلام هو الجملة، والجملة هى الكلام.

٤ - مذهب لا يقطع أصحابه برأى فيدعون الأمر مبهماً.

(١) يلاحظ أن العنوان «الجملة الكبيرة للزجاجى» رقمه ٤٧٢ بفهرست دار الكتب فى حين نجد أن للمجلد الذى يحمل هذا الرقم عنواناً آخر هو: «شرح التسهيل للمرادى». وفى باب الحكاية، يشير المؤلف إلى أنه سبق له أن تطرق للجملة فى «باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر». ولم نعتز على هذا الباب فى المخطوط الذى تمكنا من الاطلاع عليه.

(٢) انظر، شرح الجملة الكبيرة، مخطوط بدار الكتب، غمرة ١٩ (نحو)، «باب الحكاية» ص ٧٩.

(٣) مخطوط بدار الكتب، رقم ١١١٠ (نحو)، ص ٣٠.

قبل أن نتعرض إلى الحديث عن تعريف الجملة عند النحاة العرب المحدثين نود أن نشير إلى أقسام الجملة كما جاءت عند النحاة العرب المتقدمين.

يبدو أن الدراسات اللغوية والنحوية التي سادت حتى عهود متأخرة كانت تركز على المفهوم الإسنادي، ويعتبر ابن هشام أول من أفرد أنواع الجملة بقسم خاص من كتابه المغنى، وبما أن الجملة تتكون من مسند ومسند إليه، أساساً، وقد تنضاف إليهما متعلقات فهي بهذا الاعتبار، لا تخرج عنده كما عند النحاة قبله عن كونها:

أولاً: فعلية، أو اسمية، أو شبه جملة.

ثانياً: صغرى، أو كبرى.

لكن ابن هشام لم يقف عند ذلك، بل أضاف تقسيماً ثالثاً اعتمد فيه على الناحية الوظيفية للجملة. فقسم الجمل حسب موقعها الإعرابي إلى قسمين:

أولاً: الجمل التي لا محل لها من الإعراب، «وهي التي لا تحمل محل المفرد»، على حد تعبيره.

ثانياً: الجمل التي لها محل من الإعراب.

ويدخل تحت كل نوع أصناف شتى من الجمل^(١). ولم يأت النحاة الذين جاءوا بعده بجديد، في الموضوع، فقد تبناوا كلهم هذا التقسيم.

فما الجملة عند المحدثين؟ ذلك ما ستجيب عنه الصفحات التالية:

ثالثاً: الجملة عند نحاة العربية المحدثين:

أوردنا، فيما سبق، آراء بعض النحاة العرب القدامى حول تعريف الجملة وما تولد عنها من مناقشات، عقيمة في بعض الأحيان، وحافزة على بث الكثير من الشروح والتعليق، أحياناً أخرى، ضمن مصنفات النحو واللغة والبلاغة.

فلنتجه الآن إلى المحدثين من اللغويين، العرب والغربيين، لنطلع على آرائهم في تعريف الجملة.

(١) انظر، المغنى، ج-٢.

إن الدراسات التي ظهرت حديثاً، في هذا المجال كثيرة، سنقتصر على بعضها، وسوف لا نقف عند الاعتراضات التي أبدتها هؤلاء المحدثون حول الخلاف الناشب بين اللغويين والمناطقية في مفهوم الجملة، كما لن نتعرض للحديث عن انتقاداتهم لآراء النحويين القدامى، بل سنستشير وحسب، بأرائهم في تعريف الجملة.

من أوائل اللغويين المحدثين الذين تعرضوا لدراسة الجملة العربية المستشرق الألماني برجشتراسر، فقد خص فصلاً لدراسة التراكيب في العربية، غير أننا لا نجد عنده تعريفاً متميزاً للجملة، فقد اكتفى ستراشر في تحديد الجملة بذكر عناصرها، إذ يقول:

«الجملة هي ما تكون من مسند ومسند إليه»^(١)، ثم انتقل إلى الحديث عن أنواعها فقسمها إلى بسيطة ومركبة، وفعلية، واسمية.

ومن بين الدراسات الحديثة، في الموضوع، نشير، كذلك، إلى الفصل الذي عقده الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار اللغة، تحت عنوان: «الجملة العربية أجزاءها ونظامها»^(٢). وفيه يرى المؤلف أن تعريف الجملة في لغة ما، يجب أن يستقى من الاستعمال، ومما تواضع الناس على استقلاله بالمعنى في كل كلام، ثم يعرفها بقوله:

«إن الجملة في أقصر صورها، هي: أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر».

ويرى أن في كل لغة يمكن تحليل الكلام إلى كتل تفيد معنى يطمئن إليه السامع، وكل كتلة منها تشتمل:

«في غالب الأحيان، على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما، وتلك هي الجملة القصيرة التي اكتفى فيها بركنيها الأساسيين، مثل قول إبراهيم، حين رأى

(١) التطور النحوي للغة العربية، ص ٨١، القاهرة، ١٩٢٩.

(٢) ص ١٩٠، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

القمر بازغًا، «هذا ربى» ثم يضيف: «ولكن الجملة تتضمن في الأعم الأغلب أمورًا أخرى تطول بها الجملة وتتعدد، مثل قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدون فيها أبدًا﴾

فالمسند إليه هنا قوم معينون من الناس، وقد أسند إليه ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها، وقد جاء هذا الإسناد في صورة من الكلام مطولة معقدة»^(١).

هكذا حدد إبراهيم أنيس الجملة وبين أركانها، ثم قسمها، حسب ما تشتمل عليه من عناصر، إلى قصيرة ومطولة معقدة.

نشير إلى دراسة أخرى في الموضوع قام بها ريمون طحان، فقد عقد، هو أيضًا، فصلًا خاصًا بالجملة عنونه بـ«الدراسات الجمالية».

يفرق طحان بين الكلام والجملة. فالكلام:

«هو ما تركيب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد».

أما الجملة فهي: «الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهى تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهن المتكلم الذى سعى فى نقلها، حسب قواعد معينة وأساليب شائعة، إلى ذهن السامع»^(٢)، ولا ينسى طحان أن ينص على توفر عنصر الإفادة، فى كل من الكلام والجملة، فيضيف:

«ولا يكون الكلام تامًا والجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيها شروط خاصة منها تعود إلى المنطق، ومنها تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها»^(٣).

ثم يشير إلى ما يوجد بين الكلمات التى تتألف منها الجملة والكلام المفيد من علاقات صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية. ولذلك فإن الجملة تخضع لقواعد أصولية، ويكفى أن نتبع قواعد معينة لنستطيع فهم وتكوين عدد لا حصر له من الجمل.

(١) نفس المصدر، ص ١٩١.

(٢) انظر: الألسنية العربية، سلسلة الألسنية، رقم ٢، ص ٤٤، بيروت ١٩٧٢.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

بعد ذلك ينتقل إلى تحليل مستويات وعناصر الجملة، ويذكر أقسامها، وهي عنده بسيطة، أو مركبة أو معقدة^(١).

من خلال تلك النماذج، نرى أن التعاريف السابقة للجملة لا تخرج عما رأيناه عند النحاة القدامى وبخاصة سيبويه وابن جنى وأنها استقيت من المصنفات العربية القديمة. فالشئ الجديد في دراسات الباحثين المحدثين هو تأثرهم باللسنيات الحديثة، والعمل على تبسيط التعابير القديمة المستعملة، في بعض التعاريف، كما تتماشى ولغة العصر، فتقرب من الأذهان. إنها محاولة إخضاع قواعد اللغة العربية لمناهج البحث الغربية المعاصرة. على أن هناك بعض النظريات، في اللسنيات الحديثة، لم يتوصل إليها الغرب إلا حديثاً، ولكنها معروفة عند النحاة واللغويين العرب منذ سيبويه.

بعد هذه الوقفة عند تعريف المحدثين للجملة العربية، ننتقل إلى إلقاء نظرة على تعاريف الغربيين للجملة عسانا نصل إلى نظرية متكاملة عن الجملة عموماً.

رابعاً: الجملة عند النحاة الغربيين:

إن الباحث، في نحو اللغات الغربية، يجد نفسه أمام تعاريف شتى تختلف فيما بينها. وعلى العموم، إن التعريف الذي يتردد كثيراً هو أن الجملة: «مجموعة من الألفاظ، ترتب بطريقة خاصة، وتؤدي معنى يصح السكوت عليه».

وسنكتفي بإيراد بعض تعاريف الجملة، في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية.

يرى (مارسيل كرسو) أن:

«الجملة منطوق يعبر عن فعل أو حكم»^(٢).

فجملة الفعل، تتطلب لفظاً يمثل في الذهن موضوع سؤال ما، كما تتطلب لفظاً

(١) المصدر السابق، ص ٩٦.

Marcel cressot, le style et ses techniques, P. 25 P. U. F. 1969.

(٢)

آخر يعين ما يراد قوله عن هذا الموضوع، مثل: «Je me nome le pauvre» (اسمى الفقير).

وفي جملة الحكم يرتبط الموضوع والوصف برابطة (Copule) أى الفعل المساعد، مثل: «Le chien est fidèle» (الكلب مخلص).

ويلاحظ أنه يصرح، دائماً، بالرابطة في اللغات الهند - أوربية، في حين يستغنى عنها في اللغة العربية. فكما يبدو من الجملة المترجمة «الكلب مخلص» أن «est» التي تحتل مكاناً أساسياً في بناء الجملة الفرنسية، لم يحتج إليها في الجملة العربية، والذي يقوم بدور الربط بين المسند والمسند إليه فيها هو علاقة معنوية ملحوظة غير ملفوظة.

نستنتج من هذا أن الجملة في اللغات الهند - أوربية لا تستغنى عن الفعل أو ما يقوم مقامه ولا تترك الرابطة إلا إذا احتوت الجملة على فعل منطوق يقوم بدور الربط ودور الوصف معاً مثل: «Paul Travaille» (بول يخدم).

ومن جهة أخرى، تتركب الجملة، في اللغة الفرنسية، من ألفاظ ثانوية تحدد العناصر الأساسية فتظهر ظروفاً للفعل أو الحالة أو ما شابه ذلك، مثل: «Aujourd'hui Paul a écrit une longue Lettre à son Père» (كتب بول اليوم رسالة طويلة إلى أبيه)، «Le chien est fidèle a son maître» (الكلب مخلص لسيده). أما في اللغة الإنجليزية، فقد ساق (فرايز) بعض التعريفات الشائعة للجملة، منها، أن الجملة:

«مجموعة من الكلمات تعبر عن معنى كامل»^(١).

وهذا التعريف يتفق مع الرأي السائد بين النحاة العرب القدامى في شرطهم توفر الفائدة، كما رأينا سابقاً.

أما (بلمفيلد) فيرى أن الجملة: «تركيب أو شكل لا يعد في الحديث جزءاً من تركيب أو شكل أكبر»^(٢).

Fries, the structure of English, P 9

(١)

(٢) Bloom Field ص ٢، من المصدر السابق.

يذكرنا هذا بما سبق أن رأيناه عند ابن جنى من أن الكلام «عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل، على اختلاف تركيبها».

يعطى (روبير) تعريفاً آخر للجملة هو:

«مجموعة من الكلمات تبدأ بحرف كبير وتنتهي بنقطة»^(١).

هل يعتبر هذا تعريفاً؟

ما نظن ذلك، لأنه لا يحتوى على العناصر الضرورية التي تتكون منها «الجملة»، ف(روبير) لم يدخل في تعريفه ما يجب أن يؤديه التركيب من معنى مفيد، كما لم يذكر مكونات الجملة، ولا العلاقة بين العناصر التي تتألف منها. فدور الحرف الكبير (Majuscule = حرف التاج) هو أن يدل على بداية الجملة، وأن يأتي، كذلك، في أوائل الأعلام (الأشخاص، والأمكنة...). أما النقطة، فهي وإن أتت في آخر الجملة، إلا أنها تدل على نهاية أى محتوى؟ فيكفى أن يقع غلط ما في وضع النقطة ليصبح القارئ في متاهة. ثم إن للنقطة استعمالات أخرى منفردة (تأتى، مثلاً، بعد الحرف المختصر لكلمة مثل: ج. م. ع.).

إن تعريف الجملة بكونها «كليات تبدأ بحرف كبير وتنتهي بنقطة»، «تعريف» شكل محض. وحتى لو قبلناه كتعريف، يظل ذا مفعول في اللغات الغربية وحسب. فهو لا ينطبق بحال على الجملة العربية لانعدام ظاهرة الحروف الكبيرة والصغيرة فيها. بالإضافة إلى أن الجملة في العربية لا تنتهي بالنقطة. فالتنقيط والفواصل لم تدخل العربية إلا حديثاً بتأثير الغرب.

بهذا الصدد، تبدو أمامنا ظاهرة عرفت العربية منذ القديم، وهي ظاهرة الوقف، فإذا لم تكن العربية قد عرفت التنقيط، فإنها تميزت بالوقف. وقد عمل النحاة على إبراز ما يصيب الكلمة من تغير في حالة الوقف وإنهاء الكلام، وشرحوا الطرق المتعددة المتبعة في الوقف. ثم أضاف القراء إلى عمل النحاة دراسات

تعرضوا فيها لمواضع الوقف في آيات القرآن الكريم، وميزوا أنواعاً، منها التام، والحسن. . ولضبط مواضع الوقف وحصر أنواعه، اعتمد النحاة والقراء على معاني الجمل والآيات. فعملوا على المحافظة على الوحدة المعنوية، وعلى تلافي البدأ بما يفسد المعنى، ويفصل بين أواصر الكلمات والعناصر الأساسية التي بها تتم تلك الوحدة المعنوية.

هكذا اجتهد القراء في تخير مواضع الوقف ووضعوا رموزاً وإشارات في أواخر الآيات ورؤوسها ليهتدى بها المتعلم، فكان اتفاقهم في اختيار تلك المواضع مسائراً لا تفاقهم في فهم وتفسير الآية. وينتج عن اختلافهم في الفهم اختلافهم في تخير مواضع الوقف. وقد روى عن أم سلمة أنها قالت:

«إن النبي ﷺ، كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، فيقول:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الحمد لله، رب العالمين﴾ ثم يقف، ... إلخ»^(١).

ولا تهمنا، في دراستنا هذه طرق الوقف ومصطلحاته كما اتفق عليها النحاة والقراء، ولا ما اختص به أحد الفريقين دون الآخر مما جاء مشروحاً في مصنفاتهم العديدة، بل الذي يهمنا هو معرفة دور الوقف في الكلام. أيمن أن نقارنه بدور النقطة في اللغات الغربية الحديثة؟

إذا استندنا إلى نظرية من يقول بأن تحريك أواخر الكلمات كان علامة من علامات الوصل في الكلام، شعراً ونثراً، فيكون سقوط الحركة الإعرابية والتزام السكون للوقف علامة على انتهاء الكلام، من ثم قالوا: «العرب لا تقف على متحرك».

أيمن أن نعتبر وقف المتكلم في حديثه دليلاً على انتهاء جملة؟

أيمن أن نعتبر سقوط الحركة الإعرابية من آخر كلمة في عدد ما من الكلمات المرصوفة علامة على انتهاء جملة، وبالتالي نتخذ من ذلك تعريفاً للجملة؟

(١) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، من ص ١٤٢ إلى ص ١٦٦.

إذا قارنا بين هذه النتيجة وبين تعريف (روبير) للجملة، نستطيع أن نؤكد: إذا كنا لا نتيين الحرف الكبير ولا النقطة إلا في النصوص المكتوبة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، مثلاً، كذلك لا يمكن أن نتيين مواضع الوقف إلا في اللغة العربية المنطوقة.

أمن الممكن أن نستخلص، من استقصاء الأي المبدوءة برموز الوقف وإشاراته، تعريفاً للجملة يستند إلى ظاهرة الوقف؟ إذا كان ذلك ممكناً يصبح تعريف «الجملة» هو أنها «الكلام المنتهى بعلامة الوقف» أو بعبارة أخرى، «الكلام الذي تسقط منه حركة الإعراب».

نرى أن هذا تعريف ناقص، وذلك لأن الوقف ظاهرة خاصة باللغة العربية المنطوقة، ولا توجد له إشارات في العربية المكتوبة، سوى في القرآن الكريم، فإن كان من الممكن أن نقابل تلك الإشارات بالنقط الموجودة في النصوص المكتوبة، بلغة غربية حديثة لتتخذها منطلقاً لتحديد الجملة، سوف نكون عاجزين، لأن تلك الإشارات لا تتوفر وجودها في كل النصوص العربية المكتوبة عموماً.

يبدو، كخلاصة لما سبق، أنه لا يمكن أن يتخذ التنقيط أو الوقف عمدة في تعريف الجملة لقصور كليهما عن الإيفاء بتعريف جامع مانع. يبقى أن نختار تعريفاً للجملة يفى بما تتوخاه هذه الدراسة المتواضعة.

إبداء رأينا في تعريف الجملة

على ضوء التعاريف التي أوردناها للجملة، سواء ما كان منها للعرب أو للغربيين، نستطيع أن نقول إن اللغة، كوسيلة للتواصل، تخضع، حتماً، لعادات البيئة التي تنتمي إليها، كما تخضع وسائل التواصل الأخرى من إشارات ورموز للبيئة التي نشأت فيها^(١). هكذا فإن العادات اللغوية، في بيئة ما، هي وحدها التي تحدد معنى الجملة حسب استعمالها لها^(٢).

كما نستخلص أن تحديد أركان «الجملة» يختلف من فصيلة لغوية إلى فصيلة أخرى. فبينما رأينا أن العربية (وهي تنتمي إلى الفصيلة السامية) تكفي بالمسند والمسند إليه لتتام الفائدة في الجملة، علمنا أن الفرنسية والإنجليزية (وهما من الفصيلة الهندية الأوربية) تشترطان، لتتام الفائدة، اشتغال الجملة على مسند ومسند إليه، ثم على «رابطة»، أي فعل مساعد يدل على «العندية» أو «الكينونة» يربط بينهما، إلا أن يكون المسند فعلاً، كما بينا في المثال الفرنسي (Paul travaille).

بيد أنه بالمقارنة بين تلك التعاريف، نلاحظ أنها جميعاً، تشترك في اشتراط توفر الجملة على ثلاثة عناصر هي :

١ - التركيب أو الإسناد.

٢ - الاستقلال.

٣ - الإفادة.

(١) نذكر هذا الصدد حادثة جرت لنا ببلغاريا حيث سألتنا أحد المارة عن شيء، فأجاب بكلمة تدل على الإيجاب، وصاحبها بإشارة إذ حرك رأسه من اليمين إلى الشمال، فأختلط علينا الأمر، حيث فهمنا أن هناك تناقضاً بين الكلمة وبين الإشارة، فقد اعتدنا في المغرب، وفي البلاد العربية عموماً، أن حركة هز الرأس هاته، تعني النفي، وأن هز الرأس من أعلى إلى أسفل يعنى الإيجاب، فلما استوضحنا ذلك علمنا أن مدلول الإشارة عند البلغاريين هو عكس ما اعتدنا.

(٢) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩١.

بناء على ذلك، يمكننا أن نستقى من مجموع تلك التعاريف، تعريفاً للجملة، سيعتمده هذا البحث:

إن الجملة بناء لغوي يعبر عن معنى كامل، ومستقل، ولا يعتبر جزءاً داخلاً في تركيب لغوي أكبر، وقد تأتت الجملة، كلمة، أو عبارة، أو تركيباً، أو تراكيب. انطلاقاً من هذا التحديد، نرى لزاماً علينا أن نتعرض لتعريف كل من الكلمة والعبارة والتركيب.

١ - الكلمة :

قام جدل حاد بين اللغويين المحدثين، حين حاولوا تعريف الكلمة، ف(بلمفيلد) يحددها بقوله :

«أصغر صيغة حرة»، ونلاحظ أن ليس في ذلك جدة عما جاء عند النحاة العرب القدامى حين عرفها بعضهم بأنها «القول المفرد»، وأضاف آخرون بأنها «لفظ مفرد دل على معنى مفرد».

ويعرفها عباس حسن :

«اللفظة الواحدة التي تتركب من بعض الحروف الهجائية وتدل على معنى جزئي، أي مفرد»^(١).

ويعترض تمام حسان على من عرف الكلمة بأنها «لفظ مفرد» أو «قول مفرد»، وذلك لأنه يرى أن هذا التعريف يغفل عن حقيقة الفرق بين الكلمة وبين اللفظ فالفرق بينهما: «هو فرق ما بين اللغة والكلام». كما يرى أن «القول ربما يكون مركباً من أكثر من لفظ واحد وتقاليد التحليل في اللغة العربية تجعل مقول القول دائماً في صورة جملة»^(٢).

من هذه التعاريف، نستخلص المميزات التي تحدد الكلمة. فالكلمة، على حد تعبير إبراهيم أنيس :

(١) النحو الوافي، ج ١، ص ١٥، ط ٤. القاهرة.

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٣١٧.

« يمكن إفرادها بالنطق، وحذفها من الكلام، وإقحامها فيه، أو الاستعاضة عنها بأخرى»^(١).

وهذا ما لا يتوفر مجموعاً، في الضمير، مثلاً.

البناء الداخلى للكلمة.

تعتبر الكلمة من حيث البناء الداخلى أصغر الوحدات البنائية التى تتألف منها اللغة، إذ لا يمكن تحليلها إلى أجزاء تنطق بمفردها.

وتنقسم الكلمة، بحسب ما بها من لواصق، إلى :

(أ) بسيطة : ما تجردت من اللواحق والسوابق، مثل « ولد ».

(ب) مركبة : ما تكونت بزيادة لاصقة واحدة، على الأقل، لاحقة كانت أو سابقة. مثل « السيف » إذ تعتبر أداة التعريف سابقة يراد منها التعيين، رغم أنها أضيق اللواصق مجال تطبيق، ومثل « عبت » لأن تاء التأنيث لاحقة لبيان النوع. وهى من اللواحق المتصلة التى تعتبر أوسع اللواصق مجالاً^(٢).

التوزيع الموقعى للكلمة (الانفصال والاتصال)

تنقسم الكلمة، حسب الموقع الذى يمكن أن تشغله، إلى قسمين :

(أ) مستقلة، وتسمى أيضاً حرة، وغير مستقلة، وتسمى أيضاً مقيدة.

ويتميز القسم الأول بخصائص، منها أن الكلمة يمكن أن تكون بمفردها جملة،

متى وقعت بين سكتين. يقول حنا ترزى :

« الكلمة الواحدة قد تكون جملة مخزلة نحو «أنا»، جواباً لمن قال : « من

ذهب؟ »^(٣).

(١) دلالة الألفاظ، ص ٣٩، ط ١. القاهرة، ١٩٥٨.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ١٥٩.

(٣) فى أصول اللغة والنحو، ص ١٩٦، بيروت.

ويطلق عليها (بلمفيلد): «الجملة الكلمة»، وتلك هي أصغر أشكال الجملة. وعلى حد تعبير إبراهيم أنيس^(١) «أقصر صورها».

فإذا سألت الأم أحد أولادها: «من أكل التفاحة»، فأجيب: «عمر» كانت كلمة «عمر»، في المثال، أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه. ويشيع هذا النوع من الكلمات التي تعد جملا، بمعونة القرائن، في التراكيب اللغوية الحديثة، وخاصة في عناوين الصحف والمجلات وبعض اللافتات^(٢).

٢ - العبارة:

بناء لغوي يتألف من كلمتين فأكثر، يوجد بينها ترابط يجعل منها وحدة متماسكة يمكن التعويض عنها بكلمة^(٣).

وتختلف العبارة، عن التركيب، بكونها لا تستلزم قيام علاقة الإسناد بين طرفيها، الشيء الذي يجب توفره في التركيب، سواء كان التركيب عبارة عن فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، أو فعل ونائب فاعل.

ويدخل، تحت العبارة، أصناف شتى منها:

١ - المضاف والمضاف إليه مثل: غلام محمد.

٢ - الاسم وتوابعه من:

(أ) نعت، مثل: الرسالة التي توصلت بها.

(ب) توكيد، مثل: الكاتب نفسه.

(ج) عطف، مثل: محمد وعلى.

(د) بدل، مثل: الخليفة عمر.

(١) من أسرار اللغة، ص ١٩٦.

(٢) انظر: الخواص التركيبية للجملة في اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة (مخطوط رسالة قدمها بكلية دار العلوم محمد حسن عبد العزيز، ١٩٧٥) القاهرة.

(٣) انظر: الخواص التركيبية لهجة أم درمان العربية (مخطوط رسالة قدمها بكلية دار العلوم، القاهرة، كمال إبراهيم بدرى).

البناء الداخلى للعبارة :

تنقسم العبارة إلى قسمين :

١ - العبارة غير الفعلية : وهى كل بناء مركب يمكن استبداله بكلمة اسمية .
وتشمل :

(أ) العبارة الإسمية . مثل : كتاب سيويه .

(ب) العبارة الظرفية . مثل : فوق الكرسي .

(ج) شبه الجملة . مثل : على الطاولة .

٢ - العبارة الفعلية : وهى كل بناء مركب يمكن استبداله بكلمة فعلية .
يسمى الجزء الأول فى العبارة ، الرأس ، والجزء الآخر ، الضميمة .

التوزيع الموقعى للعبارة

- تشغل العبارة الاسمية المواقع التى تشغلها الكلمة الاسمية .

- تشغل العبارة الظرفية المواقع التى يشغلها الظرف .

- تشغل شبه الجملة مواقع الصفة .

- تشغل العبارة الفعلية المواقع التى تشغلها الكلمة الفعلية .

وإن ما يهمنى فى الوقوف عند العبارة هو النص على أنها قد أتت جملة ، نحو :
« سبحان الله » . فهذه عبارة تفيد السامع معنى مستقلا بالفهم^(١) ، وكذا نحو
« وأسفاه ! » . ولقد قدر القدماء لأمثال هذه التعابير ما يستقيم به قيام مسند ومسند
إليه ، كتقديرهم لذلك مثلا « أقول » . . .

٣ - التركيب :

بناء لغوى يتألف من مسند ومسند إليه تقوم بينهما علاقة تسمى رابطة الإسناد .

(١) انظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩٠ .

أقسام التركيب :

يمكن أن نقسم، التركيب على ضوء البناء الداخلى، والتوزيع الموقعى . إلى ما يلى :

البناء الداخلى :

ينقسم التركيب، بحسب المسند، إلى :

(أ) التركيب الفعلى : ومسنده وحدة فعلية : « يعمل المجد » .

(ب) التركيب الاسمى : ومسنده وحدة اسمية : « الحكاية معروفة » .

التوزيع الموقعى :

وينقسم من حيث التوزيع الموقعى، إلى :

(أ) التركيب المستقل، وهو الذى يمكن أن يستعمل منفرداً، جملة بسيطة . ويتميز بأنه لا يمكن استبداله بوحدة أقل منه مثل : تسود الأمم برجالها .

(ب) التركيب غير المستقل : وهو الذى لا يمكن أن يستعمل منفرداً جملة بسيطة، ولكنه يمكن أن تتكون منه، منفرداً، جملة صغرى تكميلية، أو كما يسميها تمام حسان « جملة فرعية »^(١) .

مثل التركيب : « يتحادثان » و « كلُّ واحدٍ منهما على بابِ قصرٍ من در » و « قد أعفى من البؤس والضر » (من قول أبي العلاء) :

« ويمضى فى نزهته تلك، بشائين / يتحادثان / كلُّ واحدٍ منهما على بابِ قصرٍ من دُرٍّ / قد أعفى من البؤس والضر »^(٢) .

ويتميز التركيب غير المستقل بأنه يمكن استبداله بوحدة أصغر، كلمة أو عبارة .

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٢١٨ .

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٠١ .

وهو يختلف عن العبارة في كونه يتركب من مسند ومسند إليه، أما هي فتتكون من كلمتين، على الأقل، ولا يتوفر فيهما الإسناد، (كما رأينا).

من بين المواقع التي يمكن أن يشغلها التركيب غير المستقل المواقع التالية.

(أ) موقع المفعول به من كلمة في التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: زعم اليهود أنهم برآء من حريق دير ياسين.

(ب) موقع الصفة من كلمة في التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: جاء ولد يجرى.

(ج) موقع الحال من كلمة في التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: جاء التلميذ والكتاب بيده.

(د) موقع المفعول لأجله من كلمة في التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: ذهبت إلى المسجد لأصلي.

(هـ) موقع فعل الشرط من التركيب المستقل المستعمل معه مثل: إن تتق الله تفر برضاه.

بعد التعرف على أنواع التراكيب وذكر مواقع كل منها في الجملة، ننتقل إلى دراسة أشكال الجملة وخصائصها في الغفران.

الفصل الثاني

أشكال الجملة في رسالة الغفران

(تطبيقاً وإحصائياً)

خصائص الجمل العلائية تطبيقياً

إن هدفنا من تحديد مفهوم الجملة وحصص أقسامها، كما ذكرنا سابقاً، هو إيجاد خطة يتبناها هذا البحث لدراسة الجمل والتراكيب العلائية. وقد أتينا، في بداية هذا الفصل، بتعاريف شتى للجملة، تنوعت مشاربها ما بين عربية وفرنسية وانجليزية، ثم استخلصنا منها جميعاً تعريفاً أشرنا إلى أن هذه الدراسة ستعتمده وهو: الجملة بناء لغوي يعبر عن معنى كامل ومستقل، أي وحدة دلالية تامة، يعبر عنها بوحدات بنيوية مختلفة، ولا تعتبر في بنائها جزءاً داخلاً في تركيب لغوي أكبر، وقد تأتي هذه الوحدة البنيوية كلمة أو عبارة أو تركيباً أو تراكيب.

انطلاقاً من هذا التحديد تعرضنا للحديث عن كل من الكلمة والعبارة والتركيب. وبيدولنا، من خلال ذلك، أن العلاقة القائمة بين الجملة وبين الكلمة والعبارة والتركيب هي علاقة الشيء بنفسه، فقد رأينا أن الكلمة قد تكون جملة وأن العبارة قد تأتي، هي أيضاً، جملة، وأن التركيب، كما يكون جملة مستقلة بنفسها، يقع جزءاً من جملة. فما تعدد أنواع الجمل سوى مظهر لما تحتويه الجملة من أصناف التراكيب.

من الجمل ما تتم الفائدة فيه بتركيب واحد مستقل عما قبله وبعده، استقلالاً تاماً، ومنها ما لا تتوفر فيه الفائدة إلا بتركيبين أو ثلاثة مستقلة، أو غير مستقلة، أوهما معاً، ترتبط فيما بينها بأداة، وقد يكتفى فيها بالربط السياقي.

ونحن، إذ نرغب عن تقسيم الجمل الذي ذكرناه، سابقاً، مما جاء عند

ابن هشام، نرمى إلى تلافى تداخل بعض أنواع الجمل فيه ونرغب في تبني تقسيم يبدو لنا سهل التطبيق. فهاته الدراسة، كما قلنا، تحليلية تطبيقية، أكثر منها نظرية، وإن كنا قد حاولنا وضع تعريف نظرى للجملة ليكون منطلقاً إلى التطبيق.

وهذا يقتضى منا أن نبنى تقسيماً جديداً لأنواع الجمل يعتمد بناءها التركيبى الداخلى.

فما هى تلك الأقسام؟

يمكن، على أساس البناء الداخلى، تقسيم الجملة إلى قسمين كبيرين:

١ - الجملة الكبرى: تتكون من تركيب مستقل.

٢ - الجملة الصغرى: تتكون من تركيب غير مستقل، وقد أتى كلمة،

أو عبارة أو جملة، ولا تظهر فى شكلها الراهن إلا إذا اعتمدت على نطق سابق أو موقف معين، وبذلك تختلف الجملة الصغرى عن الجملة الكبرى لأن هذه الأخيرة يمكن أن تظهر دون أن تتوقف على نطق سابق.

إن الجملة الكبرى لا تتكون دائماً من تركيب واحد مستقل، بل تتنوع محتوياتها. ومن ثم يمكن تقسيمها على ضوء البناء الداخلى إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الجملة البسيطة.

(ب) الجملة المركبة.

(ج) الجملة التركيبية.

وفى ما يلى نعمل على دراسة نماذج علائقية لكل نوع من أنواع الجمل تلك، محاولين تبيان خصائص كل منها فى رسالة الغفران.

نماذج الجمل البسيطة:

تعتبر الجملة البسيطة الصنف الأول من أقسام الجمل الكبرى، وهى ما تكونت على الأقل من تركيب مستقل. وتتميز بخواص من جعلتها:

١ - تتكون من تركيب مستقل واحد فعلى، وتسمى الجملة «الفعلية»، أو من

تركيب مستقل واحد غير فعلى، وتسمى الجملة «الاسمية».

٢ - يمكن أن تظهر بشكلها الراهن، دون الاعتماد على نطق سابق أو موقف معين.

٣ - وكما تأتي الجملة البسيطة مثبتة، تأتي منفية، وتكون تقريرية واستفهامية.

٤ - تخلو من أدوات العطف ومن أدوات الربط التركيبية.

وفيماء يلي سنسوق أمثلة، مما ورد في رسالة الغفران، لكل نوع من أنواعها.

أولاً - الجمل الفعلية: وهى إما أن تكون:

(أ) مثبتة، مثل قول أبى العلاء المعرى:

- «وما زال اليمينُ منذ كان، مَعْدِنًا لِلْمُتَكَسِبِينَ بِالتَّدِينِ وَالْمُحْتَالِينَ عَلَى السُّحْتِ بِالتُّزِينِ»^(١).

(ب) أو منفية، مثل:

- «ولست آمنًا فى العاقبةِ فضيحةً غيرَ مُصَابِقَةٍ»^(٢).

ثانيًا - الجمل الاسمية: وهى إما:

(أ) مثبتة، مثل:

- «والعلومُ تفتقرُ إلى مراسٍ، ودارسٍ لِلْكَتَبِ أَحْيى دِرَاسٍ»^(٣).

- «وهذا تناقضٌ فى الحديثِ»^(٤).

(ب) منفية، مثل:

- «وأما ابنُ الراوندى، فلم يكن إلى المصجلةِ بمهدى»^(٥).

(١) الرسالة، ص ٤٤٢ - السحت: الحرام أو ماخبت من المكاسب فلزم عنه العار.

(٢) الرسالة، ص ٣٩١.

(٣) الرسالة، ص ٣٩٠.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٨.

(٥) الرسالة، ص ٤٦٩ - أحمد بن يحيى شهر بتأليفه الجريئة الكافرة، توفى ببغداد سنة ٣٠٠ هـ.

ثالثاً - الجمل الاستفهامية مثل :

- «هل أردت ببعض معنى كلٌّ؟»^(١).
- «فهل ما حكي صحيحٌ عنك؟»^(٢).

نماذج الجمل المركبة :

ما تكونت، على الأقل، من تركيبين مستقلين، لا يعتمد أى واحد منها على الآخر، وقد يتم الربط بين التركيبين بأداة من أدوات العطف أو الاستدراك، وقد يكتفى بالربط السياقي وتعتبر الجملة المركبة القسم الثانى من أقسام الجملة الكبرى. ومن خواصها أنها :

- ١- تتكون من تركيبين أو أكثر من التراكيب المستقلة.
 - ٢- قد يكتفى فى الربط بين تراكيبها بالربط السياقى.
 - ٣- يتم الربط بين تراكيبها بأداة من روابط التسوية.
- إن الخاصية الأخيرة تقتضى منا وقفة قصيرة، ماذا نعنى بروابط التسوية؟ إنها أدوات تقوم بوظيفة الربط بين تركيبين مستقلين. وهى على صنفين :

(أ) أدوات العطف، مثل: الواو، الفاء، ثم، أو، ...

(ب) أدوات الاستدراك، مثل: لكن، بل، ...

والفرق بين أدوات العطف وأدوات الاستدراك هو أن الأولى تستعمل للربط

بين :

(١) الرسالة، ص ٢١٦.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٦.

(أ) كلمتين، مثل قول أبي العلاء :

- « وفي تلك الأنهار، أوانٍ على هيئة الطيرِ السابحة، / و/ الغانية عن الماءِ السائحة »^(١).

- « فيأخذُ سَفَرَجَلَةً، / أو/ رُمَانَةً، / أو/ تَفَاحَةً، / أو/ مَا شَاءَ اللهُ من الثَّارِ »^(٢).

(ب) عبارتين، مثل :

« فهل لك أن نركبَ فرسين من خيل الجنة فنبعثهما على صيرانها / و/ خيطان نعامها / و/ أسرابٍ ظبائها / و/ عاناتٍ حمرها »^(٣).

(ج) تركيبين، أو أكثر، نحو:

« وينظرُ الشيخُ في رياضِ الجنة / ف/ يرى قصرين مُنيقين / ف/ يقول في نفسه... »^(٤).

وفيا يخص أدوات الاستدراك فإنها لا تستعمل إلا للربط بين تركيبين مستقلين. ويعد ظهورها، في أي شكل لغوي، دليلا على أن هذا الشكل جملة مركبة.

ونعود الآن إلى التراكيب التي تربط بينها أداة من روابط التسوية.

إنها تتميز بالخواص التالية :

(أ) إنها تراكيب مستقلة، فلا يربط بأداة التسوية بين تركيب مستقل وآخر غير مستقل، أو تركيبين غير مستقلين.

(١) الرسالة، ص ١٤٩.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٣) الرسالة، ص ١٩٥.

- الصيران : جمع صوار، بضم الصاد وكسرهما، قطع البقر.

- الخيطان : جمع خيط، الجماعة من النعام أو الجراد.

- عانات : جمع عانة، القطيع من بقر الوحش.

(٤) الرسالة، ص ١٨١.

(ب) الغالب أن تكون التراكيب متجانسة في الشكل، أى يربط التركيب الفعلى بالفعل، والاسمى بالاسمى.

(ج) من غير الغالب أن تكون التراكيب المربوطة غير متجانسة في الشكل، أى أن أحدها فعلى والآخر اسمى.

تلك مجمل خصائص الجمل المركبة.

وقد لاحظنا أن أبا العلاء، كما يربط بين التراكيب المستقلة في الجمل المركبة بأداة، يكتفى بالربط السياقى في جمل أخرى، ويجمع بين نوعى الربط في الجملة المركبة الواحدة.

وكما يربط بين التركيبين المتجانسين، يربط بين التركيبين غير المتجانسين.

بناء على ذلك، يمكن تقسيم الجمل المركبة في الاستعمال العلائى إلى ما يلى :

- ١ - ما ربط بين تراكيبها بأداة من روابط التسوية.
 - ٢ - الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب متجانسة.
 - ٣ - الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة.
 - ٤ - ما ربط بين تراكيبها بالربط السياقى، أى دون أداة.
 - ٥ - ما ربط بين بعض تراكيبها بأداة وبين بعضها الآخر بدون أداة.
- وفى ما يلى، نسوق لكل نوع منها شواهد من رسالة الغفران :

النوع الأول :

الجمل المركبة التى ربطت بين تراكيبها أداة من روابط التسوية.

يمكن تقسيم هذا النوع حسب صنف الأداة الرابطة إلى ما تم الربط فيه بأداة من أدوات العطف وما تم الربط فيه بأداة من أدوات الاستدراك.

١ - الربط بالعطف :

كثيراً ما يستعمل أبو العلاء، للربط بين تركيبين مستقلين أو أكثر، في الجملة المركبة، أداة عطف واحدة كما قد يجمع بين عاطفين أو أكثر، كالتالى :

(أ) ما جاء فيه الربط بـ «الواو» الجمل التي تتكون من :

- تركيبين مستقلين، مثل :

«أَلْفَيْتَ حُكْمًا لِلْمَغْفِرَةِ مُوجِبًا، /و/ لم يكن عن الرحمة محجّبًا؟»^(١).

«ولقد كنت تأخذُ جوائزَ الملوكِ، بغير استحقاقٍ /و/ إنَّ غيرَكَ أولى بالأعطيةِ والصَّلاتِ»^(٢).

«وإنَّ الصَّابِرَ ماجورٌ محمودٌ /و/ لا ريبَ أنَّ سيِّدَ الرِّبِّمَنِ ظَعَنَ شَرِبٌ مَثْمُودٌ»^(٣).

- ثلاثة تراكيب مستقلة، مثل :

«ولا ريبَ أَنَّهُ قد جالَسَ بقاياهم /و/ اختَبَرَ فى المُعاشِرَةِ سجاياهم /و/ عاظُوهُ الأَكْثُوسَ أَلاتِ التَّصاوِيرِ، على عادِ المَرَازِبَةِ الأَساوِيرِ، كما قال الحكيمُ»^(٤).

- أربعة تراكيب مستقلة، مثل :

«فُتْطِرِبَانِ من سَمِعَ /و/ تَسْتَفِرَّانِ الأَفئِدَةَ بالسُّرُورِ /و/ يَكْثُرُ حَمْدُ اللهِ سُبْحانَهُ، كما أنعمَ على المؤمنين والتائبين /و/ خلصهم من دارِ الشَّقْوَةِ إلى مَحَلِّ النِّعَمِ»^(٥).

(ب) وما جاء فيه الربط بـ «الفاء» الجمل التي تتكون من :

- تركيبين مستقلين، مثل :

(١) الرسالة، ص ١٨٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٦.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٩٩.

(٥) الرسالة، ص ٢٧٥.

« وَيَسْأَلُ عَنْ امْرِئٍ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ / ف / يُقَالُ هَا هُوَ ذَا بَحِيثٍ
يَسْمَعُكَ »^(١).

- ثلاثة تراكييب مستقلة، مثل :

« فَيَدْعُوهُ الشَّيْخُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ / ف / يَجِدُهُ مِنْ ظُرَافِ النَّدْمَاءِ / ف / يَسْأَلُهُ
عَنْ أَخْبَارِ الْقَدَمَاءِ »^(٢).

« وَيَجُوزُ أَنْ يَقْذِفَنِي السَّابِحُ عَلَى صَخُورٍ زُرْمِدٍ / ف / يَكْسِرُ لِي عَضْدًا
أَوْ سَاقًا / ف / أَصِيرُ ضَحْكَةً فِي أَهْلِ الْجَنَانِ »^(٣).

- « فَوَجَدْتُهُ خَالِيًا لَا عَرِيبَ عِنْدَهُ / ف / بَلَوْتُ نَفْسِي فِي الْعُبُورِ / ف /
وَجَدْتُني لَا أَسْتَمْسِكُ »^(٤).

(ج) - ومن الجمل المركبة التي تم الربط فيها بأدوات متنوعة ما نجد فيه :

- الواو والفاء مثل :

« وَإِنَّمَا لِأَحْسَنُ مِنَ الْوَجُوهِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْجَعْدِيُّ / و / زَعَمَ أَنَّ حُسْنَهَا
بَدِي / ف / قَالَ . . . »^(٥).

« قَالَ : فَأَخَذْتُ بِطَيْخَةٍ / و / سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ الْقَطَارِ / ف / وَجَدْتُ فِيهِ
جَمَلًا أَعْوَرَ / ف / ذَنُوتٌ مِنْهُ بِالْبَطِيخَةِ / ف / أَخَذَهَا أَخْذَ مَرِيدٍ
مُسْتَهٍ »^(٦).

- الفاء والواو، مثل :

« وَيَعْرِضُ لَهُمْ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ / ف / يَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزَلِهِ بِالْقَيْسِيَّةِ / و /
يُقَسِّمُ عَلَيْهِمْ لَيْذَهُنَّ مَعَهُ »^(٧).

(١) الرسالة، ص ٣١٣.

(٢) الرسالة، ص ١٨٤.

(٣) الرسالة، ص ١٩٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٦٠.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٠ - الجعدي: النابغة.

(٦) الرسالة، ص ٤٦٩.

(٧) الرسالة، ص ٢٦٧ لبيد بن ربيعة من فحول الشعراء أدرك الإسلام فأسلم.

- الفاء وثم، مثل :
«وَهَمَّتْ بِالْحَوْضِ / ف / كَدْتُ لَا أُصِلُ إِلَيْهِ / ثم / نَغَبْتُ مِنْهُ نَغَبَاتٍ
لَا ظَمًا بَعْدَهَا»^(١).

- ثم والفاء، مثل :
«فِيَقُولُ، خَلَدَ اللَّهُ أَلْفَاظَهُ فِي دِيْوَانِ الْأَدَبِ : كَأَنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ فِعْلًا
أَخَذَ مِنَ الزُّبْرَجِدِ / ثم / بُنِيَ مِنْهُ الزُّبْرُجُ / ف / قد لَزِمَكَ عَلَى هَذَا أَنْ
تَكُونَ الْأَفْعَالُ قَبْلَ الْأَسْمَاءِ»^(٢).
«فَأَخَذَنِي الْهَلَعُ وَالْقِلُّ أَى الرَّعْدَةُ / ثم / هَتَفَ الثَّانِيَةَ / ف / لم يُجِبْهُ
مُجِيبٌ»^(٣).

- الواو وثم، مثل :
«وَالشَّيْعَةُ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ ، وَهُوَ مِنْ بَاهِلَةَ ،
كَانَ مِنْ عِلْيَةِ أَصْحَابِ «جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ» عَلَيْهِ السَّلَامُ / و / رَوَى عَنْهُ
شَيْئًا كَثِيرًا / ثم / ارْتَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ»^(٤).

- ثم والواو، مثل :
«وَلَعَلَّهُ يَوَدُّ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُ ذُبِیحَ عَنْ كُلِّ مَنْ قُتِلَ فِي عِدَانِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي
نَهْلِ مِدَانِهِ / ثم / خَلَصَ مِنَ الْعَذَابِ الْمَطْبُوقِ / و / اسْتَنْقَذَ عُتْقَهُ مِنَ
الرَّبْقِ»^(٥).

٢ - الربط بالاستدراك :

يلاحظ أن أبا العلاء، قليلا ما يستعمل أداة الاستدراك لكن، في الربط بين
التركييب المستقلة، بالجملة المركبة. إن كل الأمثلة التي عثرنا عليها في الرسالة ترد

(١) الرسالة، ص ٢٥٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٦.

(٣) الرسالة، ص ٢٥٦.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٧، - القداح ادعى النبوة، مات حوالى سنة ٢٦٠هـ.

(٥) الرسالة، ص ٤٩٠. النهل : أول الشراب - المدان : الماء الملح - الربق : جمع ريقة : العروة في الحبل.

فيها «لكن» وهي مصحوبة دائماً بـ «الواو». ولعل أبا العلاء يؤيد بذلك مذهب من يرى أن «لكن»، متى استعملت لعطف جملة على جملة وجب اقترانها بالواو، وينقل لنا ابن هشام أن «لكن»، حين تقترن بالواو، تكون عاطفةً، جملة على جملة، وأن هذا هو ما يذهب إليه سيبويه^(١).

وفيما يلي نسوق لذلك بعض الأمثلة الواردة في الرسالة، يقول أبو العلاء:

«وَأَمَّا الطَّبِيبَةُ، فَإِنَّهَا لَا تُوصَفُ بِحَيْنٍ / وَلَكِنْ / تَبْتَقَلُّ بَلْبٌ مَنِينٌ»^(٢).

- «سَتَرَنَ الْأَنْفُسَ فَمَا تَبَرَّجَنَ / وَلَكِنْ / بِالرَّغْمِ خَرَجَنَ»^(٣).

- «وَمَا يَحْفَلُ رَبُّهُ بِالْعَبِيدِ صَائِمِينَ لِلْخَيْفَةِ وَلَا مَفْطِرِينَ / وَلَكِنْ / الْإِنْسَ غَدَوًا مُخْطَرِينَ»^(٤).

وقد يجمع أبو العلاء، في الجملة المركبة الواحدة، بين الربط بأداة العطف والربط بأداة الاستدراك، وذلك في مثل قوله:

«وَلَا مَلَامَةٌ عَلَيْهِ، إِنَّمَا هِيَ عَادَةٌ صَارَتْ كَالطَّبْعِ / ف/ مَا حَسَنَ بِهَا مَأْلُوفِ الرَّيْعِ / لَكِنْ / هَا تُعْتَفَرُ مَعَ الْحَاسِنِ / وَ / الشَّامُ قَدْ يَظْهَرُ عَلَى الْمَرَّاسِنِ»^(٥).

ومثل:

«وَكذَلِكَ أَنَا أَفْتَرُسُ مَا شَاءَ اللَّهُ / ف/ لَا تَأْذَى الْفَرِيْسَةُ بِظَفْرِ وَلَا نَابٍ / وَلَكِنْ / تَجِدُ مِنَ اللَّذَّةِ مَا أَجْدُ بِلُطْفِ رَبِّهَا الْعَزِيزِ»^(٦).

(١) المغني، جـ ١، ص ٢٩٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٦.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٦.

(٥) الرسالة، ص ٤١٥. - الشام: الخال، واحده شامة - المرَّاسِن: جمع مرسن وهو موضع الرسن من الدابة،

الخد.

(٦) الرسالة، ص ٣٠٥.

النوع الثاني :

نتقل الآن إلى الجمل المركبة التي تحتوى على تراكييب متجانسة .

جل الجمل المركبة العلائية جاءت تراكييبها متجانسة . وإن كل الأمثلة التي سقناها للنوع الأول، فيما عدا المثال الأخير جاءت متجانسة الجهة، أى أن التراكييب ذات الفعل الماضى معطوفة على مثيلاتها، وكذلك ذات الفعل المضارع والأمر . كما أنها متجانسة من حيث الفعلية والاسمية . وفيما يلي سنسوق أمثلة أخرى لكل منها :

١ - جمل مركبة، تراكييبها فعلية متجانسة في الجهة، وقد جاءت أفعالها كالتالى :

(أ) ماضية، مثل :

- « نَقَلَ هَوْلَاءِ الْمُسْمَعَاتِ مِنْ زَيْ رَبَّاتِ الْأَجْنِحَةِ إِلَى زَيْ رَبَّاتِ الْأَكْفَالِ الْمُرْجِحَةِ / ثُمَّ / أَلْهَمَهُنَّ بِالْحِكْمَةِ حِفْظَ أَشْعَارٍ لَمْ تَمُرُّ قَبْلَ بِمَسَامِعِهِنَّ / فَجِئْنَ بِهَا مَتَقَنَةً مَحْمُولَةً عَلَى الطَّرَائِقِ مُلْحَنَةً مُصِيبَةً فِي لَحْنِ الْغِنَاءِ مُنَزَّهَةً عَنِ لَحْنِ الْهَجْنَاءِ »^(١) .

- « وَالتَفَتَ «إِبْرَاهِيمَ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَأَى وَقَدْ تَخَلَّفَتْ عَنْهُ / فَرَجَعَ إِلَى / فَجَذَبَنِي جَذْبَةً حَصَلَنِي بِهَا فِي الْجَنَّةِ »^(٢) .

(ب) مضارعية، مثل :

- « وَيَخْطِرُ لَهُ، جَعَلَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ مَرْبُوبًا وَوَدَّهَ فِي الْأَفْتَدَةِ مَشْبُوبًا، غِنَاءَ الْقِيَانِ، «بِالْفُسْطَاطِ» فِي «مَدِينَةِ السَّلَامِ» / وَيَذَكُرُ تَرْجِيْعَهُنَّ بِمِيمِيَةِ الْمُخْبَلِ السَّعْدِيِّ / فَتَنْدَفِعُ تِلْكَ الْجَوَارِي الَّتِي نَقَلْتَهُنَّ الْقَدْرَةَ مِنْ خَلْقِ الطَّيْرِ اللَّاقِطَةِ إِلَى خَلْقِ حَوْرٍ غَيْرٍ مُتْسَاقِطَةٍ، تُلْحَنُ قَوْلَ الْمُخْبَلِ السَّعْدِيِّ »^(٣) .

(١) الرسالة، ص ٢٢٦ .

(٢) الرسالة، ص ٢٦٢ .

(٣) الرسالة، ص ٢٢٤ . - المخبل السعدى ربيعة بن مالك السعدى، كنيته أبو زيد، شاعر مقدم، هاجر إلى البصرة.

- «ويشب «نابغة» بنى جعدة» على «أب بصير» / فيضربه بكونه من ذهب»^(١).

٢- جل مركبة، تراكيها اسمية متجانسة، مثل :

«أما المطية فآلية / وأما المزادة فخالية / والركب يقتدر إلى الحصاة / وكلهم بهش
للوصاة»^(٢).

«أنا بحمد الله في عيش قصر أن يصفه الواصفون / ولذئ نواصف وناصفون
لا هرم ولا برم»^(٣).

النوع الثالث :

الجملة المركبة التي تحتوى على تراكيب غير متجانسة :

هذا النوع قليل الورد في الرسالة وما وجدناه من الجملة المركبة غير المتجانسة
عبارة عن :

١- جملة مركبة فعلية غير متجانسة من حيث الجهة.

٢- جملة مركبة غير متجانسة من حيث الاسمية والفعلية.

١- جاءت أفعال شواهد الجملة المركبة الفعلية غير المتجانسة في الجهة كما يلي :

- أمر + ماض، مثل :

«فامض لطيتك / ، فقد أخذت بكلامنا ما شاء الله»^(٤).

«فيقول : أخبرني عن أشعار الجن / فقد جمع منها المعروف بالمرزبان قطعة

صالحة»^(٥).

(١) الرسالة، ص ٢٣١.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٩، بهش إليه : أقبل عليه مسروراً، حن إليه - الوصاة، كحصاة، واحدته الوصي : جريدة

النخل.

(٣) الرسالة، ص ٢١٥. نصف فلاناً: خدمه.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٩١.

٢ - شواهد الجمل المركبة غير المتجانسة من حيث الاسمية والفعلية :

(أ) تركيب فعلى + تركيب اسمى :

« فيذهب (...) فإذا هو بيّيت في أقصى الجنة... »^(١).

وقد يأتي المسند إليه في التركيب الأسمى شبه جملة، مثل :

« فيقول « نابعةً بنى جعدة »، ما جعلت الشينَ قط رويًا، وفي هذا الشعر ألفاظٌ

لم أسمع بها قطُّ : ريش، وسمهة، وخشش »^(٢).

ونجد بعض النحاة، ممن لا يميزون عطف التركيب الفعلى على الاسمية

والعكس، يقدرون، في أمثال هذا التركيب، متعلقًا للجار والمجرور فعلا « يستقر »

« ويوجد »، ليستقيم عطف التركيب الفعلى المقدر على التركيب الفعلى الظاهر.

(ب) تركيب اسمى + تركيب فعلى، مثل :

« وهذه غريزةٌ خصَّ بها الشيخُ دون غيره / وتعايشُ العالمُ بخداع / وأضحوا من

الكذب في إبداع »^(٣).

« وأما الطَّيِّبَةُ فإنها لا توصف بحنينٍ / ولكن تبتَّئِلُ بلُبِّ منينٍ »^(٤).

« وهذا البيتُ يتداولُهُ النحويون / وزعم بعضُ المتأخرين من أهل العلم أنه

مصنوعٌ / وما أجدره بذلك »^(٥).

(ج) تراكيب فعلية وتراكيب اسمية، وذلك كقوله :

- « وما يلحقني الشُّكُّ في أنَّ « دِعْبَلَ بَنَ عَلِيٍّ » لم يكن له دينٌ / وكان يتظاهر

بالتشيع / وإنما غرضُهُ التكسب / وكم أثبتَ نسباً بتنسُّبٍ ! / ولا أرتابُ أن

(١) الرسالة، ص ٣٠٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٠٩.

(٣) الرسالة، ص ٣٨١.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٦.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٨.

«دعبلا» كان على رأى «الحَكَمِيَّ» وطَبَقْتَهُ / وَالزَّنْدَقَةَ فِيهِمْ فَاشِيَّةٌ / وَمِنْ دِيَارِهِمْ نَاشِيَّةٌ^(١).

- «ثم نادى الثالثة، فأجابهُ قائل يقول : نعم قد شهدتُ توبةَ «على بن منصور» وذلك بأخرةٍ من الوقت / وحضرت متابهُ عِنْدِي جماعَةٌ من العُدُولِ ، وأنا يومئذٍ قاض حَلَبَ وأعمالها / . والله المُستعان»^(٢).

يلاحظ أن أمثلة الجمل المركبة التي لا تتجانس تراكيبها قليلة جدًا، في رسالة الغفران، وهذا يبين لنا حرص أبي العلاء على أن تأتي تراكيب جملة المركبة متجانسة، وهو بذلك يسير طبقا لما هو شائع في اللغة العربية.

النوع الرابع :

ننتقل، الآن، إلى الحديث عن الجمل المركبة التي ربط بين تراكيبها الربط السياقي.

إن الشواهد من هذا النوع قليلة الورد بالرسالة، هي أيضًا، فنادرًا ما يستغنى أبو العلاء، في مجموع تراكيب الجملة المركبة عن الأداة. إنه يميل إلى الربط بين بعض تراكيب الجملة المركبة بأداة وبين بعضها الآخر يكتفى بالربط السياقي، كما سنراه فيما بعد.

ومن أمثلة الربط السياقي قوله :

- «فتقول : لقد خَطِطْتُ في أفْكارِكَ / ما خَيْرَ لكَ في ابتكارِكَ»^(٣).

- «فقال أميرُ المؤمنين : لا عليك / أَلَك شاهدٌ بالتَّوْبَةِ؟»^(٤).

- «ودنانيرُهُ بإذْنِ اللَّهِ مُقَدَّساتُ / ما هُنَّ بالْحَرْجِ ملدَّسات»^(٥).

(١) الرسالة، ص ٤٢٠ - دعبل بن على : شاعر عباسي، كان يحضر مجالس اللهومع أبي نواس توفي سنة ٢٤٦ هـ.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٦ - على بن منصور: ابن القارح مراسل أبي العلاء.

(٣) الرسالة، ص ٣٠٦.

(٤) الرسالة، ص ٣٥٦.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٥.

- « على أنه لا بد من أمانةٍ مُفْتَرَقَةٍ في البلاد / تكونُ لِلخَيْرِ مِنَ التَّلَادِ »^(١) .
 يلاحظ أن الجمل المركبة التي يكتفى فيها أبو العلاء بالربط السياقي تتكون، غالباً، من تركيبين مستقلين، لا أكثر، كما يبدو من الأمثلة المعروضة. ولعل ذلك يؤكد ما قلناه من أن أبا العلاء يميل أكثر إلى الربط بنوعيه بين تراكيب الجمل المركبة الطوال.

النوع الخامس :

الجمل المركبة التي ربط بين بعض تراكيبها بأداة، وبين بعضها الآخر بدون أداة .

تعتبر أغلبية الجمل المركبة في رسالة الغفران من هذا النوع . فأبو العلاء لا يكاد يستغنى، في مجموع تراكيب الجملة المركبة، عن الأداة ويكتفى فيها بالربط السياقي، وإنما يميل، غالباً، إلى الربط بين بعض التراكيب المستقلة بالأداة وبين بعضها الآخر بالربط السياقي . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

- « فقالوا نحن بخير إنا نلتذ بتحف أهل الجنة / غير أننا محبوسون للكلمة السابقة / ولا نريد أن نَسْرِعَ إلى الجنة قبل الميقاتِ / ، إذ كنا آمينين ناعمين، بدليل قوله تعالى : »^(٢) .

- « فقال الحكيم قولاً معناه : أخطأ ذلك الشابُّ المقتبلُ / له ولأمه يَحِقُّ الهبلُ / هلاً صَبْرَ على صُرُوفِ الزمانِ / حتى يَمْنُوهُ القَدْرُ مان ؟ / فإنه لا يشعرُ علام يقدمُ / ولكل بيت هَدَمَ »^(٣) .

- فيقول الهاتفُ : أنا ذلك الرَّجُلُ / منَّ الله علىَّ بعد ما صِرتُ من جهنم على شفيرٍ / ويَسْتُ من المغفرة والتكفير »^(٤) .

(١) الرسالة، ص ٥٦٦ .

(٢) الرسالة، ص ٢٥٨ .

(٣) الرسالة، ص ٣٩٥ - مناه الله بكذا : يمينه ويمنوه منياً ومنواً : ابتلاه .

(٤) الرسالة، ص ١٧٧ .

- « كم شابٌ في بني كلاب ماتَ عبطةً/وما بلغ من الدنيا غبطة/رمَاهُ بسحاف قاتلٍ، إذْمانُ المعتقَّةُ ذاتِ المخاتلِ»^(١).

تلك أمثلة الجمل المركبة التي جمع فيها أبو العلاء بين الربط بالأداة وبين الربط السياقي. ونلاحظ أن تراكيب بعض تلك الجمل تصل، أحياناً، إلى سبعة أو ثمانية تراكيب، كما يتجلى ذلك من خلال الأمثلة التي سقناها.

الخلاصة :

من دراستنا لنماذج الجمل المركبة، نستنتج أن هذه الجمل غالباً ما تأتي مركبة من ثلاثة تراكيب فأكثر، وأن أبا العلاء يميل إلى الربط بالأداة وأن أكثر تلك الأدوات انتشاراً، في الرسالة، هي : الواو والفاء، وتليهما ثم، ولكن. كما نستخلص أن أبا العلاء يختار تراكيب جملة المركبة متجانسة في الجهة وفي الفعلية وفي الاسمية باستثناء جمل قليلة جاءت تراكيبها غير متجانسة.

وكما يستعمل المعرى الربط بأدوات التسوية وحدها، كذلك يختار الجمع بين نوعي الربط، أي يستعمل في الجملة المركبة الواحدة الربط بالأداة بين بعض تراكيبها والربط السياقي في البعض الآخر. ونلاحظ أيضاً، أن الجمل المركبة التي استغنى فيها أبو العلاء عن الأداة قليلة لا تتألف غالباً من أكثر من تركيبين. وفيما يلي ننتقل إلى دراسة نماذج للجمل التركيبية الواردة في الغفران.

نماذج الجمل التركيبية

هي ما تكونت من تركيب مستقل، و تركيب أو أكثر غير مستقل. وقد يتم الربط بين تراكيبها بأداة ربط تركيبية، وقد يكتفى بالربط السياقي. وتعتبر الجمل التركيبية القسم الثالث من أقسام الجملة الكبرى وتتميز بأنها :

١ - تتكون من تركيب واحد مستقل، ومن تركيب أو أكثر غير مستقل.

(١) الرسالة، ص ٥٥٧. - مات عبطة : أي شاباً صحيحاً.

٢ - يرتبط التركيب المستقل مع التركيب غير المستقل بأداة من أدوات الربط التركيبية .

٣ - قد يكون الربط بين التركيب المستقل والتركيب غير المستقل ربطاً سياقياً .
ونشير إلى أن أدوات الربط التركيبية على نوعين :

- مفردة، مثل :
إن - لو - إذا - من - لولا - لام التعليل - اللام الواقعة في جواب الشرط -
لما - بينها - واو الحال .

- مركبة، مثل :
إما + ... وإما
لا + ... الا
لا + ... حتى .

تتميز التراكيب التي تربط بينها أدوات الربط التركيبية بالخواص التالية :
كونها تركيباً مستقلاً مع تركيب غير مستقل، فلا يربط بأدوات الربط التركيبية
بين تراكيب مستقلة .

وكما تكون التراكيب متجانسة، في الجهة والشكل، قد تأتي غير متجانسة .
يلاحظ أن أبا العلاء يربط بين تراكيب بعض الجمل التركيبية بأداة وفي بعضها
الأخر يكتفى بالربط السياقي . وكما تأتي تراكيب تلك الجمل متجانسة تأتي أيضاً
غير متجانسة .

بناء على ذلك، يمكن تقسيم الجمل التركيبية، كما جاءت في الغفران إلى ستة
أنواع :

١ - الجمل التركيبية التي ربط بين تراكيبها بأداة من أدوات الربط التركيبية
المفردة .

٢ - الجمل التركيبية التي ربط بين تراكيبها بأداة من أدوات الربط التركيبية المركبة.

٣ - ما ربط بين تراكيبها بالربط السياقي.

٤ - الجمل التركيبية التي تحتوى على تراكيب متجانسة.

٥ - الجمل التركيبية التي تحتوى على تراكيب غير متجانسة.

٦ - الجمل التركيبية التي ربط بين تراكيبها بأداتين من أدوات الربط التركيبية.

هذه هي أنواع الجمل التركيبية العلائية. ونسوق، الآن، أمثلة لكل منها.

النوع الأول :

أغلب الجمل التركيبية، الواردة في رسالة الغفران، يربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط المفردة، وقد تنوعت أدوات الربط التركيبية المفردة، في الغفران، تنوعًا كثيرًا.

يستعمل أبو العلاء من تلك الأدوات :

إن، لو، إذا، لما، لولا، من، لام التعليل، الفاء واللام الواقعتان في جواب الشرط، بينا، واو الحال.

ونشير إلى أن الأداتين، « الفاء » و « اللام » تأتيان دائمًا مع أداة من أدوات الشرط حيث تنصدر هذه الأخيرة صدر الجملة التركيبية، أما الفاء أو اللام فتصدران جواب الشرط لتربط التركيب غير المستقل بالتركيب المستقل. فتأتى الجمل التركيبية على النحو التالى :

الأداة + تركيب غير مستقل + أداة + تركيب مستقل.

وفىما يلى أمثلة لنهاج جمل هذا الصنف :

إن :

«فإن / قال من أمّ لَقَطٍ / جاز أن يقولَ : حُواري بأقَطٍ»^(١).

ونجد هذا التركيب نفسه يتردد ٢٥ مرة في فقرات متوالية^(٢).

إن + الفاء :

«/ إن / ظَهَرَ مني تَحَرُّزٌ في بعضِ المواطنِ / فـ / إنما ذلك على طريقةِ الحزيمِ،
كما جاء في الكتاب العزيز»^(٣).

لو + اللام :

«/ لَوُ / أدركتُ محمدًا / لَ / كنتُ أولَ المؤمنين»^(٤).

إذا :

«/ إذا / قَضُوا الأَرَبَ من الطعامِ / جاءتِ السِّقَاةُ بأصنافِ الأَشْرِبَةِ والمسمعاتُ
بالأصواتِ المطربة»^(٥).

لما :

«/ لما / عَلِمُوا ذلك كَشَفُوهُ عَنِّي»^(٦).

لولا :

«/ لَوْلَا / أَنَّهُ ضَرَى بالحبرِ ما افتقرَ إلى ضِرْوٍ مطلوبٍ أو غصنٍ من العتمِ
مَجْلُوبٍ»^(٧).

(١) الرسالة، ص ١٦٢ - الأقط: الجين.

(٢) الرسالة، من ص ١٥٧ إلى ص ١٦٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٤) الرسالة، ص ١٨٣.

(٥) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٦) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٧) الرسالة، ص ٢٢١-٢٢٢. - ضرى: تلتخ - الحبر: وسخ الأسنان، - الضرو: شجرة الكَمَكَم.

مَنْ + الفَاء :

« / مَنْ / رَضِيَ بِصَحْبَةِ الْعَقَّارِ / فِ / قَدْ خَلَعَ ثَوْبَ الْوَقَّارِ »^(١).

لام التعليل :

« فيقول أبو عثمان : ليس ذلك بدليل على أَنَّ الهمزة زائدة / لِـ / انَّهُمْ قد قالوا ناسٌ وأصله أناس، وميَّهَةٌ لجُدري الغنم، وإِنما هو أميَّهة »^(٢).

بيننا :

« / بينا / هم كذلك / إذ مرَّ شابٌ في يده مِحْجَنٌ ياقوتٍ مَلَكُهُ بالحكم الموقوتِ »^(٣).

واو الحال :

« ولقد بلغتُ بعددِ البيوتِ ما لم يبلغهُ أحدٌ من العربِ قَبلي / و / أنتِ لاهِ بعفارتِكِ تفتري على كرائم قومك »^(٤).

وننتقل الآن إلى الحديث عن الجمل التركيبية التي ربط بين تراكيبيها أداة من أدوات الربط المركبة.

النوع الثاني :

من أدوات الربط التركيبية المركبة في الغفران نذكر :

إِما + ... وإِما، لا + ...، إِلا، لا + ... حتى.

وها هي ذى بعض الأمثلة لكل منها.

(١) الرسالة، ص ٥٥٦.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٣) الرسالة، ص ٢١٥ - المحجن: العصا المنعطفة الرأس.

(٤) الرسالة، ص ٢٢٩ - العفارة: الخبث والمكر.

إما + ... وإما :

«/إمّا/ أن يكونَ قاله تحسیناً للكلام على مذهبِ الشُعراءِ، /وإمّا/ أن يكونَ فعله فغُفِرَ له»^(١).

لا + ... إلا :

«/ لا / تَمَّ الكلمةُ / إلا / وأبو بصيرٍ قد خَمَسَهُمْ»^(٢).

لا + ... حتى :

«ف/ لا / تكْمَل هذه المقالةُ / حتى / يجمَع الله كلَّ فُقاعِي في الجنةِ، من أهلِ العِرَاقِ والشامِ وغيرهما من البلادِ، بين أيديهم الولدانُ المُخلدُونَ يَحْمِلُونَ السُّلالَ إلى أهلِ ذلك المَجْلِسِ»^(٣).

ما + ... إلا :

مازجرتم عن شيءٍ / إلا / وركبتموه»^(٤).

النوع الثالث :

الجملة التركيبية التي تم الربط بين تراكيبها بالربط السياقي .

يكتفى أبو العلاء، أحياناً، بالسياق كرابط بين التركيب المستقل والتركيب غير المستقل . إنه لا يستخدم أداة الربط التركيبية، حينما يقع، مثلاً التركيب غير المستقل نعتاً أو عندما يقع حالاً في بعض أنواع التراكيب الفعلية التي لا تستدعي واوا ليربط بين الحال وصاحبه .

(١) الرسالة، ص ٢١٩ .

(٢) الرسالة، ص ٢٠٤ . انظر مثلاً آخر في ص ٢٠٦ .

(٣) الرسالة، ص ٢٨٠ .

(٤) الرسالة، ص ٣٥٠ .

- مثال للنعت :

«إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لَنَشْرًا / لَا يَزِيدُ عَلَى نَشْرِ الْفَانِيَةِ عَشْرًا وَلَكِنْ يَشْفُ بَعْدَ لَا يُدْرِكُ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَتْرَكٌ»^(١).

وسن عقد فصلاً خاصاً بالنعت في رسالة الغفران، نفصل القول فيه على الجمل الواقعة نعتاً.

- مثال الحال :

«كُنْتُ أَقِيمُ عَشْرَ لَيَالٍ أَوْ أَكْثَرَ / لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَكْرِشَةِ وَلَا الْقَوَاعِ»^(٢).

النوع الرابع :

أغلب الجمل التركيبية، في الغفران، يتجانس فيها التركيب المستقل والتركيب غير المستقل. وجل الأمثلة التي سقناها، سابقاً، من هذا النوع.

يحيى التركيب المستقل والتركيب غير المستقل معاً، في شكل فعلى، وفي شكل غير فعلى، كما يلي :

(أ) تركيب مستقل فعلى + تركيب غير مستقل فعلى، مثل :

«وَلَوْ حَضَرَ أَخُوْنَةٌ حَضَرَهَا الشَّيْخُ / لَعَادَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ»^(٣).

«وَقَدْ مَأْ طَلَبَ النَّدَامَى مَطْبُوحَاً، شَبَّانَاً فِي الْعُمْرِ وَشِيُوخَا / يُنَافِقُونَ بِالصَّفَةِ وَيُوَارُونَ وَعَنِ الصَّهْبَاءِ الْعَاتِقَةِ يُدَارُونَ»^(٤).

(ب) تركيب مستقل اسمي + تركيب غير مستقل اسمي، مثل :

«وَمَعَ الْمِنْصَفِ بَاطِيَةً مِنَ الزُّمَرِدِ / فِيهَا مِنَ الرَّجِيحِ الْمُخْتَوِمِ شَيْءٌ يُمَزَّجُ بِزَنْجَبِيلٍ وَالْمَاءِ أَخَذَ مِنْ سَلْسَبِيلٍ»^(٥).

(٤) الرسالة، ص ٥١٥.

(٥) الرسالة، ص ١٨٥.

(١) الرسالة، ص ٢٢٣.

(٢) الرسالة، ص ٣٠٦.

(٣) الرسالة، ص ٣٩٩.

النوع الخامس :

الجمل التركيبية التي تحتوى على تراكيب غير متجانسة. أمثلة هذا النوع جاءت على الشكلين التاليين :

(أ) تركيب مستقل فعلى + تركيب غير مستقل اسمى، مثل :
«وقد تزوّجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم خديجةً بنتَ خُوَيْلِدٍ / وهو شابُّ / وهى طاعِنَةٌ فى السَّنِ»^(١).

(ب) تركيب مستقل اسمى + تركيب غير مستقل فعلى، مثل :
«فإِذَا هِىَ خَرَجَتْ كَالْعَادَةِ / فـ / اسأَلُوا فى أمرى بِأَجْمَعِكُمْ فَلَعَلَّهَا تَسأَلُ أَبَاهَا فى»^(٢).

«والصَّدُقُ لَدَيْهِ كَالْحِصَاةِ / تُوطَأُ بِأَقْدَامِ عَصَاةٍ»^(٣).

النوع السادس :

الجمل التركيبية التي ربطت تراكيبها أداتان من أدوات الربط التركيبية. لا يكتفى أبو العلاء، أحياناً، بأداة ربط تركيبية واحدة بل يتعدها إلى اثنتين أو ثلاث. ومن ذلك قوله :

«ولو/ نزل بها شيءٌ تنغيّرُ به عن العهدِ / لـ / تمنى أن تُقذفَ إلى غيرِ المهْدِ / لـ / إنَّ ابنَ آدمَ بخيلٌ ملوؤٌ تسرى به إلى المنيّةِ أمونٌ ذُلُولٌ»^(٤).

«/ لو/ أنه أحدٌ لصوصِ العربِ الذين رُويت لهم الأمثالُ السائرةُ، وتحدّثتُ بهم المنجدةُ والغائرةُ / لـ / ما اغتفرتُ ما صنَعَ بما نَظَمَ / لـ / أنه أفرطُ وأعظَمُ، أى

(١) الرسالة، ص ٥٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٢٥٧.

(٣) الرسالة، ص ٤٤٨.

(٤) الرسالة، ص ٣٩٧. - المهدي: الموضع، والأرض السهلة المنخفضة.

أَتَى عَظِيمَةً وَبَتَكَ مِنَ الْقَلَائِدِ نَظِيمَةً»^(١).

تلك بعض نماذج الجمل التركيبية الواردة في الغفران ومن خلال دراستنا لها استخلصنا الملاحظات التالية :

(أ) أغلب الجمل التركيبية هي الجملة التي يربط بين تراكيبيها أداة من أدوات الربط التركيبية.

(ب) تعتبر: أَنْ، لَوْ، إِذَا، لَمَّا، أكثر أدوات الربط التركيبية انتشاراً في الرسالة.

ومما تجدر الإشارة إليه، بهذا الصدد، هو أننا نجد بالرسالة فقرات متتالية، بل أحياناً صفحتين أو أكثر تتوالى فيها جمل تركيبية تربط بين تراكيبيها أداة من أدوات الربط التركيبية، وتكرر تلك الأداة نفسها مع كل الجمل مرات عديدة. وهذه بعض النماذج :

- في الصفحات، من ١٥٧ إلى ١٦٤، تتردد الجمل التركيبية ذات الأداة «إِنْ» ٢٥ مرة كما أشرنا، منذ قليل.

نفس الأداة تتردد في جمل تركيبية متتالية، في الصفحات، من ٤٧٩ إلى ٤٨١. ويتحدث فيها أبو العلاء عن الطيرة وعواقبها. ومن ذلك قوله :

«و/إِنْ/ عَرَضَتْ لَهُ خَنَسَاءٌ مِنَ الْبَشَرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنَ الشَّرِّ، يَقُولُ: أَخَافُ مِنْ رَفِيقِي يَخْنَسُ»^(٢) وَأَمْرٌ يُدْنِسُ / وَإِنْ / كَانَتْ الْخَنَسَاءُ مِنَ الْوَحُوشِ نَفَرَ قَلْبُهُ مِنْ الْحُوشِ، / إِنْ / رَأَاهَا سَانِحَةً هَزَّتْ مِنْ رُغْبِهِ جَانِحَةً، يَقُولُ قَدْ ذَهَبَ أَهْلُ عَقْلِ وَاغْفَر، مِنْ أَرْبَابِ الْمُنَاسِمِ وَصَحْبِ الْحَافِرِ، يَتَطَيَّرُونَ بِالسَّنِيحِ، وَيَرْهَبُونَ مَعَهُ ذَهَابَ

(١) الرسالة، ص ٤٠٤ - البتك: القطع، وبتك الجبل قطعه.

(٢) خنس يخنس، خنساً وخنوساً، تأخر، تنحى.

السانح والسنيح: ما أتاك عن يمينك من طائر أو ظبي، وكان بعضهم ينطير به.

المنيح بالفتح: قذح من قذاح الشراب يؤثر بفوزه، يتيمن به ويتبرك.

المنيح / وإن / أُنْتَهُ بِقَدَرٍ بَارِحَةٍ، عَائِنَ بِهَا النَّجْلَاءَ الْجَارِحَةَ، يَقُولُ: أَلَمْ يَكْ ذُووْ خَيْلٍ وَسُرُوجٍ، يَخْشَوْنَ الْعَائِلَةَ مِنَ الْبُرُوجِ؟ / وإن / لَقِيَ رَجُلًا يُدْعَى أَحْنَسَ فَكَأَنَّمَا لَقِيَ هِزْبَرًا تَبَهَّنَسَ...»^(١).

- تتردد في الصفحتين ٢٩٣، ٢٩٤، حيث يقص أبو العلاء إحدى مغامرات جنى، الأداة التركيبية «لما» كقوله:

«دَخَلْتُ مَرَّةً دَارَ أَنَاسٍ أُرِيدُ أَنْ أَصْرَعَ فِتَاءَهُ لِهِمْ، فَتَصَوَّرْتُ فِي صُورَةِ عَضَلٍ، أَيْ جُرْدٍ، فَدَعَا لِي الضِّيَّائُونَ^(٢) /لَمَّا/ أُرْهَقْتَنِي تَحَوَّلْتُ صِلًا أَرْقَمَ، وَدَخَلْتُ فِي قَطِيلٍ^(٣) هُنَاكَ. ف/لَمَّا/ عَلِمُوا ذَلِكَ كَشَفُوهُ عَنِّي ف/لَمَّا/ خِفْتُ الْقِتْلَ صِرْتُ رِيحًا هَفَافَةً فَلَجِئْتُ بِالرَّوَاغِدِ^(٤) وَنَقَضُوا تِلْكَ الْخُشْبَ وَالْأَجْدَالَ^(٥) فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَجَعَلُوا يَتَفَكَّهُونَ وَيَقُولُونَ: لَيْسَ هَا هُنَا مَكَانٌ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتِرَّ فِيهِ ف/بَيْنَا/ هُمْ يَتَذَكَّرُونَ ذَلِكَ، عَمَدْتُ لِكَعَابِهِمْ فِي الْكِلَّةِ^(٦) ف/لَمَّا/ رَأَيْتَنِي أَصَابَهَا الصَّرْعُ...»

- مثال آخر نجده في الصفحات من ٥٦٠ إلى ٥٧٤. يستطرد أبو العلاء من الحديث عن دنائير ابن القارح إلى ذكر أخبار لها تعلق بالدينار وعشاق الدينار. إن ما يلاحظ في أسلوب هذه الصفحات هو أن الجمل التركيبية ذات الأداة «لَوَ» تكتسح جل الفقرات وإن لم تتوال فيها، كما توالى الأدوات المشار إليها سابقاً.

- تتردد الجمل التركيبية ذات الأداة التركيبية المفردة «مَنْ» في الصفحة ٥٥٦، وفيها يتحدث أبو العلاء عن مدمنى الخمر وما يعترهم من سوء العاقبة، ومن ذلك قوله:

«/مَنْ/ اصْطَبَحَ فَيَهْجَأُ فَقَدْ سَلَكَ إِلَى الدَّاهِيَةِ مِنْهَجًا /مَنْ/ اغْتَبَقَ أُمَّ لَيْلَى، فَقَدْ سَحَبَ فِي الْبَاطِلِ ذَيْلًا /مَنْ/ غَرَى بِأَمْ رَبَّنَقَ فَقَدْ سَمَحَ بِالْعَقْلِ الْمَوْبِقِ /مَنْ/ حَمَلَ

(١) الرسالة، ص ٤٨٠.

(٢) الضيائون: جمع ضيون وهو السطور الذكر.

(٣) القطيل، والمقطول: المقطوع من أصل جذع.

(٤) الرواغد: جمع رافدة وهي خشبة السقف، الوصلة.

(٥) الجذال من الشجرة: أصلها الباقي بعد ذهاب فروعها.

(٦) الكلة غشاء رقيق يتقى به من البعوض.

بالراحة راحاً فقد أسرع للرشد سراحاً/ من/ رضى بصحبة العقار فقد خلغ ثوب
الوقار/ من/ آدمناً قرقفا فليس على الواضحة موقفا/ من/ سدك بالخرطوم رجع إلى
حال المفظوم».

إن أمثال هذه الجمل تتكرر مع الأداة التركيبية المفردة «إذا» في الصفحات ٥١٧
إلى ٥٢١ وفيها يستطرد أبو العلاء من الحديث عن توبة ابن القارح إلى قص قصة
خيالية تتعلق بموضوع التوبة، ويختم القصة بقوله:

«و/إذا/ صحت الأخبار المنقولة بأن أهل الآخرة يعلمون أخبار أهل العاجلة،
فلعل حوارية المعدات له في الخلد، يسألن عن أخباره من يرد عليهن من الصلحاء
فيسمعن مرة أنه «بالفسطاط» وتارة أنه «بالبصرة» ومرة أنه «ببغداد» وخطرة أنه
«بحلب»، ف/إذا/ شاع أمر التوبة ومات ناسك من أهل «حلب»، أخبرهن
بذلك فسرن وابتهجن وهنأهن جاراتهن»^(١).

هكذا تتردد أمثال تلك الجمل التركيبية ذات الأداة الواحدة، والنغم المتناسق
مرات كثيرة. وكأني بأبي العلاء، وهو يملئها، يرتاح لها كامل الارتياح، الشيء
الذي قد لا يستسيغه المبصرون. فهل يعزى ذلك إلى عماء، أو إلى طبيعة الإملاء؟
قد يكون الاثنان، معاً، أثرا على الأسلوب، على أن العمى يقتضى الإملاء حتماً.

إن العمى عاهة، بيد أن شخصية أبي العلاء المتحدية قد استطاعت أن تملئ،
وتبرع في الإملاء، فتميزت عن كثير من الكتاب العمى، كما تميزت عن كثير من
الكتاب المبصرين. فللغة المعرى خاصيات تركيبية ينفرد بها نثره. أليس للإملاء
فنية خاصة؟ إن الذي تعود التأليف كتابة يعجز عنه إملاء، ولعل هذا ما يعانيه
سارتر بعد أن فقد بصره.

سئل سارتر أخيراً لماذا توقف عن الكتابة، وعماء إذا كان فقدان البصر هو
السبب، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يملئ؟ أجاب، إن الكتابة لا تتحقق عنده
إلا بقلمه وأصابعه هو، لا بأصابع مستعارة، ثم لكي تكون كلماته مسبوكاً

(١) الرسالة، ص ٥٢١.

تأماً، وأسلوبه منسجماً ودقيقاً، يجب أن يعيد كتابة الجمل مرات عديدة. فيحرر الفكرة في أشكال متنوعة.

هذه هي بعض الملاحظات التي استنتجناها من دراسة أنواع الجمل التركيبية. وفي الصفحات التالية سنعمل على إبراز أهم خصائص الجمل العلائية ومميزاتها.

خصائص الجمل العلائية إحصائياً

قلنا سابقاً إننا نجز لأنفسنا أن نصف أبا العلاء بأنه كاتب ذو نفس تركيبى طويل، وذلك لما لاحظنا فى تراكيبه وجمله من امتداد داخلى، أى ترابط تراكيب عديدة مستقلة وغير مستقلة داخل الجملة الواحدة. وقد كانت تلك الملاحظة الدافع الأول الذى جعلنا نغير اهتماماً خاصاً للجملة العلائية. وهكذا خصصنا لها هذا الباب. وبعد أن درسنا أنواع الجمل الواردة فى رسالة الغفران، وحاولنا الكشف، من خلال الشواهد المتعددة، عن خصائص كل من الجمل البسيطة، والمركبة، والتركيبة استخلصنا أن بعض الأنواع قليل الورد، وبعضها الآخر شائع مطرد.

ونحن إذ نتعرض لدراسة الجمل والتراكيب، نود أن نتعرف على ميل أبى العلاء فى اختيار نوع خاص من تلك الجمل، ونرغب فى معرفة أيها أكثر تواتراً فى الغفران، وبالتالي ماهو الطابع العام الذى يطبع التراكيب العلائية ويميزها. لذا سنقوم بتجربة إحصائية، نحدد لنا نسبة كل نوع من الجمل لئرى فيما إذا كانت المركبة والتركيبة أعلى نسبة من الجمل البسيطة، كما يبدو لأول وهلة فى لغة الرسالة، أم أن الواقع عكس ذلك. ولتحقيق هذا اخترنا المنهج التالى:

(أ) استقراء عام لجملة الرسالة.

(ب) إحصاء عدد جمل كل نوع.

(أ) التجربة الاستقرائية :

لقد بدا لنا، من خلال استقراء جمل رسالة الغفران، أن الجمل البسيطة أقل أنواع الجمل وروداً بها، فقليلاً ما نعثر على تركيب واحد مستقل بنفسه، ما عدا الجمل التى يستخدمها أبو العلاء فى شرح بعض المفردات، مثل قوله:

«والفَرْضُ ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ»^(١).

«وَأَمَّا الْمُسْقَةُ الدَّهْمَاءُ فَإِنَّهَا الْقِدْرُ»^(٢).

«أَعْظَمُ أَى أُنَى عَظِيمَةٌ»^(٣)

«وَهى (شِقْد) فِرَاحُ الحِجْلِ»^(٤).

«وَهى (العِمَارِيس) الجِدَاءُ»^(٥).

«وَهُوَ البَرَقُ الكَاذِبُ»^(٦).

ويمكن أن نعتبر هذه الجمل وأمثالها بسيطة إذا نظرنا إليها مستقلة عما قبلها، رغم أنها تأتي مفسرة لكلمة ترد في تركيب سابق. ومسبوقه في غالب الأحيان، بالأداة المفسرة «أى» كما سنرى ذلك في فصل قادم.

هناك نوع آخر من الجمل التي قد تعتبر بسيطة، هو الجمل الدعائية، مثل قول
أبي العلاء:

«حَسَنَ اللهُ الأَيَّامَ بِطُولِ عُمُرِهِ»^(٧).

«أَصْلَحَ اللهُ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ»^(٨).

«عَرَفَهُ اللهُ الغِبْطَةَ فِي كُلِّ سَبِيلٍ»^(٩).

عما لا شك فيه أن الجمل الدعائية ترتبط ارتباطاً دلالياً بما قبلها. وإن كانت هذه الجمل الدعائية والجمل المفسرة، تدخل ضمن الجمل التي لا محل لها من الإعراب في الجملة التي توجد بها، كما يقرر ابن هشام. إلا أنه يبدو لنا أن استقلالها بالفائدة عما قبلها ليس استقلالاً تاماً، وهى بذلك، كما يظهر، تظل نوعاً خاصاً من الجمل، سواء جاءت بسيطة أم مركبة.

(٦) رسالة الغفران، ص ٣٩١.

(٧) رسالة الغفران، ص ١٧٥.

(٨) رسالة الغفران، ص ٢٣١.

(٩) رسالة الغفران، ص ٣٠٧.

(١) رسالة الغفران، ص ١٦٢.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٤٥.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٠٤.

(٤) رسالة الغفران، ص ١٦٠.

(٥) رسالة الغفران، ص ٢٧١.

بصرف النظر عن هذين النوعين من الجمل البسيطة الواردة في الغفران فإن نتائج الاستقراء الإجمالية أبدت لنا أن أقل أنواع الجمل التي يستخدمها أبو العلاء هو الجمل البسيطة، وسنحاول أن نضبط هذا الاستنتاج بعملية الإحصاء التالية :

(ب) التجربة الاحصائية :

وقع اختيارنا في هذه التجربة على نموذجين للإحصاء :

١ - صفحات اخترناها اعتباطياً.

٢ - خمس صفحات متوالية من القسم الأول من الرسالة، وخمس صفحات أخرى من القسم الثاني.

فيما يلي نورد حصيلة العمل في كل نموذج.

النموذج الأول :

إحصاء عدد الجمل البسيطة والمركبة والتركيبية في الصفحات التالية : ١٩٨ - ٢٣٣ - ٤٢٤ - ٥٧١ - ٢٨٠ .

(أ) صفحة ١٩٨، وفيها يصف أبو العلاء مشهد صيد ابن القارح لوحوش الجنة. بها من أنواع الجمل ما يعرضه الجدول التالي مع بعض الأمثلة :

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	« فيكف عنه مولاى الشيخ الجليل ».
مركبة	٢	- « فيقولُ الشيخُ : فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَمَيَّزْنَ / فَمَا كَانَ مِنْكَنَّ قَدْ دَخَلَ الْفَانِيَةَ فَمَا يَجِبُ أَنْ يَحْتَلِطَ بِوُحُوشِ الْجَنَّةِ ».
	٣	- « فيقولُ ذلكُ الوحشِيُّ : لَقَدْ نَصَحْتَنَا نَصَحَ الشَّفِيقِ / وسوفُ نُمَثِّلُ ما أَمَرْتُ ».

نوع الجمل	العدد	أمثلة
تركيبية	٤	<p>- «فإذا نظر إلى صِوَار تَرْتَعُ في دَقَارِي الفِرْدَوْسِ، والدَّقَارِي: الرياضُ / صَوَّبَ مولاى الشَّيْخُ المِطْرَدَ، وهو الرمحُ القصيرُ، لأخْسَنَ ذِيَالٍ / قد رتَعَ طَوِيلَ أيامٍ وليالٍ».</p> <p>- «فإذا لم يبق بين السَّنَانِ وبينه إلا قَيْدُ ظُفْرِ / قال: «أَمْسِكْ / رَحِمَكَ اللهُ فَإِنِ لَسْتُ من وحشِ الجَنَّةِ التي أَنْشَأَهَا اللهُ سَبْحَانَهُ / وَلَمْ تُكُنْ في الدارِ الزائِلَةِ / وَلَكِنِّي كُنْتُ في مَحَلَّةِ الغُرُورِ / أروُدُ في بعضِ القِفَارِ / فمرَّ بي رَكْبٌ مؤْمِنُونَ / قد كَرَى^(١) زادهم / فصرَعُونِي / واستعانوا بي على السَّفَرِ / فَعَوَّضَنِي اللهُ / جَلَّتْ كَلِمَتُهُ / بأنَّ أَسْكَنْتَنِي في الخُلُودِ».</p> <p>- «فإذا صارَ الخِرْصُ^(٢) منه يَقْدِرُ أَمْلَةً / قال: «أَمْسِكْ يا عبدَ اللهِ / فَإِنَّ اللهُ أَنْعَمَ عَلَيَّ / وَرَفَعَ عَنِّي البُؤْسَ / وذلك أَنِي صَادَنِي صَائِدٌ بِمِخْلَبٍ / وَكَانَ إِهَابِي لَهُ كَالسَّلْبِ / فباعَهُ في بعضِ الأَمْصَارِ / وَصَرَّاهُ لِلسَّانِيَةِ صَارَ / فَأَتَّخِذَ مِنْهُ غَرَبٌ / شَفِي بِمَائِهِ الكَرْبُ / وَتَطَهَّرَ بِنزيعِهِ الصَّالِحُونَ / فشمَلتَنِي بركة من أولئك / فدخلت الجَنَّةَ / أَرْزَقُ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ».</p>

يلاحظ أن الجملة التركيبية الثانية تتكون من :

الأداة + تركيب مستقل + تركيب غير مستقل (يتكون من ستة تراكيب مستقلة
تربط بينها الواو مرة، والفاء مرة أخرى).

(١) كرى زاده: نقص.

(٢) الخرص، مثلة الخاء: نصف السنان الأعلى، وقيل هو الرمح. وبالكسر وحده: الرمح اللطيف القصير.

ومما يلفت النظر هو أنه في التراكيب الثلاثة المستقلة الأولى من هذه الستة، تركيب غير مستقل يقع حالاً، يرتبط بالتركيب المستقل بالربط السياقي. فجاءت ثلاثتها مرصوفة على نفس الوتيرة:

«فإني لستُ من وحشِ الجنةِ التي أنشأها اللهُ سبحانه / ولم تكنُ في الدارِ الزائلة».

«ولكني كنتُ في محلةِ الغرورِ / أروُدُ في بعضِ القفار».

«فمر بي ركبٌ مؤمنون / قد كرى زادهم».

ويلاحظ، كذلك، أن الجملة التركيبية الثالثة تتكون من:

- الأداة + تركيب مستقل + تركيب غير مستقل يتكون من عشرة تراكيب مستقلة يربط بينها الواو، أحياناً، والفاء أحياناً أخرى، وأحد هذه التراكيب العشر به تركيب غير مستقل معطوف عليه آخر مستقل وهو:

«فأُخِذَ منه غُربٌ شُفيَ بمائه الكُربُ / وتطهَّرَ بنزيعه الصالحون».

(ب) صفحة ٢٣٣، يصف أبو العلاء نهاية مشهد شجار قام بين «الأعشى» و«النابعة الذبياني». بهذه الصفحة من أنواع الجمل ما يلي:

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	«وقيلَ لِبعضهم: متى يُخافُ شَرِّبني فلان؟».
مركبة	٧	«فيريدُ - بلَّغَه اللهُ إرادَتَه - أن يُصلِحَ بينَ الندماءِ / فيقولُ: يجبُ أن يُخَذَرَ من مَلِكٍ يعبرُ/ فيرى هذا المجلسَ / فيرفعُ حديثَه إلى الجبارِ الأعظمِ / فلا يُجِرُّ ذلكَ إلا إلى ما تَكرهان».

نوع الجمل	العدد	أمثلة
تركيبية	١	« فيقول نابغةُ بنى جعدةً : قد كان الناسُ في أيام الخادعةِ يظهرُ عنهم السُّفهُ بِشُرْبِ اللَّبَنِ ، لا سِيباً إِذَا كانوا أَرْقاءَ لِثامًا كما قال الراجز . . »

(ج) صفحة ٤٢٤ ، وموضوعها حديث عن « القطربلى » . نجد بهذه الصفحة من أنواع الجمل :

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	« والخربقُ سُمُّ الكلابِ مَعْرُوفٌ » .
مركبة	٤	« فأما أن يَعْمَلَ الرجلُ شيئاً من كتابٍ / ثم يُتَمِّمَهُ الآخرُ فهو أَسْوَعُ في المعقولِ من أن يُجْتَمِعَ عليه الرجلانُ » .
تركيبية	٢	« ونحوُ منه قِصَّةُ الخالديين اللذين كانا في « المُوَصِّلِ » / وهما شاعِرانُ / وقد كانا عند سيفِ الدَّوْلَةِ / وانصَرَفاً على حَدِّ مُغاضِبَةٍ / ولهما ديوانٌ / يُنسَبُ إليهما / لا ينفردُ فيه أحدهما بشيءٍ دُونَ الآخرِ إلا في أشياء قليلةٍ / وهذا مُتَعَدِّرٌ في وِلْدِ « آدم » إذ كانت الجِبِلَّةُ على الخِلافِ وقِلَّةِ المِوافِقَةِ » .

(د) صفحة ٥٧١ وفيها طرف من حديث أبي العلاء عن دنانير ابن القارح . بهذه الصفحة من الجمل ما يلي :

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	«وإنما ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِقَوْلِ الْأَعْمَى...»
مركبة	٠	
تركيبية	٣	«ولو كان الإنسان في قَلِيبٍ عُمَقُهُ ثمانونَ قامَةً لجازَ أن تَسْتَنْقِذَهُ هذه المِصْفَرَةُ من غيرِ مرضٍ، والزائِلَةُ بما يعْتَرِضُ من الجَرَضِ» ^(١) .

(هـ) صفحة ٢٨٠ يصف أبو العلاء الولدان المخلدين يحملون سلال الفقاع.
بهذه الصفحة نجد:

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	«فيقول قائلٌ من الحاضرين: من ذكرَ هذا من أهل اللغَةِ؟»
مركبة	٢	«فيقولُ في نفسه: قد علمتُ أن الله قديرٌ/والذي أريدُ نحو ما كُنتُ أراهُ مع الطوافين في الدارِ الذاهبة».
تركيبية	٣	«ويَحْطِرُ له ذِكرُ الفقاعِ الذي كان يُعْمَلُ في الدارِ الخادعة/ فيجري اللهُ بقدرته أنهارًا من فقاع/الجرعةُ منها لو عُدِلتْ بلذاتِ الفانيةِ منذ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ إلى يوم/ تَطْوِي الأُمَّمَ الآخرةُ / لكانت أفضلَ وأشْفَى».

(١) الجرض: الريق يفض به.

ماذا نستخلص من إحصاء أنواع الجمل في صفحات هذا النموذج؟ يبدو جلياً أن نسبة ورود الجمل البسيطة أقل بكثير من نسبة كل من الجمل المركبة والتركيبية إذ تساوى سُدُس مجموع الجمل. والجدول التالي يعطينا نتائج إحصاء الجمل في الصفحات المتقدمة:

العدد	نوع الجمل
٥	البسيطة
١٥	المركبة
١٣	التركيبية

نتقل الآن إلى إحصاء أنواع الجمل في النموذج الثاني.

النموذج الثاني:

صفحات متتالية متتامة من الفصل الأول من رسالة الغفران وأخرى من الفصل الثاني.

وقع اختيارنا على الصفحات التالية:

(أ) من صفحة ٢٤٩ إلى صفحة ٢٦٢ من الفصل الأول.

(ب) من صفحة ٤٤٩ إلى صفحة ٤٦٢ من الفصل الثاني.

(أ) صفحات الفصل الأول (من ٢٤٩-٢٦٢).

يحكى ابن القارح في هذه الصفحات قصة حشره وما لقيه من مشاق قبل دخول اللجنة. وقد استخلصنا من إحصاء جمل هذه الصفحات أن عدد جمل كل نوع هو ما يلي:

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	٢٤	«فأيكم راعي الإبل»؟ ^(١) .
مركبة	٢٦	«وشُغِلْتُ بِخَطَابِهِم والنظر في حَوِيرِهِمْ فسقطَ مِنِّي الكتابُ الذي فِيهِ ذِكرُ التَّوْبَةِ» ^(٢) .
تركيبية	٤٥	«فلما عَظُمَ الزُّحَامُ طَارَتْ فِي الهَوَاءِ وَأنا متعلِّقٌ بِالرُّكَّابِ، فوقفْتُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ صلي اللهُ عَلَيْهِ وسلم فقال: مَنْ هَذَا الأناوِي؟ أَي الغريب، فقالتُ له: هذا رجل سألَ فِيهِ فلانُ وفلانُ/وسمت جماعة من الأئمة الطاهرين/فقال: حتَّى يُنْظَرَ فِي عمله» ^(٣) .

(ب) صفحات الفضل الثاني: (من ٤٤٩ إلى ٤٦٢).

يتحدث فيها أبو العلاء عن الحلاج، ومذهبي الحلولية والتناسخ:

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١٤	«وأصحابُ العربيةِ مُجمِعُونَ على كراهةِ قِراءةِ حمزةَ: (وما أنتمُ بِمُصْرِحِيٍّ)، بِكسرِ الياء» ^(٤) .
مركبة	٢٤	«ويُصَوِّرُ لَهُمُ الرَّأْيَ الفاسدُ أبا جِيرٍ ومشبَّهاتٍ/فيسلُكُونَ فِي تُغْلَسٍ وفي التُّرْهاتِ» ^(٥) .

(١) الرسالة، ص ٢٦٢.

(٢) الرسالة، ص ٢٥٦ - الحوير: الجواب، والاسم من المحاورة.

(٣) الرسالة، ص ٢٥٩-٢٦٠. (٤) الرسالة، ص ٤٥٥. (٥) الرسالة، ص ٤٥٩.

نوع الجمل	العدد	أمثلة
تركيبية	٦	«وحدثنى قومٌ من الفقهاء / ما هم في الحكاية بكاذبين / ولا في أسباب النحل جاذبين أنهم كانوا في بلاد محمود / وكان معه جماعة من الهند / قد وثق بصفائهم / يفيض عليهم الأعطية لوفائهم / ويكونون أقرب الجند إليه إذا حلّ وإذا ارتحل / وأن رجلاً منهم سافر في جيش / جهزه «محمود» / فجاء خبره أنه قد هلك بموت أو قتل / فجمعت امرأته لها حطباً كثيراً / وأوقدت ناراً عظيمة / واقتممتها / والناس ينظرون» ^(١) .

ويمكن أن نلخص مجموع نتائج صفحات النموذج الثاني في الجدول التالي :

نوع الجمل	العدد
بسيطة	٣٨
مركبة	٥٠
تركيبية	٦٩

خلاصة الإحصاء :

تؤكد لنا التجربة الإحصائية في نموذجها السابقين النتيجة التي استخلصناها من التجربة الاستقرائية إذ تسجل أرقام الإحصاء فيها أن عدد الجمل البسيطة أقل من عدد الجمل المركبة والتركيبية، فهي على أكبر تقدير لا تتعدى الربع من مجموع

الجمل العلائية . والجدول التالى يعطينا النتائج الإجمالية لإحصاء أنواع الجمل فى النموذجين السابقين :

العدد	نوع الجمل
٤٣	البسيطة
٦٥	المركبة
٨٢	التركيبية

تلك هى الخاصية الأولى التى تتميز بها الجمل العلائية فى لغة رسالة الغفران . وفيما يلى نتناول تحليل خاصية أخرى تتعلق بتقنية تركيب أبى العلاء لجمله المركبة والتركيبية .

من الملاحظ أن التفرقة بين الجمل التركيبية والجمل المركبة فى لغة الرسالة صعبة جداً، ذلك أن بين النوعين تداخلاً كبيراً، حيث أننا كثيراً ما نجد أبى العلاء يبدأ جملة مركبة (تركيب مستقل + تركيب مستقل) ثم يفرع عن الجملة كلها أو عن تركيب من تراكيبيها المستقلة تركيباً أو تراكيب أخرى غير مستقلة تكون صفة أو حالاً لأحد أركان التركيب السابق، فتجدنا أمام جملة تبدأ مركبة وتنتهى تركيبية .

وبالمثل، غالباً ما نجد جملاً أخرى تبدأ تركيبية (تركيب مستقل + تركيب غير مستقل) ثم يفرع عنها كلها أو عن أحد تراكيبيها تركيب أو تراكيب أخرى مستقلة معطوفة على سابقها، بأداة أحياناً، وبدون أداة أحياناً أخرى . وبذلك تنتهى الجملة التركيبية بالجمع بين عناصر الجملة المركبة .

كل ما تقدم يجعل الجمل « المركبة » و « التركيبية » تجمع بين خصائص النوعين معاً، فيصعب التمييز بينهما، وبالتالي، يصعب إخضاع التراكيب العلائية لمقاييس

مضبوظة مدققة تميز كل نوع من الجمل على حدة.

التطبيق :

الجمل اللى تبدئى مركبة وتتحول، لما بها من تراكيب غير مستقلة، إلى جمل ذات خصائص الجمل المركبة والتركيبية. من ذلك قول أبى العلاء :

- « فبعث^(١) معى رجلاً / فلما قص^(ب) قصتى على أمير المؤمنين قال : أين بيئتك؟ يعنى^(ج) صحيفة حسناتي^(١) .

تتكون الجملة من ثلاث تراكيب مستقلة : (أ، ب، ج).

ويربط بين التركيب (أ) و (ب) « الفاء » وبين التركيب (ب) و (ج) الربط السياقى .

بالتركيب (ب) أداة شرط « لما » (أداة ربط تركيبية) تتطلب بدورها تركيبين أحدهما غير مستقل :

« قص قصتى على أمير المؤمنين » .

والآخر مستقل :

« قال : أين بيئتك؟ » .

مثال آخر :

« وأخذ^(١) اليهودى / وذهب^(ب) إلى حديقته / فوجد فيها^(ج) امرأته وأبناءه وهم يأكلون من جناها / فجعل يدخل إصبعة^(د) فى أفواههم فيخرج ما فيها من التمر^(٢) .

تتكون هذه الجملة المركبة من أربعة تراكيب مستقلة هى المشار إليها بالحروف (أ - ب - ج - د) . يربط بين التركيبين (أ) و (ب) رابط التسوية « الواو » وبين التركيبين (ب) و (ج) ثم (ج) و (د) « الفاء » .

(٢) الرسالة، ص ٥٢٧ .

(١) الرسالة، ص ٢٥٤ .

ويلاحظ أن التركيب (ج) يتكون بدوره من تركيب مستقل :
« فوجد فيها امرأته » .

وتركيب غير مستقل :
« وهم يأكلون من جناها »
ويربط بينهما « واو الحال » .

ويتكون التركيب (د) من تركيبين مستقلين عطف ثانيهما على الأول بأداة العطف (الفاء) ف / يُخْرِجُ مَا فِيهَا مِنَ التَّمْرِ

مثال آخر :

« فيبتدئ^(١) بزهير / فيجده شأباً^(ب) كالزُّهْرَةَ الجَنِّيَّةَ / قد وهب^(ج) له قَصْرٌ من ونية كأنه ما لبس^(د) جلباب هَرَمٍ ولا تأفَّفَ من البَرَمِ^(١) .

تتألف الجملة من أربعة تراكيب : (أ - ب - ج - د) وهي تتوالى كما يلي :
التركيب (ب) : مستقل معطوف على التركيب (أ) .

التركيب (ج) : غير مستقل، حال من « زهير » في التركيب المستقل (أ) .
التركيب (د) : تركيب مستقل حال من « زهير » في التركيب المستقل (أ) ،
أيضاً، ويحتوى على تركيب مستقل آخر، هو :

« ولا تأفَّفَ من البَرَمِ » ، معطوف « بالواو » على التركيب : « ما لبسَ جِلْبَابَ هَرَمٍ » .

مثال آخر :

« فيقول مولاى الشيخ الأديبُ المُعْرَمُ بالعلم : يا أبا ليلي^(١) / لقد طال^(ب) عهدك بالفاظ الفُصحاء / وشغلك^(ج) شرابُ / ما جاءتك^(د) بمثله بابلٌ ولا أذرعَات / وثنتك^(هـ) حُوم^(٢) الطيرِ الراتعةِ فى رياضِ الجنةِ / فنسيت^(٣) ما كنتَ عرَفْتَ^(٤) .

(٢) الرسالة، ص ٢٠٩ .

(١) الرسالة، ص ١٨٢ .

مثال آخر :

«وَأَمَّا الْقِصَّارُ فَجَهْلٌ يُجْمَعُ وَيُصَارُ / وَلَوْ تَبَعَ حِقًّا مَقْرُوبًا / لَكُفِيَ سُمًّا
مشروبًا»^(١).

تلك بعض أمثلة الجمل التي تبدأ مركبة ثم نجد في بعض تراكيبها المستقلة،
تراكيب غير مستقلة تجعل الجملة تجمع بين خصائص الجملة المركبة والجملة
التركيبية...

وفيا يلي نسوق أمثلة للشكل الثاني.

الجمل التي تبتدئ تركيبية ثم تتحول لما تحتوى عليه من تراكيب مستقلة، إلى
جمل تجمع بين خصائص الجمل التركيبية والجمل المركبة. ومن ذلك قول أبي
العلاء :

- «فإذا رأى^(١) قلة الفوائد لديهم / تركهم^(ب) في الشقاء السرمد / وعمد^(ج)
لمحلّه في الجنان / فيلقى آدم، عليه السلام^(د)، في الطريق / فيقول : يا أبانا^(هـ)،
صلى الله عليك قد روى لنا عنك شعر منه قولك»^(٢).

تتكون الجملة من خمسة تراكيب : (أ - ب - ج - د - هـ) وقد جاءت
كما يلي :

التركيب (أ) غير مستقل.

التركيب (ب) مستقل.

التركيب (ج) مستقل معطوف بالوار على التركيب المستقل (ب).

التركيب (د) مستقل معطوف بالفاء على التركيب المستقل (ج)، ويحتوى
التركيب على جملة دعائية : «عليه السلام».

التركيب (هـ) تركيب مستقل معطوف «بالفاء» على التركيب (ج) ويتكون من

(١) الرسالة، ص ٤٣٧. الحق من الإبل : الطاعن في السن للذكر والأنثى - المقروب المصاب بالقرب أى الخاصرة.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٠.

مقول القول الذى يتألف من ثلاثة تراكيب مستقلة يربطها رابط سياقى ، وهى :
« يا أبانا ، « صلى الله عليك » ، « قد روى لنا عنك شعر منه قولك » .

مثال آخر :

- « تَهْدِرُ فِيهِ الصَّهْبَاءُ^(١) / الْمُعْتَصِرَةُ / وَهِيَ فِي قُرْبِ يَتَاجُ^(ب) ، كَالسَّقَابِ الْمَوْضُوعَةِ
بِغَيْرِ إِخْدَاجٍ / فَإِذَا وَصَلَتْ^(ج) سِنَّ الْبَازِلِ / بَطَلَ الْهُدَيْرُ^(د) / وَأَدَارَهَا^(هـ) فِي الْكَأْسِ
مُدِيرٌ^(١) .

تركب الجملة من خمسة تراكيب : (أ - ب - ج - د - هـ) . جاءت كما يلي :
التركيب (أ) مستقل .

التركيب (ب) غير مستقل يربطه بالتركيب المستقل (أ) « واو الحال »
التركيب (ج) غير مستقل يرتبط مع التركيب (ب) بأداة التسوية « الفاء »
التركيب (د) مستقل يرتبط مع التركيب غير المستقل (ج) بأداة الربط التركيبية
« إذا » .

التركيب (هـ) تركيب مستقل معطوف « بالواو » على التركيب (د) .

مثال آخر :

« وَنَحْوُ مِنْهُ قِصَّةُ الْخَالِدِيِّينَ اللَّذِينَ كَانُوا فِي الْمَوْصِلِ / وَهُمَا شَاعِرَانِ / وَقَدْ كَانَا عِنْدَ
سَيْفِ الدَّوْلَةِ / وَأَنْصَرَفَا عَلَى حَدِّ مُغَاضَبَةٍ / وَهَمَّا دِيْوَانُ / يُنْسَبُ إِلَيْهِمَا / لَا يَنْفَرُدُ فِيهِ
أَحَدُهُمَا بِشَيْءٍ دُونَ الْآخَرِ ، إِلَّا فِي أَشْيَاءٍ قَلِيلَةٍ / وَهَذَا مُتَعَدِّرٌ فِي وُلْدِ آدَمَ إِذْ كَانَتْ
الْجِبِلَّةُ عَلَى الْخِلَافِ وَقِلَّةِ الْمُوَافَقَةِ^(١) .

(١) الرسالة ، ص ٢٢٣ . السقاب : جمع سقب وهو ولد الناقة ساعة يولد . - إخداج : من أخذجت الدابة ، ألفت
ولدها ناقص الخلق ، أو قبل تمام أيامه . - البازل : جمع بوازل يطلق على البعير حين يظهر نابه .

(٢) الرسالة ، ص ٤٢٤ .

مثال آخر :

- « وكان له غلامٌ / يعدُّ نفسهُ التوبة / فسقطت عليه أجرَةٌ فقَتَلتهُ / والدنيا
الغرارةُ خَتَلتَهُ »^(١).

الخلاصة :

من تحليل الشواهد السابقة ونماذج التطبيقات كلها يتبين لنا إلى أى مدى،
تتداخل أنواع التراكيب في الجملة الواحدة، حيث أغلب جمل الرسالة تجمع بين
شقي التراكيب المستقلة المعطوفة، والتراكيب غير المستقلة التي تحيىء حالا أو
صفة . . . وإن ما سقناه من الشواهد هو قليل من كثير، فالغفران تزخر بأمثال هذه
النماذج.

نستنتج مما تقدم أن الجمل العلائية في مجموعها جمل مركبة أو تركيبية وأن كثيراً
منها. إن لم نقل جلها، يجمع بين خصائص النوعين، الشيء الذي يميز تقنية
التركيب في لغة رسالة الغفران، ويضفي عليها طابعاً علائياً له خصائص الامتداد
الداخلي، وتشابك التراكيب تشابكاً متسلسلاً يعكس شخصية أبي العلاء الأعمى
الذي يملئ ولا يكتب، فينسب في سرد التراكيب المتوالية داخل الجملة الواحدة.

هكذا جاءت جملة تعبير، بصدق، عن عالم الأعمى، المظلم - المضىء، الذي
لا تظهر فيه المرئيات لتقطع نفس التخيل والوصف، والتعبير في ارتباط وتسلسل.
ولعل هذا هو أكبر ما يطبع لغة الغفران ويميزها ويؤكد ما قلناه سابقاً، من أن
أبا العلاء يتميز بالنفس التركيبى الطويل، كما يتجلى من لغة الغفران.

وإذا كانت طبيعة أبي العلاء الأعمى وطبيعة الغفران مضموناً ومنهجاً قد فرضا
نوعاً من التراكيب الممتدة المتداخلة، فإن مما يفيدنا أن نعرف على أنواع الجمل
لديه : الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

وهذا ما سنتناول الحديث عنه في الفصل الذى يلي.

الفصل الثالث

الجمل الفعلية والجمل الاسمية في رسالة الغفران

بعد أن درسنا أنواع الجمل، من حيث كونها بسيطة أو مركبة أو تركيبية، وأتينا بنماذج لكل منها في رسالة الغفران، سنعمل الآن على دراسة الجمل العلائية من وجهة نظر أخرى، أي حيث يجيء فعلية أو اسمية، للكشف عن ميل أبي العلاء ومدى تفضيله لإحدهما على الأخرى، محاولين تعليل هذا، قدر المستطاع.

لن يتسنى لنا ذلك قبل أن نحدد مفهوم الجملتين الفعلية والاسمية، ونعرف دور كل من الفعل والاسم في تركيب الجملة، ونتعرف على مدى شيوع الجمل الفعلية والجمل الاسمية، في اللغة العربية، عموماً، ثم وجهة نظر بعض اللغويين القدامى والمحدثين في الموضوع.

تتركب الجملة العربية، كما رأينا، من مسند ومسند إليه، ولا يخلو أن يكون المسند فعلاً، أو اسماً، أو صفة، أو جاراً ومجروراً، أو ظرفاً. وفي كل، إما أن يتقدم المسند على المسند إليه وإما أن يتأخر. ويتولد عن كل حالة نوع من الجمل يختلف عن الآخر، اختلاف الفعل عن الاسم، وعن الصفة وعن شبه الجملة. وسنقف قليلاً لتعريف كل منها.

الاسم :

هو «مادل على مسمى وليس الزمان جزءاً منه».

ولم يكتف بعض اللغويين المحدثين بهذا التعريف، بل جعلوا الاسم خمسة أقسام :

١ - الاسم المعين، كالأعلام.

- ٢ - اسم الحدث بما في ذلك المصدر.
 ٣ - اسم الجنس الجمعى، واسم الجمع.
 ٤ - مجموعة من الأسماء ذات الصيغ المشتقة كاسم الزمان، واسم المكان...
 ٥ - الاسم المبهم، كتحت وفوق...^(١)
 ويقوم الاسم فى الجملة، بدور المسند إليه.

الفعل :

هو «مادل على حدث وزمن».

ولا نريد هنا أن نتعرض للحدث عن كيفية دلالة الفعل على الحدث والزمن وتضافر كل من المستوى الصرفى والمستوى النحوى لتحميل الفعل معنى الزمن فقد فصل ذلك بكامل العناية الدكتور تمام حسان^(٢). إن الذى يهم موضوعنا، هو الفعل كركن من الأركان الأساسية فى تكوين الجملة.

والفعل فى الجملة يقوم بدور المسند، وقد لا يحتاج إلى مفعول به فىكون لازماً، وقد يحتاج إلى مفعول به واحد، كما قد يتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة.

الصفة :

تدل على الموصوف بالحدث وتأتى مسنداً، أى خبراً لمبتدأ، كما تأتى مسنداً إليه، فتكون مخبراً عنه، وتكون فاعلاً أو مفعولاً به، أو قيماً من القيود المكملة فى جملة، كالنعت والمجرور^(٣).

(١) انظر تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

الجازر والمجرور، والظرف :

متى جاء أحدهما مسنداً في جملة احتيج إلى تقدير متعلق به مثل تقدير كلمة «مستقر» أو «يستقر» أو «كائن» ليستقيم الكلام وتتم الفائدة المتوخاة. وهكذا، نرى أن الاسم لا يأتي إلا مسنداً إليه، وأن الفعل، والجازر والمجرور، والظرف كلها تختص بدور المسند، وأن الصفة تمتاز بإمكان مجيئها مسنداً أو مسنداً إليه.

تلك هي بعض نقط الفرق بين العناصر المكونة للجملة. فما هي أنواع الجمل التي تنشأ عن تركيب هذه العناصر، وعن اختلاف موقعها في الجملة؟

تنقسم الجمل، على ضوء نوع المسند وموضعه في التركيب، إلى نوعين :

١ - الجملة الفعلية : هي ما صدرت بفعل، مثل : «نجح المجد». أو «أكل محمد الخبز».

٢ - الجملة الاسمية : ما صدرت باسم سواء كان المسند صفة أم فعلاً أم جاراً ومجروراً، أم ظرفاً نحو: «التلميذ مجتهد»، «الرياضة تقوى العضلات»، «الله مع الصابرين».

والمعتبر في صدر الجملة المسند والمسند إليه، ولا يدخل في الاعتبار ما قد يتقدمها من حروف، فالجملة في «قد جاء أخوك» فعلية. وفي «أزيد قائم؟» اسمية.

كما أن المعتبر في صدر الجملة هو ما جاء صدرراً في الأصل، وإن تقدم عليه ما هو في نية التأخير، فمثلاً، الجمل في قولنا :

كيف بات المريض؟ أو وأى النساء استدعيتم؟ أو «وفريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون».

كلها فعلية، لأن: «كيف» و«أى» «وفريقاً» في نية التأخير^(١).

ولا يدخل في الاعتبار، أيضاً، ما قد يتقدم صدر الجملة الاسمية من أفعال ناسخة مثل «كان» وأخواتها، لأن هذه عندما تدخل على الجملة الاسمية تصبح قيماً فيها ولا تحولها إلى جملة فعلية، إذ لا تمثل عنصراً أساسياً فيها. فالفعل الناسخ ليس مقصوداً لذاته، وهو بذلك ليس جزءاً في الجملة التي يدخل عليها، وإنما هو قيد مثلما يكون الظرف قيماً في جملة، فقولنا:

«كان محمد مريضاً» يساوى «محمد مريض أمس»

على هذا، لا يمكن أن تعد «كان» ركناً في الاسناد، فهي قيد في الجملة الاسنادية التي لا تحتوى على فعل، ويكون دوره فيها، حينئذ، هو إدخال عنصر الزمنية في الجملة مثل قولنا:

«محمد مجتهد» فإذا أردنا أن نخبر بأن اجتهد محمد هو في وقت معين قلنا:
«كان محمد مجتهداً» «سيكون محمد مجتهداً» «ليكن محمد مجتهداً».

كما يكون دورها في الجملة التي تحتوى على فعل تخصيص مفهوم الزمن في وقت معين، مثل: «كان محمد يمشى».

وهكذا تظل الجملة الاسمية التي تدخل عليها «كان» أو إحدى أخواتها جملة اسمية لا تتحول إلى الفعلية أبداً.

ومثل هذه الجمل في احتفاظها باسميتها الجمل الاسمية التي تدخل عليها أداة من الأدوات النواسخ «إن» أو إحدى أخواتها، فهذه الأدوات عملت النصب في المبتدأ والرفع في الخبر لأنها «أشبهت الأفعال المتعدية إلى مفعول به واحد، من نحو ضرب زيد عمراً، بكونها طلبت اسمين تطلبها لهما وتضمنتها كضمنها، وإن اختلفا فيه، فعملت ذلك العمل لشبهها له فيما ذكر»^(٢). إلا أنها ليست جزءاً من

(١) انظر هذا التقسيم عند ابن هشام: المغنى، ج ٢، ص ٢٧٦. أخذ بهذا التقسيم، عل الجارم. انظر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٧، ص ٣١٧، سنة ١٩٥٣.

(٢) رصف المبان في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، ص ١١٨، دمشق ١٩٧٥.

الجملة ولا تمثل عنصراً أساسياً فيها، وإنما يكون دخولها في الجملة لإفادة معنى معين لا ينتج عنه تحويل الجملة من الاسمية إلى الفعلية.

من اللغويين المحدثين من يرى أنه، متى اشتملت الجملة على فعل، فهي فعلية، سواء تقدم الفعل أم تأخر، وهذا ما نجده عند إبراهيم السامرائي يقول: «حين أنصُ على الجملة الفعلية في هذا النص، أريد منها ما كان الفعل طرفاً في الإسناد فهو مسند أبدأ، وعلى هذا فقولنا «جاء محمد»، جملة فعلية، مؤلفة من مسند ومسند إليه، ثم إذا قلنا «محمد جاء» لم يتبدل شيء من حقيقة الإسناد فطرفا الإسناد هما كما كانا في الجملة الأولى، وهي بهذا جملة فعلية أيضاً، مؤلفة من مسند ومسند إليه، والمسند اليه هو الفاعل في كلتا الجملتين»^(١).

وقد حاولنا التعرف على رأى الدكتور إبراهيم أنيس في التفرقة بين الجمل الفعلية، والجمل الاسمية فوجدناه يقسم الجمل إلى قسمين:

١- ما يشتمل على «فعل»، يقوم فيها بعمل المسند.

٢- ما لا يشتمل على فعل، ويقول عنها إنها: «التي جرى عرف النحاة والبلاغيين على تسميتها بالجمل الاسمية، والتي يغلب أن يكون المسند إليه فيها اسماً، والمسند وصفاً مشتقاً، فإذا كان المسند فيها اسماً جامداً أولوه بمشتق، ليتحقق فيها ركنا الإسناد، وإذا كان المسند جاراً أو مجروراً، أولوه بكلمة (مستقر) وهكذا»^(٢).

فهل يحصر، هو أيضاً الجمل الاسمية في الجمل التي لا تشتمل على فعل؟ أيعتبر جمل النوع الأول، من قبيل الجمل الفعلية، وإن لم يصرح بذلك؟ ما نظن ذلك، لأننا نجده يطلق على بعض أصناف الجمل التي تشتمل على فعل اسم جملة اسمية، وتلك هي الجمل التي يكون فيها المسند فعلاً مضارعاً متأخراً عن المسند إليه، سواء كان مثبتاً أو منفيّاً بأداة النفي.

(٢) من أسرار اللغة: ص ٢١٨، ٢٢٠.

(١) دراسات في فقه اللغة، ص ٤٥.

يقول الدكتور أنيس، بصدد حديثه عن الجملة المضارعة المثبتة:

« فإذا تقدم المسند إليه وأصبحت الجملة مثل (والله يدعو إلى دار السلام) وجب أن نعد الجملة جملة اسمية، ولا فرق بينها، حينئذ، وبين أن نقول: (والله الداعي إلى دار السلام) فالمضارع هنا ليس في الحقيقة فعلا، وإنما هو «وصف» يجوز عليه ما يجوز على الوصف، من وجوب مطابقته لموصوفه في كل شيء»^(١) ثم يضيف:

« فإذا كان نظام الجملة المضارعة على الصورة الآتية:

المسند إليه + أداة النفي + المسند.

فإن مثل هذه الجملة، لا تعد من الناحية اللغوية جملة منفية، بل هي كالمثبتة تماماً، وهي كذلك تعد في جملة اسمية، وتعتبر عما تعبر عنه الاسمية التي يكون فيها «المسند» وصفاً مشتقاً^(٢) ومثل لذلك بقوله تعالى:

﴿والله لا يحب الفساد﴾.

في حين نجده لا يدلى برأى في جمل جاء المسند فيها فعلا ماضياً وقد تقدم عليه المسند إليه^(٣) مثل قوله تعالى:

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾.

فهل نعمم تصريح الدكتور إبراهيم أنيس باسمية الجمل التي يتقدم فيها المسند إليه على الفعل المضارع، على جميع الجمل التي يتأخر فيها الفعل عن المسند إليه، وإن كان ماضياً؟

يبدو أن ذلك هو رأيه.

إذا كان موقف إبراهيم أنيس لا يخلو من غموض، فإننا نجد، من هؤلاء المحدثين، من يضرب صفحاً عن تقسيم الجمل إلى فعلية واسمية، بدعوى توفر

(١) من أسرار اللغة: ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

الإسناد في جميع الجمل، على اختلاف أنواعها فالإسناد أو العلاقة الضمنية التي تربط المسند بالمسند إليه يقوم بها في نظرهم، الفعل أو شبهه، حين يكون أحدهما طرفاً في الجملة. وحين لا تحتوى الجملة على فعل أو شبهه فإن عملية الإسناد تلك تتم بالرباط الإسنادي الضمني. إنهم يعترضون على النحاة اعتبارهم ما صدر من الجمل بفعل، جملة فعلية، وما صدر منها باسم، جملة اسمية. هذا ما يراه ريمون طحان إذ يقول:

«وقد اعتبر البعض (زيد مسافر) كجملة اسمية، ولكننا نرى فيها جملة إسنادية فقط. ولا فرق، من وجهة حركة المسند إليه، بين (زيد مسافر) و(سافر زيد)»^(١).

ثم يضيف في نفس المعنى:

«بما أن الجملة هي عملية إسنادية، فلا فائدة من تقسيم الجملة إلى فعلية واسمية»^(٢).

هذه هي آراء بعض النحاة العرب، القدامى والمحدثين، حول مفهوم الجملة الفعلية والجملة الاسمية. ونحن في دراستنا، لنهاذج كلا الصنفين في رسالة الغفران، سنعتمد التعريف الذي أوردناه في صدر هذا الفصل لكل من الجملتين آخذين بعين الاعتبار ما هو صدر، في الأصل، للجملة.

قبل أن نتقل إلى دراسة الاستعمال العلائقي لكل من الجملة الفعلية والجملة الاسمية، نود أن نشير إلى مدى تواتر كل من الجملتين في لغة العرب محاولين تبيان سر تفضيلهم لإحدهما على الأخرى.

الجملة الفعلية والجملة الاسمية في تأليف القدماء:

يبدأ العربي بما يهتم به، أي أن الجملة تقدم ما ارتأى المتكلم أن للسامع حاجة في تقديمه. لكن وبصفة عامة، يبدو أن الحدث يستحوذ على اهتمام المتكلم والسامع

(٢) نفس المصدر، ص ٥٥.

(١) الألفية العربية، رقم ٢، ص ٢٦.

أكثر ممن وقع منه ومن وقع عليه الحدث. من ثمة يكون غرض المتكلم أن يخبر، أى أن يتحدث عن حدث، فيبدأ بـ «الفعل».

ولا يلتجئ العربى إلى الجملة الاسمية، إلا إذا قصد التنبيه على «الفاعل»، والفاعل فى الواقع هو من «يقوم» بالحدث، قدّرنا الفعل أو لم نقدره، لأن لكل «فاعل» بالضرورة، فعلاً ضمناً.

فى غالب الأحيان ينصب الاهتمام على الحدث أولاً، ثم على من قام به أو وقع عليه ثانياً، فيكون الحدث هو الأساس فى الإخبار، ثم من هو المُحدث له. حينذاك يستعمل المتكلم الجملة الفعلية. فمثلاً فى الجملة: اندلعت الحرب. لفظ «حرب» فى حد ذاته دال على مساه فقط، وهو لا يهمنى إلا عندما يدخل فى حيز الفعل، إن التعبير أولاً بـ «اندلعت»، فى الجملة السابقة، هو الذى يزعجنا. فنتساءل عن شئ الحرب، وكيف كان ذلك؟ ومتى وأين حصل؟.

«فالجملة الفعلية» تبرز الحدث قبل أن نخبر عن الفاعل.

فأهمية الحدث أنها تمنح الفعل مكان الصدارة فى الجملة حيث يقوم الفعل، بدوره، ببيان العلاقات المعجمية، فيحدد جنس ونوع الفاعل ونوع المفعول به إذا وجد. فمثلاً، عندما يقول أبو العلاء:

- «فَيَتَسَمَّ عَدَى وَيَقُولُ: وَنَحْكُ!»^(١).

- «وروم لا يفهمون عن العرب»^(٢).

- «ضَرَبُ خَلَقَهُ اللّهُ فى الجَنَّةِ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا»^(٣).

يتبادر لذهن سامع الألفاظ: «يتسم»، و«يقول»، و«يفهمون»، و«خلق»، بقطع النظر عن النسق العام للجملة، أن الفاعل فى كل الجمل:
(أ) من جنس «الحيوان»، خلافاً لأفعال كـ «تضطرم» و«تمطر» فى الجملتين:
- «تَضَطَّرِمُ النَّارُ فى رَأْسِهِ».

(١) رسالة الغفران، ص ١٩٧. (٢) رسالة الغفران، ص ٢٩٦. (٣) رسالة الغفران، ص ٢٨٧.

- «تَطْر بِمَاءٍ وَرَدِ الْجَنَّةَ».

(ب) من جنس الحيوان «العاقل»، خلافا لأفعال كـ «اجتر» و«عوى» و«افترس» من الجمل:

- «وكذلك أنا أفترس ما شاء الله».

- «عوى الذئب».

- «إجتر البقر».

فالفاعل، إذن، يقيد ارتباط أجزاء الجملة أى يحدد الإسناد، ويعين نوع الفاعل^(١).

يقول الأستاذ إبراهيم السامرائي إن «من اهتمام العرب بالفاعل، غلبة الجملة الفعلية على كلام العرب [. . .] ذلك أننا لو نظرنا إلى كتاب من كتبهم فأحصينا على طريقة الإحصاء في أيامنا هذه، لاهتدينا إلى صدق هذه الدعوى»^(٢). غير أن الأستاذ السامرائي لا يبدى تعليلا لذلك!

لعلنا إن تأملنا وضع الإنسان إزاء الطبيعة، وحاولنا الكشف عن العلاقات التي ربطته وتربطه بمظاهرها، تبين لنا سر اهتمام الإنسان عامة، والعربي خاصة، بالأحداث.

إن الإنسان حيوان تاريخي، أى مرتبط بزمان ومكان، حيث يتفاعل مع الموجودات كلها، إنه دوماً في صراع مع الطبيعة، لأنه «حيوان»، ومع الزمان، لأنه «عاقل» يصنع التاريخ، ويعيش في تاريخ^(٣). والفاعل وحده هو الذي «يدل على حدث وعلى زمن»، أى أن الفعل يتوفر على عنصرين: عنصر الحدث الذي يعكس علاقة صراع الإنسان مع الطبيعة، وعنصر الزمن الذي يعبر عن تاريخية

(١) هذه العلاقات التي يحددها الفعل في الجملة هي ما يسمى في عرف تشومسكي بالعلاقات المعجمية.

(٢) دراسات في فقه اللغة: ص ٤٥ نذكر بأن مقصود المؤلف بالجملة الفعلية هو ما احتوت على فعل، كما بينا سابقاً.

LAHBABI (M.A), De L'être à la personne P.U.F., Paris.

(٣)

الإِنسان في هذا الصراع. بخلاف الاسم، الذي يدل على معنى وليس الزمان جزءاً منه.

ويبدو أن الوضع الجغرافي، والحالة المجتمعية والسيكولوجية للعربي في صحرائه كونت لديه اهتماماً متزايداً بالأحداث، وجعلته يترقب، عن كذب، ما يجد منها: غروب الشمس، طلوع النجم، هجوم القبائل المجاورة، انتظار القوافل.. فانعكس اهتمامه بتلك الأحداث على تعابيره، فجاءت الأفعال تحتل مكان الصدارة في جملة، وبالتالي شاعت الجملة الفعلية في لغته أكثر من الجمل الاسمية. ولم يستعمل الجمل الاسمية سوى للتعبير عن الحكم والأمثال القارة الثابتة.

وتكون الصدارة للاسم، في مواضيع خاصة، كأن يكون قصد المتكلم إبراز الفاعل والنص على من قام بالفعل، دون أن يلتزم بنمط من أنماط الزمان، كما هو الحال في التعاريف، مثلاً: قول المهندسين:

«الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين».

وقول أبي العلاء، في حد الزمان:

«الزَّمانُ شيءٌ أقلُّ جزءٍ منه يشتمل على جميع المُدرَكاتِ، وهو في ذلك ضدُّ المكانِ، لأنَّ أقلَّ جزءٍ منه، لا يُمكن أن يشتمل على شيءٍ، كما تشتمل عليه الظروفُ»^(١).

فهذا تعريف منطقي وهو كما نلاحظ يعتمد الجملة الاسمية في الصياغة:

الزمان / شيء / أقل

مثال آخر هو قول أبي العلاء في تعريف مذهب الحلولية:

«والحلولية قريبة من مذهب التناسخ»^(٢)

ومثل تعريفه للشعر:

(١) الرسالة، ص ٤٢٦.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٨.

«والشعرُ كلامٌ مؤزُونٌ تقَبَلُهُ الغريزةُ على شرائط، إن زاد أو نقص أبانهُ الحِسُّ»^(١).

وتشيع الجمل الاسمية، كذلك، في البدييات، كقولنا:
«الشمس حارة».

والافتراضات مثل قول أبي العلاء:
«أهلّ كلمة أصلٌ وُضِعَها لِلْجَمَاعَةِ»^(٢)
والحِكم كقوله:
«فالمقيمُ كأخي ارتِحَالٍ»^(٣).

تركب الجملة في هذه الأمثلة من موضوع ومحمول (مبتدأ وخبر)، بلا «فعل» منطوق. وتفسير ذلك أن القوانين العلمية، وما شابهها تتجرد عن كل معاني الزمان، إذ الحكم فيها يتعلق بإثبات مسند لمسند إليه، لأننا في ميدان المبادئ العامة التي تبقى قارة على مر الأزمان. وكلما كان القرار ينصب على الشمول، اقتربنا من الحقيقة. فالجملة الاسمية، في هذا النطاق، جملة تدل على تطور ذهني، لأنها ترفع الألفاظ من لفظيتها العينية إلى مدركات مجردة وشمولية، أي إلى مفاهيم.

ويقوم بدور الربط بين أطراف الجملة في اللغة العربية رابط معنوي غير ملفوظ يسمى العلاقة، فالعربية تستغنى عن الرمز الملفوظ للدلالة على العلاقة القائمة

بين: الفعل ← الفاعل

وبين: الفعل ← الفاعل ← المفعول

وبين: المبتدأ ← الخبر

أي بين المسند والمسند إليه. وتقوم القرينة بالدلالة على تلك العلاقة، فلا نجد لها لفظاً في الجملة العربية، وهي بذلك عكس اللغات الهند أوروبية، حيث يعبر

(١) الرسالة، ص ٢٥١.

(٢) الرسالة، ص ٤١٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٨.

عنها، كما، في اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية. ويتجلى هذا، واضحًا، عندما نترجم بعض الجمل الاسمية من اللغة العربية.

كجملته: هذا أعشى قيس، نقول في:

This is A'cha øays.

الإنجليزية:

Celui - ci est A'cha øays.

أو الفرنسية:

ففي الجملتين معًا يوجد الرابط ((To be (E), être (F)) (copula / copule) الذي استغنى عنه في الجملة العربية بالعلاقة التي هي أمر معنوي غير ملفوظ. قد نستخلص مما سبق، أن ترقب السامع أو القارئ للفعل أولاً، بسبب الحدث الذي يحمل، والزمان الذي يميز الحدث ويؤطر الحركة لأن الحركة، كما قدمنا، كالزمان، من أبعاد الإنسان الحيوان التاريخي، هو ما جعل الجمل الفعلية تحظى بمكان الصدارة في اللغة حتى أن بعض اللغات لم تستغن عنه في جميع أصناف جملها.

وإن المستقرى للغة بعض التأليف العربية، خصوصًا منها القديمة، يمكن أن يستخلص أن الجمل الفعلية أشمل وأعم استعمالًا، وأن الجمل الاسمية تكثر في الاستعمال العلمي، فهي أكثر تداولًا لدى المناطق والعلماء.

فلنأخذ مثلاً رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء. إننا نجد الجمل الفعلية تحتل المركز الأول في لغة ابن القارح وعلى سبيل التجربة سنحصي عدد الجمل الواردة في ص ٣٢ لنحدد النسبة بين الصنفين من الجمل.

إننا نجد أن عدد الجمل الفعلية، ٢٩ مثل:

«فأنفذ المهدي إليه»

«فأحيط به وبقلعته»

«وجمع كل من في البلد وسقاهم شرابًا سمومًا»

الجمل الاسمية، ٤، هي:

«ارتفاعه فراسخ»

«هو القائل»

«والصناديقى في اليمن كانت جيوشه بالمدَّيْجِرة وسفنه»

«والوليد بن يزيد أقام في الملِّك سنة وشهرين وأياما»

نلاحظ أن المسند في الجملة الأخيرة جاء جملة فعلية. وبتكرار التجربة في ص ٤٤ مثلا، نجد أن عدد الجمل: الفعلية ٢٨ منها:

«لم يخترق ذكر الوفاء مَسَامِعَهُ»

«قد ذممت شَيْئًا وَوَقَعْتُ فِيهِ أَنَا»

والاسمية ٦ منها:

«شيمته اصْطِفَاءُ اللَّثَامِ وَالتَّحَامُلُ عَلَى الكِرَامِ»

«وَهَمَّتُهُ رَفْعُ الحَامِلِ الوَضِيعِ وَوَضْعُ الفَاضِلِ الرَفِيعِ»

«ظَاهِرُهُ يَسْرٌ وَيُونُسُ»

«وَبَاطِنُهُ يَسُوءٌ وَيُوَيْسُ»

نفس الملاحظة المتقدمة، نجد المسند في الجملتين الأخيرتين يأتي جملة فعلية.

هكذا طغت الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، مما فرض اهتمام اللغويين بها اهتماماً خاصاً. وقد علل بعض الباحثين المحدثين هذه الظاهرة بكون العقلية العربية تقتضى أن تكون الجملة الفعلية هي الأصل، والغالب الكثير في التعبير. بيد أننا نتساءل. بماذا يعللون هذا الاقتضاء الذي ينسبونه إلى العقلية العربية؟ إن أحكامهم تلك لا تخلو من إبهام وتعمية، وتظل كلاً لا دليل عليه لا من التاريخ ولا من تجريدات النحاة.

ونشير هنا بأن سيادة الجملة الفعلية في العربية ذلك، هو عكس ما هي عليه

الحال اليوم، في لغة الصحافة والقصة. نعم بدأت الجملة الفعلية تفقد مكانتها في الكثير من الإنتاج الأدبي المعاصر.

بعد هذه اللمحة عن مفهوم كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية ومكانتهما في الاستعمال العربي، ننتقل إلى الحديث عن موقعهما في رسالة الغفران. فماذا نحن واجدون عند أبي العلاء؟

ذكرنا فيما سبق أن رسالة الغفران تنقسم إلى فصلين رئيسيين، وقلنا إن الفصل الأول هو فصل الرحلة القارحية إلى الآخرة، وإن القسم الثاني هو أجوبة أبي العلاء على أسئلة ابن القارح، من ثم كانت مضامين القسمين تختلف اختلافاً كبيراً، وهذا يقتضى اختلافاً في الأسلوب.

يعتبر القسم الأول نسيجاً من الخيال، ومن تصورات أبي العلاء الجامحة التي لم تسعها الدنيا بما فيها، وإنما تجاوزتها إلى عالم لم تطأه بعد قدمه، هكذا جاء الأسلوب المعبر عن تلك المشاهد، مزيجاً من العاطفة والخيال.

أما القسم الثاني، فيقرر فيه أبو العلاء حقائق متنوعة ويتخذ مواقف حازمة من آراء مراسله يدعمها بالحجج والأدلة. فطبيعي إذن، أن يكون أسلوب هذا الفصل أسلوباً علمياً خاضعاً للمنطق.

غير أننا كما أشرنا سابقاً نلاحظ أن ظاهرة الاستطرادات منتشرة جداً في الرسالة بفصليتها. فأبو العلاء يثب متذرعاً، بوسيلة أو بأخرى، ليصب شروحا لغوية وانتقادات نحوية وعروضية. . خلال جميع مراحل الرحلة القارحية. ويستطرد في الفصل الثاني إلى قصص حكايات ممزوجة بكثير من الخيال، كما في الحديث، عن أبي تمام، وموقف قصائده منه الذي نقلناه في حديثنا عن استطرادات أبي العلاء^(١).

ولا شك أن كل مقام يقتضى أسلوباً ملائماً. فأسلوب الرحلة، في الفصل الأول، هو غير أسلوب الأجوبة في الفصل الثاني. ثم إن لغة الاستطرادات في

(١) انظر، الفصل الثاني من الباب الأول في هذه الدراسة.

الفصل الأول هي غيرها في استطرادات الفصل الثاني.

إن المتتبع للرحلة القارحية يرى عن كثب، أن الرحلة تمضي في مراحل متتالية، فهي عبارة عن أحداث تمر في أزمنة متعاقبة، مليئة بالحركة والتجديد. ولا شك أن الأسلوب الذي يعبر بأمان عن مضامين هذا الفصل، هو النثر المعتمد على الجمل الفعلية.

فالفعل، وحده، هو الكفيل بأن يصور، بصدق، اللونيات أو الظلال المعنوية والزمنية، لتنقلات ابن القارح في الآخرة. إن الرحلة القارحية ليست حقيقة علمية يقرها أبو العلاء، وإنما هي تحفة خيالية، تسلمك كل مرحلة فيها إلى أخرى. ولن يعبر عن تلك الحركة الدائبة التي أرادت الطاقة الخيالية المعربة أن تنفخها في هذا النسيج، سوى الفعل. أضف إلى ذلك أننا نرى ابن القارح في عمل متواصل ونشاط مستمر. فهو في كل مرحلة يختلق مشهداً كاملاً: ها هو ذا يصنع مآدبة في الجنان، مرة، ويقيم جلسة خمر، مرة أخرى، ثم ها هو ذا يقف لمشاهدة شجار الأعشى والنابعة، وبعد ذلك ينتقل إلى حفل غناء ورقص وموسيقى، قبل أن يأخذ في قص وتصوير أهوال الحشر ويوم القيامة. فلم يعرف ابن القارح دقيقة انقطاع عن الحركة، يقضيها نائماً أو. فتفصل بينه وبين الأحداث التي تمر في ظروف زمنية ماضيه أو حاضره.

إننا نشعر ونحن نقرأ هذا الفصل، وكأننا أمام شاشة أو خشبة مسرح، نعيش مع الأحداث التي يقدمها أبطال المسرحية، لحظة لحظة، ونحس في كل مكان بمفهوم زمان معين، يمضي لتخلفه فترات زمنية أخرى، في مشهد ثان فثالث. بل نعيش داخل كل مشهد، أحداث وتنقلات لا تتأق إلا بتعاقب الفترات. أليس الزمان أحد العناصر الأساسية في الإنتاج الأدبي بجميع أصنافه؟

إذن، لا غرابة أن ترد الأفعال على اختلاف أزمنتها أكثر تواتراً في لغة الفصل الأول منها في لغة الفصل الثاني. إن ألفاظ أبي العلاء في الفصل الأول موحية تشير في الذهن صوراً وأخيلة، وتؤثر في نفس القارئ فيستنتج منها ما تحتمله تلك الألفاظ والعبارات، وفوق ما تحتمله.

فلنستمع إلى أبي العلاء في تصويره لحوار الجنان :

«فياخذُ [ابن القارح] سَفَرَجَلَةً، أو رَمَانَةً، أو تَفَاحَةً أو ما شاء الله من الثمار فَيَكْسِرُهَا، فتخرجُ منها جاريةٌ حوراءٌ عيناؤُ تَبْرُقُ لِجَسْنِهَا حوريات الجنان»^(١).

إن «سفرجلة» و«رمانة»، و«تفاحة» المعرى ليست هي ما نعرفه في دنيانا. إنها تفاحة وشيء آخر، شيء لا يخطر على بال آدمي، إنها التفاحة الجارية الحوراء - العيناؤ، وإنها الرمانة الجارية.

ولننصت إليه في وصف جنة العفاريت :

«فَيَرْكَبُ [ابن القارح] بعضَ دوابِّ الجَنَّةِ ويسيرُ، فإذا هُوَ بمَدَائِنَ ليست كَمَدَائِنِ الجَنَّةِ، ولا عَلَيَّهَا النُّورُ الشَّعْشَعَانِ، وهى ذاتُ أَدْحَالٍ وَغَمَالِيلٍ. فيقولُ لبعض الملائكة: ما هذِهِ يا عبدَ الله؟ فيقولُ: هذه جَنَّةُ العَفَارِيَتِ الذين آمنوا بِمحمد صلى الله عليه وسلم»^(٢).

إن لفظة «الشَّعْشَعَانِ» توحى بنور ملأ الفضاء، ليس له مثل ولا يمكن تصويره في دنيانا هاته. إنها أنوار جنة البشر. أما جنة العفاريت فهي ذات «أدحال» و«غماليل».

بِم توحى «أدحال» و«غماليل»؟ إن الظلمة والضنك والتوتر وما شئت من الأوصاف التي تبعث على القلق هو ما يتصور لسامع اللفظين. لقد وفق أبو العلاء في اختيارهما للتعبير عن وصف تلك البقعة من الجنة، جنة العفاريت، أليس مأوى الجن كما نتصوره في دنيانا هو الدهاليز المظلمة والمغاور المخيفة. فلواستعمل أبو العلاء ألفاظاً مثل مظلمة، وضيقة، لما أثار فينا ذلك الشعور الذى يثيره الوصف بلفظتى «أدحال» و«غماليل».

(١) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٩٠.

إذا كان أبو العلاء قد تخير للغة الفصل الأول من الألفاظ ما يناسبها، فكيف لا يتخير لها من الجمل الفعلية والاسمية ما يلائم الأسلوب؟! وحيث أن هذا الفصل يزخر بالمشاهد وتزاحم فيه الأحداث، كما بينا، فإن الجمل الفعلية تشيع في الجمل العلائقية، وتتجلى هذا بوضوح، في تعبير أبي العلاء عن تنقلات ابن القارح في الآخرة، واتصاله بمحاوريه. إذ نجده في سؤاله عن الشعراء يستعمل ٦٥ مرة الجملة الفعلية المضارعة وثلاث مرات فقط الجملة الاسمية وهذه الأخيرة هي قوله:

- «فَأَيْنَ عمرو بن أحمَر؟»^(١).

- «أَيْكُمْ تَمِيمٌ بن أَبِي؟»^(٢).

- «فَأَيْكُمْ رَاعِي الإِبِلِ؟»^(٣).

ونشير إلى أن أبا العلاء يستعمل هذه الجمل الاسمية في اتصالات متتالية، بأولئك الشعراء والسؤال عنهم.

إذا نحن استقرأنا الجمل الفعلية التي أشرنا إليها وجدنا أفعالها تتنوع تنوعاً كبيراً يلائم الخطوات القارحية في الجنة والنار. من ذلك قول أبي العلاء:

- «... فِيرْكَبُ نَجِينَا من نُجْبِ الجَنَّةِ»^(٤).

- «فَيَبْتَدِيُّ بِزَهْرٍ، فَيَجِدُهُ»^(٥).

- «وَيُثْنِي إلى أَعْشَى قَيْسٍ»^(٦).

- «وَيَفْتَرِقُ أَهْلَ ذَلِكَ المَجْلِسِ»^(٧).

- «وَيَحْلُوُ لا أَخْلَاهُ اللهُ من الإِحْسَانِ، بِحُورِيَّتَيْنِ»^(٨).

(١) الرسالة، ص ١٨٢.

(٢) الرسالة، ص ٢١١.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٨٤.

(١) الرسالة، ص ٢٤٠.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٦.

(٣) الرسالة، ص ٢٦٢.

(٤) الرسالة، ص ١٧٥.

- «فَيَتَّبِعُهُ، فَيَجِيءُ بِهِ إِلَى حَدَائِقِ...»^(١)
- «فَيَأْخُذُ سَفْرَجَلَةً»^(٢).
- «وَيُحْمُ فَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ يَفْتَرِسُ»^(٣).
- «فِيذْهَبُ [...] فَإِذَا هُوَ بِبَيْتٍ فِي أَقْصَى الْجَنَّةِ»^(٤).
- «وَيَلْفَتُ عُنُقَهُ يَتَأَمَّلُ فَإِذَا هُوَ بِأَوْسِ بْنِ حَجْرٍ»^(٥).
- «وَيَمَلُ مِنْ خُطَابِ أَهْلِ النَّارِ فَيَنْصَرِفُ إِلَى قَصْرِهِ»^(٦).
- أحياناً قد يتكرر الفعل مرتين مثل: «يبدو» في قوله:
- «وَيَبْدُو لَهُ أَنْ يَصْنَعُ مَادِبَةً»^(٧).
- «ويبدو له أن يطّلع إلى أهل النار»^(٨).
- وقد يتكرر ثلاث مرات أو أكثر، مثل تكرار فعل «يخطر».
- «يَخْطُرُ لَهُ [...] غِنَاءُ الْقِيَانِ وَيَذَكُرُ تَرْجِيْعَهُنَّ»^(٩).
- «ويخطر له ذِكْرُ الْفُقَّاعِ»^(١٠).
- «ويخطر في نَفْسِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١١).
- ومثل تكرار فعل «يعرض» أربع مرات، وذلك في قوله:
- «وَيَعْرِضُ لَهُمْ لِيَبْدَ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَيِّزِلِهِ»^(١٢).
- «وَيَعْرِضُ لَهُ الشُّوقُ إِلَى نَظَرِ سَحَابٍ»^(١٣).

(٨) الرسالة، ص ٢٨٩.

(٩) الرسالة، ص ٢٢٤.

(١٠) الرسالة، ص ٢٨٠.

(١١) الرسالة، ص ٢٨٨.

(١٢) الرسالة، ص ٢٦٧.

(١٣) الرسالة، ص ٢٧٥.

(١) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٣) الرسالة، ص ٣٠٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٠٧.

(٥) الرسالة، ص ٣٣٩.

(٦) الرسالة، ص ٣٥١.

(٧) الرسالة، ص ٢٦٨.

- «ويعرض له رؤية فيقول»^(١).

- «فيختار أن يعرض له ذلك»^(٢).

ومثل تكرار الفعل «يمر»^(٣) ست مرات، وفعل «ينظر» خمس مرات^(٤).
هكذا تبتدئ الرحلة القارحية بفعل مضارع وتنتهي بفعل مضارع، إذ يخطر
لابن القارح أن يقوم بنزهة في الجنان.

«فركب نجيباً من نُجَبِ الجَنَّةِ [. . .] فيسيرُ في الجنة على غير منهجٍ » متجولاً
في أرجاء العالم الأخرى إلى أن يتم رحلته فيعود:
«ويتكى عَلَى مَفْرَشٍ من السُّنْدُسِ [. . .] فَيُحْمَلُ على تِلْكَ الحَالِ إلى محله
المشيد بدارِ الخلود»^(٥).

لقد كان أبو العلاء بارعاً في اختيار أفعاله وتنويعها، فهي وإن دلت جميعها على
حدث وحرارة «يمر»، «يذهب»، «يطلع»، «يرى» إلا أن دلالتها على ذلك
تختلف عملياً «فالرؤية» غير «الاطلاع»، «ولفت العنق» غير «الركوب»، ثم إن
المقام يستدعي المرور والالتفات، والتطلع، والنظر، والسؤال. لأن ابن القارح
ينتقل متنزهاً في الجنة مستفسراً عما فيها، من أقصاها إلى أقصاها.

تلك نظرة مجملية على تعابير الفصل الأول، وسنعمل الآن على التعرف على جمل
الفصل الثاني مُرجئين دراسة بعض النماذج المفصلة إلى ما بعد.

قلنا إن الفصل الثاني من الرسالة خاص بالرد على أسئلة ابن القارح. يعني أن
أبا العلاء في هذا الفصل مُقَيِّدٌ بمواضيع، على الأقل، تحدد مُنطلق حديثه، ومُجِبِّره
على واقعية عقلانية، بعيدة عن الخيال والابتكار. إنها مواقف منطوق، يعمل على

(١) الرسالة، ص ٣٧٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٣) انظر الصفحات ٢١٢، ٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٠٦، ٣٧٣.

(٤) انظر صفحات الرسالة: ١٨١، ١٨٥، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٣٢.

(٥) انظر الرسالة: من ص ١٧٥ إلى ٣٧٩.

تقرير حقائق سيحاسب عليها أبو العلاء حسابين، حساب ضمير، وحساب مجتمع. فلتكن حقائق ثابتة مدعمة بالحجة والحكمة. ولعل الأسلوب المناسب للتعبير عن ذلك هو المعتمد على الجمل الاسمية. فكما قلنا في بداية هذا الفصل، إن الجمل الاسمية تدل على الثبوت والدوام، وتتجرد من مفهوم الزمنية الذي يؤطر الحدث في زمن معين. فهل نجد مصداق ذلك في هذا الفصل الثاني من الرسالة؟ وهل يسخر أبو العلاء الجمل الاسمية لتفى بتلك الأغراض؟

من عملية إحصاء الجمل التي يستهل بها أبو العلاء أجوبته، علمنا أن عدد الجمل الاسمية ستون، وعدد الجمل الفعلية تسع فقط، يبدو أن أبا العلاء كان يقصد فيها الإخبار عن حدث متجدد بمرور السنين، والأيام مثل كلامه على شيوع الضلالة:

«وافتنَّ الناسُ في الضلالةِ حتَّى استَجَارُوا دَعْوَى الربوبيةِ»^(١).

وكذلك حديثه في التعبير عن شعوره نحو رجوع دنانير ابن الفارح إليه:

«وسررتني فيئةُ الدنانيرِ إليه»^(٢).

أما الجمل الاسمية فمنها خمسون جملة مفتوحة بـ «وأما» يليها اسم، أو اسم موصول (ما) وصلته، أو مصدر. وكلها ذات صلة وثيقة بموضوع السؤال إذ تأتي كعنوان للموضوع الذي سيرقه، ويليهما الخبر الذي يأتي افتتاح الجواب وذلك كقوله:

«وأما «صالحُ بن عبد القدوس»، فقد سُهر بالزندقة»^(٣).

«وأما ما ذكره من حكاية «القطر بلى» و«ابن أبي الازهر» فقد يجوزُ مثله»^(٤).

(١) الرسالة، ص ٤٤٥.

(٢) الرسالة ص ٥٥٩ انظر الجمل الباقية في ص: ٣٨١، ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٥٢.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٦.

(٤) الرسالة، ص ٤١٨.

«وأما وُرُودُهُ حلب، حرسها الله، فلو كانت تَعْقِلُ لَفَرَحَتْ به فرح الشمطاء المنهيلة»^(١).

والتسع جمل الاسمية الباقية تتركب من مبتدأ وخبر دون أن تسبق بـ «ما» ومنها قوله: «وبابك فتح باب الطغيان»^(٢).
«وأنا أعتذر إلى مولاي الشيخ الجليل من تأخير الإجابة»^(٣).

من خلال هاتين الملاحظتين يبدو أن أسلوب أبي العلاء في الفصل الأول يختلف عنه في الفصل الثاني، وذلك تبعاً لطبيعة مضمون كل من الفصلين.
ولكى لا نجازف في تعميم هاته الملاحظة التي استخلصناها من التجربتين، وحتى نكشف، بحق، عن ميل أبي العلاء ومدى ملاءمة أسلوبه للموضوع الذى يتناوله، سنعمل على تحليل بعض النماذج، لنحدد النسبة بين عدد الجمل الفعلية، والجمل الاسمية، في رسالة الغفران.

إن تحديد النسبة بين تلك الجمل يقتضى، في الواقع، إحصاءاً تاماً لكل جمل الرسالة، غير أن ذلك ليس سهل الإنجاز في تأليف عدد صفحاته ٥٨٤. وقد حاولنا أن نستعين على تحقيق ذلك، بمركز العقل الألكترونى الموجود في القاهرة، وبآخر في الجزائر فلقينا من بعض المسئولين بالمركزين كامل الترحيب بالفكرة وأعطونا وعوداً للإنجاز. بيد أننا مازلنا ننتظر النتيجة إلى اليوم!

وحيث إننا لم نتمكن من إحصاء كل جمل وتراكيب الرسالة، فقد قمنا باستقراء مجموع الغفران، وألقينا نظرة متفحصة، كما فصلنا ذلك في الصفحات السابقة،

(١) الرسالة، ص ٣٩٣.

انظر، الأمثلة الباقية في ص. ص ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٨٣، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، ٥٧٨، ٥٨٢.

(سبق أن أوردنا بعض هذه الشواهد في الفصل الثانى من الباب الأول في هذه الدارسة).

(٢) الرسالة، ص ٤٩٠.

(٣) الرسالة، ص ٥٨٣.

واخترنا أن نقوم بدراسة ثلاثة نماذج إحصائية، عسى أن نحقق الهدف المتوخى.

وهذه النماذج هي على التوالى :

١ - صفحات متنوعة.

٢ - الجمل الدعائية.

٣ - الجمل النعتية.

ولن يقتصر إحصاؤنا لنماذج الجمل الفعلية والجمل الاسمية على نوع من أنواع التراكيب. بل سيتناول كل تركيب فعلى وغير فعلى تتوفر فيه شروط الإسناد، سواء كان جملة أو تركيباً مستقلاً، أو تركيباً غير مستقل، طبقاً لما ذكرناه فى الفصل السابق. هكذا سنهيج فى تناولنا إحصاء ودراسة الجمل المنهج التالى :

١ - إحصاء عدد الجمل « الأساسية »، ونعنى بها كل جملة ينطبق عليها المفهوم الذى حددنا قبل، أى متى توفرت فى التركيب شروط الوحدة البنائية التامة المدلول، جملة بسيطة كانت أو مركبة أو تركيبية.

٢ - إحصاء عدد التراكيب المستقلة.

٣ - إحصاء عدد التراكيب غير المستقلة.

النموذج الأول

إحصاء الجمل والتراكيب الفعلية والاسمية في صفحات من الغفران

من خلال استقراء مستهل الفقرات في فصلى الرسالة معاً، بدا لنا، كما قلنا، سابقاً، أن الجمل الفعلية تفتح كل مرحلة من مراحل تنقل ابن القارح في العالم الأخرى، وأن الجمل الاسمية تحظى بالنسبة الكبيرة في مستهل أجوبة أبى العلاء لمراسله. بيد أنه، إذا كان المقام، فى كل مرة، يقتضى ما يناسبه، فهل يصح أن نقول إن جمل الفصل الأول تطغى عليها الفعلية، وجمل الفصل الثانى تسودها الاسمية فنخرج بنتيجة هى أن الجملتين متعادلتين فى الرسالة؟

لن نكون مصيبين إذا وقفنا عند الأبواب، ولم ندخل البيوت، واكتفينا بإطلاق حكم الجزء على الكل، من غير استقراء علمى يفى الموضوع حقه. لذلك سنقوم بدراسة إحصائية مقارنة فى نموذجين:

١ - صفحات اعتباطية متنوعة.

٢ - صفحات منتقاة من الفصل الأول، وأخرى من الفصل الثانى.

النوع الأول:

سنأخذ الصفحات: ١٤٠ - ٢٠٥ - ٢٨٣ - ٤٢٣.

(أ) صفحة ١٤٠: يصف أبى العلاء رسالة ابن القارح التى توصل بها، ويذكر ما أعد لكاتبها، فى الجنة، ابتداء من قوله: «قد وصلت الرسالة» (آخر صفحة ١٣٩).

والجدول التالي يعطينا نتائج الإحصاء في هذه الصفحة.

جدول ١

النوع	العدد	الفعلية (شواهد)	العدد	الاسمية (شواهد)
الجملة الأساسية	٧	«يَسْتَغْفِرُ لِمَنْ / أَنْشَأَهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ».	٥	«وَمِثْلُهَا شَفَعَ وَنَفَعَ، وَقَرَّبَ عِنْدَ اللَّهِ وَرَفَعَ» «وَفِي تِلْكَ السُّطُورِ كَلِمٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُ عِنْدَ الْبَارِي - تَقْدِسُ - أَثِيرٌ»
التركيبة المستقلة	١٦	«وَيَذْكُرُهُ ذِكْرَ مُحَبِّ خَدِينٍ»	٤	«وَمَنْ قَرَأَهَا مَا جُورٌ»
التركيبة غير المستقلة	١١	«تَرَكَ أَضْلاً إِلَى فَرْعٍ»	١	«بَحْرُهَا بِالْحِكْمِ مَسْجُورٌ» ^(١) .

يلاحظ أننا كررنا أمثلة الجملة الأساسية الاسمية، ذلك أن جملتين منها جاء الخبر فيهما مفرداً. أما في الجملة الثلاث الأخرى فجاء الخبر تركيباً فعلياً. لذا ضربنا لكل نوع مثالاً.

(ب) صفحة ٢٠٥، يقيم أبو العلاء حواراً بين ابن القارح والنابغة، الشاعر الجاهلي، حول قصيدته في النعمان بن المنذر، بها من الجملة ما يلي:

(١) صلة موصول في الجملة الاسمية: «وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجورٌ ومن قرأها ماجورٌ».

جدول ٢

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجملة الأساسية	٦	« فيقولُ النابغة بذكاءٍ وفهم : لَقَدْ ظَلَمَنِ مَنْ عَابَ عَلِيَّ » .	٣	« وذلكَ أن النعمانَ كان مُسْتَهْتَرًا بِتَلِكِ المِراةِ فَأَمَرَني أَنْ أذْكَرُها في شِعْري فَأَذَرْتُ ذَلِكَ في خَلْدِي فَقُلْتُ : إِنْ وَصَفْتُها وَصْفًا مُطْلَقًا، جَازَ أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِها مُعْلَقًا »
التركيب المستقلة	١٦	« ولو أَنْصَفَ، لَعَلِمَ أَنِّي احْتَرَزْتُ أَشَدَّ احْتِرازَ »	٣	« فهذا أسلم »
التركيب غير المستقلة	١٨	« عابَ عَلِيَّ »	٠	

(ج) صفحة ٣٨٢ : يصف أبو العلاء جلسة أكل في الجنان، ويتناول أثناء ذلك تحليلًا لغويًا :

جدول ٣

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجملة الأساسية	٨	«فإذا تَكَرَّرَتْ بَيْنَهُمْ، قال أبو عُثْمَانَ المَازِنِي العَبْدُ المَلِكِ بنِ قَريبِ الأَصمعي: يا أبا سَعِيدٍ، ما وِزْنُ إوزِهِ؟»	٣	«وزن إوزة في الموجودِ إِفْعَلَةٌ ووزنُها في الأصلِ، إِفْعَلَةٌ وهي تَكُونُ عَلَى ما يُريدونَ.»
التركيب المستقلة	١٠	«فَيَتَمَنَّاهَا بَعْضُ القَوْمِ شِواءً.»	٤	«وزنُها في الأصلِ أَفْعَلَةٌ.»
التركيب غير المستقلة	١٥	«فإِذَا قُضِيَتْ مَها الحَاجةُ» ^(١) .	٤	«وأصلُه أناسٌ.»

يلاحظ أن الخبر في خمس جمل اسمية جاء تركيباً فعلياً.

٤ - صفحة ٤٢٣، يتعرض فيها أبو العلاء للإجابة عن سؤال ابن القارح حول «المتنبى».

(١) ذكرنا فيما سبق أن جملة الشرط تركيب غير مستقل، وهذه واقعة جملة شرط في الجملة: «فإذا قُضِيَتْ مَها الحَاجةُ عَادَتْ، يا ذن الله، إلى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الجَنَاحِ.»

جدول ٤

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجملة الأساسية	١٩	«ولا يَمْتَنِعُ أن يكونَ أعدَدٌ لَهُ شيئاً من الطعامِ مسموم، وألقاهُ له، وهو يُجَنِّفِي عن صاحبه فعله»	٣	«والخِزْبِقُ سُمُّ الكِلَابِ مَعْرُوفٌ».
التركيب المستقلة	١٤	«ثم سكن نفاراها» ^(١)	٣	«وأنه وَرَدَ بها الحِلَّةُ وهو رَاكِبٌ».
التركيب غير المستقلة	١٦	«ألح عليها في النباح»	٦	«وهو رَاكِبٌ عَلَيْهَا» ^(٢) «وهي راتحة في الإبل»

يمكننا أن نلخص نتائج الإحصاء في هذا النوع الأول (أى الصفحات الاعتبائية) في الجدول التالي:

(١) وظيفة التركيب المستقل معطوف على التركيب المستقل «وتنكرت برهة».

(٢) وظيفة التركيب غير المستقل حال من اسم «إن» في الجملة الأساسية: «وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها».

جدول ٥

عدد الاسمية	عدد الفعلية	النوع
١٤	٣٠	الجملة الأساسية
١٤	٥٦	التراكيب المستقلة
١١	٦٠	التراكيب غير المستقلة

يبدو أن عدد الجملة الفعلية يفوق بكثير عدد الجملة الاسمية وكذلك عدد التراكيب الفعلية المستقلة وغير المستقلة.

وننتقل الآن إلى إحصاء جمل النوع الثانى من النموذج الأول.

النوع الثانى :

صفحات مختارة من رسالة الغفران.

أخذنا عدداً من الصفحات، من الفصل الأول ونفس العدد من الفصل الثانى. وراعينا فى اختيار هذه الصفحات المتوالية، اشتغال كل مجموعة على موضوعين مختلفين. فمثلاً، تحتوى صفحات الفصل الأول، حيث الموضوع العام هو وصف الرحلة ومسرحها، على استطراد لغوى أو ما يشبهه. وتحتوى صفحات الفصل الثانى حيث الموضوع العام الإجابة على أسئلة ابن القارح، على استطراد وصفى لا يخلو من خيال. لبرى هل تتنوع جمل أبى العلاء بتنوع المواضيع التى يطرقتها؟ وما نسبة شيوع كل نوع فى فصلى الرسالة؟ وقد وقع اختيارنا على الصفحات التالية :

(أ) فى الفصل الأول: من ص ٣٤٥ إلى ص ٣٦٢.

(ب) فى الفصل الثانى: من ص ٥٠٨ إلى ص ٥٢٥.

(أ) نتائج إحصاء جمل صفحات الفصل الأول: من ص ٣٤٥ إلى ص ٣٦٢.

يقيم أبو العلاء من ص ٣٤٥ إلى ٣٦٠، حواراً على مسرح جهنم، بين ابن القارح والشاعر الأخطل التغلبي وهو يتصور ويقاسى عذاب النار، فيذكره ابن القارح، بأخطائه في الدنيا: لم يدخل الإسلام، وعاشر يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الذي اشتهر بالسفه والاستهتار، ثم يتدخل إبليس، في هذا الحوار، ليشتت به ويؤيد رأيه في بني آدم عامة.

يسأل ابن القارح عن المهلهل التغلبي ويناقش معه سبب تسميته بـ «المهلهل» فيكذب بعض التفاسير الشائعة.

وبعده، يقف عند المرقشين، الأكبر والأصغر فينتقد بعض المعاني الواردة في أشعارهما.

ثم اتصل بالشنفري وتأبط شراً، وهما آخر من حاور ابن القارح في النار، قبل أن يعود لمحلته في الجنان.

أما في الصفحات الثلاث الأخيرة (من ص ٣٦٠ إلى ٣٦٢) فيصادف ابن القارح في طريق عودته إلى الجنة «آدم»، فيسأله عن رأيه فيما روى له من أشعار، ويستطرد إلى الحديث عن سبب تسمية «الإنسان» بـ «إنسان». تحلل هذه الصفحات الثلاث الأخيرة، أصل لفظة «إنسان» ومم اشتقت، وينتقد أبو العلاء رأى البصريين فيما ذهبوا إليه، كما ينتقد من يقول بأن العربية كانت لغة آدم.

تلك هي المباحث التي تتحدث عنها هذه الصفحات.

فما هي نسبة الجمل الفعلية والجمل الاسمية فيها؟

الجدول التالي يعطينا نتائج الإحصاء.

جدول ٦

من ص ٣٤٥ ← ٣٦٢		
اسمية	فعلية	النوع
١٢	٤٧	الجملة الأساسية
٢٦	٧٥	التراكيب المستقلة
٤٣	١٤٠	التراكيب غير المستقلة

ونثبت هنا ملاحظة، هي أن نسبة الجملة والتراكيب الاسمية، في الصفحات الأخيرة، تفوق نسبتها في الصفحات الأولى. فمن مجموع عددها الذي ذكرناه، نجد أن :

جدول ٧

ص ٣٦٢-٣٦٠	ص ٣٥٩-٣٤٥	النوع (الاسمية)
٦	٦	الجملة الأساسية
١٠	١٦	التراكيب المستقلة
٢٣	٢٠	التراكيب غير المستقلة

هذا يعني أن المناقشات اللغوية والنقدية في الصفحات الأخيرة، (٣٦٢-٣٦٠)

اقتضت من الجمل والتراكيب الاسمية أكثر مما اقتضته مواضع الوصف في الصفحات الأولى (٣٤٥ - ٣٥٩). من ثم علت نسبتها، وإن ظلت أقل بكثير من عدد الجمل والتراكيب الفعلية في كلا الموضوعين.

(ب) نتائج إحصاء جمل صفحات الفصل الثاني (من ٥٠٨ - ٥٢٥). يجيب أبو العلاء في الصفحات الأولى منها (من ٥٠٧ - ٥١٦) على قول ابن القارح:

«وأنا أستعينُ بعصمةِ الله وتوفيقِهِ، واجعلُهما معيْنِي على دفعِ شهواتي، وأشكو إليه عكوفِي على الأمان، وأسألهُ فهماً لمواعظِ عبْر الدنيا فقد عميت عن كلِّوم غيرها بما جثم على خواطري من الشغف بها ولست أجد مني مُنصفاً لي منها، ولا حاجزاً لرغبتِي فيها عنها»^(١).

وقد جاءت هذه الصفحات مملأى بالمواعظ وضرب الأمثال وسرد الحكم، خصوصاً ما يتعلق منها بالحث على تجنب الخمر وعواقبها، والكف عما لا يرتضيه الخالق سبحانه.

يعنى أن أبا العلاء، هنا، يقرر حقائق ويرغب في مبادئ أخلاق قارة وثابتة لا تتغير بسرعة وتتغير الظروف والأحوال. وتبعاً لذلك، جاءت نسبة الجمل الاسمية الأساسية أكبر من نظيرتها الفعلية، أى أن الاسمية تبلغ ثلثي مجموع الجمل الأساسية. بيد أن نسبة التراكيب الاسمية المستقلة وغير المستقلة أقل من نظيرتها الفعلية، كما تظهره الأرقام التالية:

(١) الرسالة، ص ٥٠.

جدول ٨

من ص ٥٠٨ ← ٥١٦		
النوع	الفعلية	الاسمية
الجمل الأساسية	٦	١٦
التراكيب المستقلة	١٦	٩
التراكيب غير المستقلة	٢٥	٩

أما في الصفحات الأخيرة (من ٥١٧ إلى ٥٢٥) فيُذَيَّلُ أبو العلاء جوابه على كلام ابن القارح منتقلاً بنا إلى جو الخيال المبدع الذي عهدناه في الفصل الأول من الرسالة. ويتصور مراسله (ابن القارح) وقد تاب ورغب عن الميل إلى شهوات النفس، والاستسلام إلى مظاهر الدنيا الخداعة. وهكذا، يقبل عليه الأدباء، وكل من سمع بتوبته، فيجالسهم في مسجد بحلب، ويأخذ في وعظهم وهم يصغون إلى خطابه، ويوجد بجانبه خنجر ليجأ به زق خمر أحد المارين بمجلسه. فإذا ما تم ذلك، ذهب صاحب الزق ليشكو أمره إلى السلطان.

ولم ينس أبو العلاء أن يجعلنا، من جديد، نعيش في الجنة مع الحور العين المعدات لابن القارح، فيصف فرحهن لتوبته واستقبالهن له.

ماذا نجد من الجمل بهذه الصفحات؟

إن نسبة الجمل والتراكيب المستقلة وغير المستقلة الاسمية تنخفض جداً، في حين ترتفع نسبة نظيرتها الفعلية. والجدول التالي يعطينا نتائج الإحصاء.

جدول ٩

من ص ٥١٧ ← ٥٢٥		
الاسمية	الفعلية	النوع
٤	٣٨	الجمل الأساسية
١٠	٥٥	التركيب المستقلة
١٥	١٠٩	التركيب غير المستقلة

تلك هي نتائج الصفحات (٥١٧ إلى ٥٢٥). وفيما يلي نرسم جدولاً يجمل نتائج إحصاء الجمل في صفحات الفصل الثاني:

جدول ١٠

من ص ٥٠٨ ← ٥٢٥		
اسمية	فعلية	النوع
٢٠	٤٣	الجمل الأساسية
١٩	٧١	التركيب المستقلة
٢٤	١٣٤	التركيب غير المستقلة

استنتاجات من إحصاء جمل وتراكيب النموذج الأول :

بالمقارنة بين الجداول المتقدمة يظهر جلياً أن :

١ - عدد الجمل الفعلية والتراكيب الفعلية، بنوعيتها، المستقلة وغير المستقلة، في النموذج الأول الذي درسته الصفحات السابقة يفوق عدد نظيراتها الاسمية.

٢ - الحكم الذي استخلصناه من إلقاء نظرة عامة على الرسالة (وهو أن الجمل الفعلية تسود الفصل الأول، في حين تسود الاسمية الفصل الثاني) حكم غير دقيق فإن كان يبدو، لأول وهلة، من إحصاء الجمل التي يفتح بها أبو العلاء أجوبته، أن عدد الاسمية أكبر من عدد الفعلية، فإن ذلك لا يعكس النسبة الحقيقية بين نوعي الجمل والتراكيب في الفصل الثاني، بدليل النتائج الإجمالية لعدد الجمل الأساسية في كل من الفصلين.

جدول ١١

النوع	الفصل الأول ٣٦٢-٣٤٥	الفصل الثاني ٥٢٥-٥٠٨
الجمل الأساسية	١٢	٢٠
التراكيب المستقلة	٢٦	١٩
التراكيب غير المستقلة	٤٣	٢٤

٣ - النسبة بين نوعي الجمل والتراكيب (الفعلية والاسمية) تختلف، حسب المواضيع التي يتناولها أبو العلاء، سواء في الفصل الأول أم في الفصل الثاني من الرسالة. فعندما يخضع الموضوع للوصف والخيال تكون نسبة الجمل الاسمية

قليلة جداً، وعندما يكون الموضوع لغوياً أو نقدياً أو فلسفياً ترتفع نسبتها، ويمكننا أن نتبين هذا بالمقارنة بين الجداول:

- (أ) ١، ٢ من جهة، و٣، ٤ من جهة أخرى.
 (ب) ٦، ٩ من جهة، و٧، ٨ من جهة أخرى.

٤ - عدد الجمل والتراكيب الفعلية، في النموذج الإحصائي الأول، أى في مجموع الصفحات التي حللناها، يفوق عدد الجمل والتراكيب الاسمية، كما يلخصه الجدول الآتي:

جدول ١٢

اسمية	فعلية	النوع
٤٦	١٢٠	الجمل الأساسية
٥٩	٢٠٢	التراكيب المستقلة
٧٨	٣٣٤	التراكيب غير المستقلة

يلاحظ أننا أثبتنا نتائج إحصاء جمل وتراكيب الصنف الثاني، من هذا النموذج، دون أن نورد أمثلة لكل نوع، واكتفينا بالإحالة على النصوص، في الصفحات المشار إليها، وذلك خشية الإطالة فيما قد يستغنى عنه. وسنتقل الآن إلى إحصاء جمل النموذج الثاني وهى الجمل الدعائية.

النموذج الثاني

إحصاء الجمل الفعلية والاسمية في الجمل الدعائية

سنعمل في هذا النموذج على إثبات نتائج إحصاء الجمل والتراكيب وتحديد نسبة الفعلية والاسمية تاركين تفصيل الحديث عن الجمل الدعائية وخصائصها إلى فصل خاص.

يبلغ عدد الجمل الدعائية الواردة في رسالة الغفران ١١٩ جملة، منها:

١٠٤ فعلية.

١٥ اسمية.

فتكون نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية هي $\frac{1}{8}$ (تقريبًا).
والجدول التالي يجمل نتائج الإحصاء.

جدول ١٣

الجمل الدعائية	
١٥	الاسمية
١٠٤	الفعلية
$\frac{1}{8}$	النسبة بينهما

سنحاول في الفصل الخاص بالجمل الدعائية تحليل هاته الظاهرة مع إثبات بعض الأمثلة.

النموذج الثالث

إحصاء نسبة الجمل الفعلية والاسمية في الجمل النعتية

بعد عملية إحصاء راعينا فيها، الدقة بقدر المستطاع، علمنا أن عدد النعوت التي جاءت جملاً هو ٣١٠ نعماً وأن نصيب الجمل الاسمية فيها قليل:

١ - الجمل الفعلية ٢٥٠.

٢ - الجمل الاسمية ٦٠.

فتكون النسبة هي $\frac{1}{6}$ تقريباً. ونلخص ذلك في الجدول التالي:

جدول ١٤

الجمل النعتية	
٦٠	جمل اسمية
٢٥٠	جملة فعلية
$\frac{1}{6}$	النسبة بينهما

سنكتفى بإثبات هذه النتائج على أن نعمل، في فصل خاص، بالجمل الواقعة نعماً على تفصيل القول في كل نوع منها.

الخلاصة :

من هذه النماذج الثلاثة السابقة ومن نظرة تحليلية لأسلوب الرسالة عامة، نستخلص أن الجمل والتراكيب الفعلية تشيع أكثر من الجمل والتراكيب الاسمية في الأسلوب العلائقي . فالاسمية التي بالرسالة تبدو أكثر عددًا في الفقرات التي يتناول فيها أبو العلاء تحليلًا نحويًا أو نقديًا أو شرحًا لغويًا، في استطراداته بالفصل الأول، كما تبدو كثيرة في مستهل إجابته عن أسئلة ابن القارح، وفي الصفحات التي يتعرض فيها للنصح، وسرد الحكم، واستخلاص العبر من حوادث الدهر بالفصل الثاني. ورغم ذلك، تظل الجمل والتراكيب الاسمية (بالنسبة للجمل والتراكيب الفعلية) قليلة الاستعمال، في الرسالة عمومًا، فكما أظهرت لنا نتائج الإحصاء السابقة، إن الجمل والتراكيب الفعلية تحتل المركز الأول، حتى في الفصل الثاني من الرسالة، وإن كان يختلف موضوعه عن الرحلة القارحية التي نسجها الفصل الأول. لقد كان من المتوقع أن تتساوى النسبة بين نوعي الجمل والتراكيب. ولعل ما به من استطرادات متنوعة، لا تخلو من خيال وقص، هو ما رفع نسبة الفعلية به.

وباختصار يظهر بوضوح أن الأسلوب العلائقي يتغير حسب المواضيع التي يتناولها. هكذا جاءت جملة وتراكيبه ملائمة للمحتويات، تعكس ما يقتضيه كل مقام. ففي الفصل الأول يصور أبو العلاء رحلة ابن القارح، عبر الجنة والنار، فتسود مواقف التصوير والابتكار والوصف، ويسود معها تعاقب الأحداث المختلفة التي تمضي في ظروف متوالية، وفترات حالية ومستقبلية، الشيء الذي جعل الجمل والتراكيب الفعلية المضارعة تسود قسم الرحلة عمومًا (حكاية الحال) وهذا يتناسب، ولا شك، مع ما كان يهدف إليه أبو العلاء حيث أراد أن يجعلنا نسير مع ابن القارح خطوة خطوة، فنحيا وياها تلك المغامرات، ونشعر، في نفس اللحظة، بما يشعر به. فقليلا ما كان أبو العلاء يكتفى بإخبارنا بما قام به ابن القارح أو غيره من أبطال الرحلة، بل كان يأبى إلا أن نكون له وهم، شركاء فعلا، ورفقاء في جولات الجنة والنار.

لذا، جاءت نسبة الجمل والتراكيب الفعلية الماضية في فصل الرحلة أقل من نظيراتها المضارعية، فالأحداث التي كانت تحصل في زمان مضى، ويذكرها صاحبنا على سبيل الحكاية، هي ما جاءت، مثلاً في قصة الحشر التي ساقها على لسان ابن القارح حين أخذ يحكى كيف تم خلاصه من أهوال الصراط والحشر^(١)، وكذلك في قصة مغامرات إبليس التي عاشها في الدنيا مع بنى آدم^(٢). هناك سادت الجمل والتراكيب الفعلية ذات الفعل الماضي.

أما في الفصل الثاني من الرسالة حيث يرد أبو العلاء على أسئلة ابن القارح، فإن الأسلوب يأخذ طابعاً آخر، إذ يصبح تقريرياً في مجمله، ومن ثم يستعمل، غالباً، في بداية تناوله الرد على كل سؤال جملة اسمية كما يستعمل الجمل الاسمية في التعبير عن الحكم والمواظ التي يسوقها. وهذا يسير طبقاً للنظرية التي سقناها في أول الفصل، من أنه يُلجأ إلى الجمل والتراكيب الاسمية حينما يراد إعطاء المسند إليه الاهتمام الأساسي في الخبر ليحتل المركز الأول، وهذا يتجلى واضحاً في الفصل الثاني من الرسالة إذ ينصب الحديث عن بعض رجالات الأدب واللغة والفقهاء الذين جعلهم ابن القارح موضوع تساؤلاته، كما رأينا. ورغم ذلك، تظل الجمل والتراكيب الفعلية ذات النسبة الكبرى حتى في هذا الفصل.

وإن التلام بين القوالب والمحتوى لما يعكس قوة الإبداع والخلق عند أبي العلاء. هذا، بالإضافة إلى ما في أسلوبه من سحر ورونق لا يخضع لمقاييس الإحصاء والضبط، الشيء الذي يؤكد أن خصائص العبقرية العلائية هي أنها استطاعت أن تتميز بأسلوب خاص، ينجح، إلى حد كبير، في انتزاع القارئ وجعله يحيا كلياً، ويسير عن كثر جزئيات الرسالة، دون ملل أو كلل. وأكثر من ذلك، إن أسلوب الرسالة يرغب في قراءتها مرة ومرات، وكلما تكررت القراءة، ازداد الشعور بسر خفي يجذب إلى المزيد من التأمل والدرس، وتتكشف ألوان من

(١) رسالة الغفران، من ص ٢٤٨ إلى ٢٦٢.

(٢) رسالة الغفران، من ص ٢٩٣ إلى ٢٩٦.

المفاهيم والتعابير يقل ورود أمثالها في تأليف غيره من الكتاب. قد لا نجازف إذا قلنا إن ما رمى به ويرمى به أسلوب أبي العلاء من تعقيد يعكس نفسيته المعقدة المحرومة، ليس في الحقيقة سوى قصور عن الكفاح والصبر من أجل الوصول إلى التذوق والانفعال لفن جديد من فنون الأدب، ذي أسلوب متميز عال.

الفصل الرابع

النعته في رسالة الغفران

تناول الفصل السابق دراسة الجملة بأنواعها المختلفة، البسيطة، والمركبة، والتركيبية، وذلك في الشكلين الأساسيين، الجملة الاسمية، والجملة الفعلية.

ولكن الجمل في اللغة لا تقوم بعناصرها الأساسية وحدها، بل إنها تضم بعض المكملات التي تعتبر عناصر ضرورية في بنائها.

وقد لاحظنا من خلال دراسة أشكال الجمل العلائية أن امتداد الجمل التركيبية يرجع لما تضمه من تراكيب غير مستقلة، تقع في غالب الأحيان صفة. إذ أن استخدام الوصف بأنواعه المختلفة هو من أكثر الأساليب شيوعاً في رسالة الغفران، فرأينا أن نقوم بدراسة استقرائية شاملة لهذه الظاهرة تبعاً لأشكال جملها، وصيغ مفردتها، وما جاء من الجوامد مؤولاً بالمشتق، لنرى إلى أي حد كان أبو العلاء يستخدم اللغة بمرونة فائقة، واقتدار عجيب.

لدراسة النعته في رسالة الغفران، نهجنا منهج النحاة في تقسيم النعوت باعتبار معناها، أي نوع النعوت الذي تتعلق به دلالتها. بعد الاستقراء، تبين لنا أنها تخضع لنوع النعته المعروفة في بابها، فهي إما دالة على معنى في نفس متبوعها الأصلي وهو ما يطلقون عليه النعته الحقيقي وإما دالة على معنى في ما هو من سببه وهو ما يسمونه النعته السببي.

النعته الحقيقي:

تيسيراً لمهمة دراسة النعوت الحقيقية الواردة في الرسالة، بدأنا بإحصاء شواهدنا، ونقل كل واحدة منها على جذاذة خاصة، ثم عمدنا إلى تقسيمها حسب المستوى التركيبي، أي نوعية مبنائها الذي تؤدي به وظيفتها، فوجدنا أن من تلك

النعوت ما ينتمى إلى المستوى البسيط، فجاء مفرداً، ومنها ما يدخل في المستوى المركب فجاء جملة أو شبه جملة.

وفيا يلي سنعمل على دراسة النعت الجملة.

أولاً: النعت الجملة

تتجلى ثقافة أبي العلاء وعمق اطلاعه فيما تزخر به رسالة الغفران من استطرادات متنوعة المشارب: أدبية ولغوية ونحوية وفقهية. أما ثروته الخيالية وتضلعه اللغوى فيظهران بوضوح فيما له من باع طويل وقدرة على تجاوز النعوت المفردة إلى النعت جملة واحدة، أو جملاً متتالية، الشيء الذى يجعل التعبير العلائى يمتاز بالنفس الوصفى الطويل. ويسدل عليه رونقاً خاصاً.

وقبل أن نتصدى لدراسة أحوال الجمل النعتة في الرسالة، نشير إلى أن أبا العلاء كما يستعمل من الصفات الجمل وحدها، قد يجمع بين النعت الجملة والنعت المفرد للمنعوت الواحد، أو بينها وبين شبه الجملة، وقد يجمع بين الأنواع الثلاثة، المفرد، وشبه الجملة، والجملة. لذلك نرتئى أن نقسم الجمل الواقعة نعتاً في الاستعمال العلائى إلى الأقسام التالية:

- ١ - الجملة مفردة.
- ٢ - الجملة مع نعت مفرد.
- ٣ - الجملة مع نعت شبه جملة.
- ٤ - الجملة مع نعت مفرد وآخر شبه الجملة.

وستتولى دراسة كل قسم، من هذه الأقسام، على حدة، عاملين في دراسة الجمل، على الكشف عن بنيتها التركيبية، وعن نظام أجزائها المختلفة. ولتحقيق ذلك عمدنا إلى تحليل كل جملة إلى العناصر التى تتألف منها، آخذين بعين الاعتبار موضع ونوع كل من المسند، والمسند إليه، وما قد تحويه الجملة من مفاعيل ومكملات، كالجار والمجرور، والعطف والنعت، والحال. إثر، ذلك، جمعنا

المتشابهات تحت مجموعة واحدة. ثم حصرنا أنواع جمل كل مجموعة، في صنفين كبيرين هما :

- الجمل الفعلية.

- الجمل الاسمية.

كل ذلك رغبة منا في معرفة أى أشكال الجمل الوصفية يطرد وروده في رسالة الغفران.

القسم الأول

النعت الجملة (منفردة)

استخلصنا من عمليتي الإحصاء والتصنيف أن عدد النعوت التي جاءت جملة منفردة عن النعت المفرد، والنعت شبه الجملة يبلغ حوالى ٣١٠ جملة. وتبين لنا، كما ذكرنا فى الفصل المتعلق بدراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية فى الغفران، أن عدد الجمل الفعلية التي جاءت نعتاً، يفوق بكثير عدد الجمل الاسمية. وسنبداً، أولاً، بالجمل الفعلية محاولين استخلاص ميزات الاستعمال العلائق فيها.

الجمل الفعلية الواقعة نعتاً

يبلغ عدد الجمل الفعلية الواقعة نعتاً منفرداً عن غيره من أنواع النعوت الأخرى ٢٥٠ جملة، وسنحاول دراسة تركيبها ونظام الكلمات داخلها.

يمكن على أساس البناء الداخلى تقسيم الجمل الفعلية إلى: جمل بسيطة، وجمل مركبة، وجمل تركيبية.

وفى كل واحدة من هذه الجمل، إما أن يكون المسند فعلاً لازماً أو متعدياً إلى مفعول به واحد أو أكثر.

بناء على ذلك، يمكن أن نقسم كل نوع من أنواع الجمل، حسب نوع الفعل فيها إلى:

(أ) الجمل التي جاء فيها الفعل لازماً.

(ب) الجمل التي جاء فيها الفعل متعدياً.

النوع الأول :

الجمل الفعلية البسيطة :

أولاً : الجمل ذات الفعل اللازم :

يبلغ عدد الجمل التي جاء فيها الفعل لازماً ٨٢ جملة . وقد جاء الفاعل فيها إما :

- ضميراً متصلاً ، وذلك كقول أبي العلاء :

« فخرَجَ مع قومٍ يتنزهون »^(١) .

- أو ضميراً مستتراً ، مثل :

« فمروا بثورٍ يكرُبُ ، فقال لأصحابه »^(٢) .

وقد يأتي الفعل مبنياً للمجهول ، ونائب الفاعل ظاهراً كقوله :

« ومع المنصفِ باطيةً من الزمرد ، فيها من الرّحيقِ المختومِ شيءٌ يُمزجُ

بزنجيل »^(٣) أو ضميراً مستتراً كقوله :

« فأين مَهْرَبِ العاقِلِ من شقاءِ رتبِ »^(٤) .

ويلاحظ أن أبا العلاء :

١ - اكتفى في ٢٥ جملة بالمسند والمسند إليه ، كما هو واضح في الأمثلة السابقة فأتت

الجمل على الشكل التالي :

المسند + المسند إليه

٢ - في ٣٥ جملة يلي المسند إليه ، سواء كان ظاهراً أو مستتراً :

(١) الرسالة، ص ٤٦٨ ، انظر أمثلة أخرى في ص ٢١٥ ، ٢٩٤ .

(٢) الرسالة، ص ٤٦٨ ، انظر أمثلة أخرى في ص ١٦٤ ، ١٧٦ ، ٣٤٥ ، ٣٩٧ ، ٤٣١ ، ٤٨٠ .

(٣) الرسالة، ص ١٨٥ ، انظر أمثلة أخرى في ص ١٧٦ ، ٢١٥ ، ٣٥٩ ، ٤٥١ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ .

(٤) الرسالة، ص ٤٩٥ ، انظر أمثلة أخرى في ص ١٥٢ ، ٣٨٦ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٤٥ .

(أ) جار ومجرور على الشكل التالي :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور.

كقوله :

«أَيُّكُونُ فِيكُمْ عَرَبٌ لَا يَفْهَمُونَ عَنِ الرُّومِ؟»^(١).

«وَرَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّائِمُ حَبْلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ»^(٢).

وقد يكون المجرور اسم موصول يحتاج إلى صلة مثل :

«يَجُورُ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ رَجُلًا قَدْ فَتَكَ بَيْنَ اسْمِهِ حَسَانٌ أَوْ عَطَارِدٌ أَوْ غَيْرِ

ذَلِكَ، فَيَتَمَثَلُ بِهَذَا الْبَيْتِ. كَمَا قَدْ يَتَعَدَّدُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مِثْلَ :

«فَإِنَّ لِلْقَيْنِصِ لَذَّةً قَدْ تَنَغَّضْتُ لَكَ بِهَا»^(٣). [تنغضت : نهضت]

(ب) مضاف إليه على الشكل التالي :

المسند + المسند إليه + مضاف إليه :

«وَحَقُّ لَكَ أَنْ تَنْسَاهُ كَمَا دُهِلَ وَحَشِيٌّ دَمِي نَسَاهُ»^(٤).

(ج) جار ومجرور مع مضاف إليه :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه :

«فَإِذَا نَظَرَ إِلَى صَوَائِرِ تَرْتَعُ فِي دَقَارِيِّ الْفِرْدُوسِ [. . .] صَوَّبَ مَوْلَايَ

الشَّيْخَ الْمَطْرَدَ»^(٥).

(د) جار ومجرور مع اسم معطوف على المجرور :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + معطوف :

(١) الرسالة، ص ٢٩٦، انظر مثالا آخر في نفس الصفحة.

(٢) الرسالة، ص ١٨٣، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف في ص ٢٥٦، ٢٧٠، ٤٤٩، ٥٢٠، ٥٥٧.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٧، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف ص ٣٧٨، ٣٩٧.

(٤) الرسالة، ص ١٩٥.

(٥) الرسالة، ص ١٩٧، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف ص ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٩، ٣٢٧، ٣٧٦، ٣٧٧.

« فِي سَجَسَجٍ بَعْدَ عَنِ الْحَرِّ وَالْقَرِّ »^(١).

(هـ) جار ومجرور مع نعت مفرد للمجرور:

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + نعت.

« أَوْ قَطْرَةٌ تَسْبِقُ مِنَ السَّحَابِ الْمَرِيِّ »^(٢).

هذا وقد يجمع أبو العلاء بين الجار والمجرور والمضاف إليه والمعطوف كقوله:

« فَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ يَفْتَرِسُ مِنْ صَيْرَانَ الْجَنَّةِ وَحَسِيلِهَا »^(٣).

٣- ومن الملاحظ، أيضاً في جمل هذا النوع أنه:

(أ) قد يفصل بين المسند والمسند إليه جار ومجرور، وقد تردد ذلك في ٢٢

جملة، أتت على الشكل التالي:

المسند + جار ومجرور + المسند إليه.

نحو:

« كَلِمًا كُشِفَتْ الْقَدْرَةَ بَدَتْ لَهَا عَجَائِبٌ لَا تَثْبُتُ لَهَا النَّجَائِبُ »^(٤).

« وَكَانَ قَدْ طَمِعَ فِي شَيْءٍ قَدْ طَمِعَ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ »^(٥).

وقد جاء الفاعل اسماً ظاهراً في إحدى عشرة جملة كما في المثالين^(٦).

أما الأمثلة الباقية فجاء فيها الفعل مبنياً للمجهول كقوله:

« إِنَّكَ عَلَى سَيْفٍ بَحْرٍ لَا يُدْرِكُ لَهُ عَجْرٌ »^(٧).

(ب) بالإضافة إلى الجار والمجرور الذي يفصل بين طرفي الجملة، يلي المسند

إليه:

(١) الرسالة، ص ١٧٥.

(٢) الرسالة، ص ٥٤٧، انظر مثلاً آخر في ص ١٤٠.

(٣) الرسالة، ص ٣٠٤، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف في ص ٢٢٦، ٢٤٣، ٤١٩.

(٤) الرسالة، ص ٢١٤.

(٥) الرسالة ص ٤١٨.

(٦) الرسالة ص ٢٢١، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣٤٧، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٧٣، ٥٥٩.

(٧) الرسالة، ص ٢١٥، وكذلك ص ٣٥٣، ٤٢٢، ٤٧٠، ٤٧٥.

- معطوف على المسند إليه :

المسند + جار ومجرور + المسند إليه + معطوف .
«فَإِذَا رَءَاكَ مِنْ تَحْتِهِ يَسْمَعُ لَكَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١).

- أو مضاف إليه :

المسند + جار ومجرور + المسند إليه + مضاف إليه .
«ثُمَّ جُعِلَ فِي خَلْخَالِ تَخْتَالُ بِلَبْسِهِ ذَاتُ الْخَالِ»^(٢).

هذه هي أحوال بناء الجمل البسيطة الواقعة نعتاً مما جاء الفعل فيها لازماً .

ثانياً : الجمل البسيطة ذات الفعل المتعدى :

تنقسم هذه الجمل بحسب موضع المفعول به من الفاعل إلى :

- ١ - ما حافظ فيها المفعول به على رتبته .
- ٢ - ما تقدم فيها المفعول به على الفاعل .

وسندرس كل نوع على حدة .

١ - الجمل البسيطة التي حافظ فيها المفعول على رتبته بعد الفاعل .

تأتى هذه الجمل عموماً على الشكل التالي :

المسند + المسند إليه + المفعول به .

مثل :

«وَلَمْ يُقْتَلْ [. . .] حَتَّى ظَهَرَتْ عَنْهُ مَقَالَاتٌ تُوجِبُ ذَلِكَ»^(٣).

«وَتَزَوَّجَنِي رَجُلٌ يَبِيعُ السَّقَطَ»^(٤) السقط : ما لا قيمة له من كل شيء أو هو

ردىء المتاع .

(١) الرسالة، ص ٢١٣ .

(٢) الرسالة، ص ٥٧٧، انظر: مثال آخر، في ص ٣٨١ .

(٣) الرسالة، ص ٤٣٦، انظر أمثلة أخرى في ص ٢٦٩، ٥٠٠، ٥٥٥ .

(٤) الرسالة، ص ٢٨٧-٢٨٦ .

وغالبًا ما يأتي المفعول به ضميرًا متصلًا بالفعل الذي به ضمير مستتر هو الفاعل، وقد تكرر ذلك إحدى عشرة مرة، مثل قول أبي العلاء:

«ولم يجد عن ذلك لشيقاء يشقاه»^(١).

«حطب نار أكلته»^(٢).

ومما يلاحظ، أيضًا، أن المفعول به يأتي متلوًا بـ:

(أ) جار ومجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + جار ومجرور + معطوف

«وإنما نشأت في ثمرة تبعذك من جن وأنيس»^(٣).

(ب) جار ومجرور ومضاف إلى المجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + جار ومجرور + مضاف إليه.

«إن قام قائم يدعوكم إلى عبادة الله فأطيعوه»^(٤).

«أراد بالعبودية دنائير نسبها إلى عبد الملك بن مروان»^(٥).

(ج) جار ومجرور ونعت للمجرور:

«في يده محجن ياقوت ملكه بالحكم الموقوت»^(٦).

(د) أو يلي المفعول به مضاف إليه وحده:

المسند + المسند إليه + المفعول به + المضاف إليه.

«ما أقربني من إذالة تبطل كلام العدالة»^(٧).

(١) الرسالة، ص ١٣٣.

(٢) الرسالة، ص ٤٩١، انظر أمثلة أخرى في ص ١٧٩، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٥٠، ٣٠٩، ٣٩٣، ٤٠٨، ٤٩٤.

(٣) الرسالة، ص ٣٧٣، انظر مثالا آخر في ٣٤٧.

(٤) الرسالة، ص ١٨٣، انظر أمثلة أخرى في ص ٢٦٩، ٢٨٧، ٥١١.

(٥) الرسالة، ص ٥٦١، انظر أمثلة أخرى في ص ٢٦٢، ٣٩٣.

(٦) الرسالة، ص ٢١٥، انظر أمثلة أخرى في ص ١٩٩، ٤٣٧.

(٧) الرسالة، ص ٤٨١، انظر مثالين آخرين في ص ٣٣٩، ٥٥٨.

(هـ) قد تتكرر المعطوفات على المفعول به كما في قوله :
 «وقد صار من ورائها ردف يضاها كُثبانَ عالج وأنقاء الدهناء وأرملة
 تبرين»^(١).

(و) من الجمل ما يسد فيها مسد المفعول به جملة أن واسمها وخبرها،
 «ولهُ امرأةٌ تزعم أنها من طيء»^(٢).

(ز) قد يتعدى الفعل في بعض الجمل إلى مفعولين كقوله :
 «وكان له غلامٌ يعدُّ نفسه التوبة»^(٣).

٢ - الجمل البسيطة التي تقدم فيها المفعول به على الفاعل :
 يبلغ عدد جمل هذا الصنف ٥٣ جملة، من مفاعيلها ما جاء :

(أ) اسماً ظاهراً مقدماً على الفاعل. كالشكل التالي :
 المسند + المفعول به (اسم ظاهر) + المسند إليه .
 مثل : «ولكنها مقاديرٌ تعشى الناظرَ بها سَمادير»^(٤). سَمادير : شيء يترأى
 للإنسان من ضعف بصره، أو عن سكر أو دوار أو نعاس.

(ب) ضميراً متصلاً بالفعل .
 المسند + المفعول به (ضمير متصل) + المسند إليه .
 كقوله : «ولو حَضَرَ أَخُونَةُ حَضَرَهَا الشَّيْخَ لَعَادَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ»^(٥)
 وقد يلي المسند إليه نعت، عبارة عن اسم موصول وصلته كقوله :

(١) الرسالة، ص ٢٨٩ .

(٢) الرسالة، ص ٥٨١، انظر أمثلة أخرى ١٥٣، ٤٦٦، ٤٩٥ .

(٣) الرسالة، ص ٥٢٩، انظر مثالا آخر في ص ٤٩٩ .

(٤) الرسالة، ص ٤٥٣ .

(٥) الرسالة، ص ٣٩٩، انظر أمثلة أخرى للتوعين (أ،ب) في، ص ١٦٨، ٢٠٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٣٥،

٣٦٨، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٩٧، ٥٧٣ .

«ومن كل ريق ضَمَّتُهُ هذه الدارُ الخادعةُ التي هي لكل شَمَمٍ جادعةٌ»^(١).

تلك هي أحوال الجمل التي يأتي فعلها لازماً أو متعدياً. وننتقل الآن إلى دراسة النوع الثاني، من أنواع الجمل التي تقع نعتاً وهو الجمل المركبة.

النوع الثاني :

الجمل الفعلية المركبة الواقعة نعتاً :

عرفنا الجملة المركبة بأنها الجملة التي تتألف من تركيبين مستقلين أو أكثر، وقد يتم الربط بين تراكيبيها بأداة كما يتم بدون أداة. وبناء على ذلك سنقسم الجمل المركبة الواقعة نعتاً إلى :

- ما تم الربط بين تراكيبه المستقلة بأداة.
- ما تم الربط بين تراكيبه المستقلة من غير أداة.
- ما تم الربط بين بعض تراكيبه بأداة وبين بعضها الآخر بدون أداة.

وفيما يلي نورد أمثلة لكل نوع.

أولاً : الجمل الفعلية المركبة التي تم الربط بين تراكيبيها بأداة.
تعتبر أمثلة هذا النوع، أكثر وروداً من أمثلة الأنواع الأخرى إذ تبلغ عشرين مثالا، وهي تتألف من تركيبين أو ثلاثة تراكيب أو أربعة كالتالي :

(أ) الجملة المؤلفة من تركيبين تربط بينهما أداة من أدوات العطف :

الواو - الفاء - بل - ثم .

- الربط بـ«الواو»، مثل قوله :

(١) الرسالة، ص ١٤٥-١٤٦، انظر مثالين آخرين، في ص ١٣٨، ١٤٤.

«سَلَامٌ يَتَّبِعُ قُرُومَهُ إِفَالُهُ / و / تَلَحُّقٌ بِعُوذِهِ أَطْفَالُهُ»^(١).

- الربط بـ «الفاء»، مثل :

«إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِرَجُلٍ أُسِرَ / ف / كَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ بِذَلِكَ»^(٢)

- الربط بـ «بل»، مثل :

«وَبَسْمِكَ مَا جُنِيَ مِنْ دِمَائِ الْفُورِ / بَل / هُوَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ الْكَرِيمِ»^(٣)

يلاحظ أن أبا العلاء في هذا المثال جمع بين تركيب فعلي وتركيب اسمي.

- الربط بـ «ثم»، مثل :

«وَلَقَبَيْهَا كَلْبٌ أَلْحٌ عَلَيْهِمَا فِي النَّبَاحِ / ثَم / انصَرَفَ»^(٤)

(ب) الجمل المؤلف من ثلاثة تراكيب :

مثل :

«وَحِكْمِي لِي أَنْ لِقْرَامِطَةَ «بِالْأَحْسَاءِ» بَيْتًا يَزْعُمُونَ أَنَّ إِمَامَهُمْ يَخْرُجُ مِنْهُ / و /
يُقِيمُونَ عَلَى بَابِ ذَلِكَ الْبَيْتِ فَرَسًا بِسَرَجٍ وَجَامٍ / و / يَقُولُونَ لِلْهَمَجِ
وَالطَّغَامِ...»^(٥)

(ج) الجمل المؤلف من أربعة تراكيب، مثل :

«يَجِبُ أَنْ يُحَدَّرَ مِنْ مَلِكٍ يَعْبُرُ / ف / يَرَى هَذَا الْمَجْلِسَ / ف / يَرْفَعُ حَدِيثَهُ إِلَى
الْجَبَّارِ الْأَعْظَمِ / ف / لَا يُجِرُّ ذَلِكَ إِلَّا إِلَى مَا تَكْرَهَانِ»^(٦)

(١) الرسالة، ص ٥٨٤، انظر أمثلة أخرى، من هذا الصنف، في ص ١٩٨، ٢٢٣، ٢٥٤، ٣٢١، ٣٩٧، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٦٦، ٥٠٤.

القروم : جمع قرم : السيد العظيم وأيضاً الفعل إذا ترك عن الركوب والعمل.
الإفال : صغار الإبل.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٠، انظر، مثالا آخر، في ص ٥٠٠.

(٣) الرسالة، ص ٣٧٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٢٣.

(٥) الرسالة، ص ٤٤٢، انظر مثالا آخر، في ص ٢٣٦.

(٦) الرسالة، ص ٢٣٣، انظر، أمثلة أخرى من هذا الصنف، في ص ٣٠٦، ٤١٥، ٥٤٤.

ثانياً: الجمل المركبة التي تم الربط بين تراكيبها بالربط السياقي، أى من غير أداة.

وقد تتألف من تركيبين مثل:

«ولعله في نار لا تَغِيرُ، مَأْوَهَا للشارب وَغَيْرُ»^(١)

«وصارت الفخارة خَزَفًا لَا يُرَادُ، يُلْغِيهِ النَسْكَهُ والمِرَادُ»^(٢)

يلاحظ أن الفعل في التركيب الأول جاء مبنياً للمجهول وقد جاء نفس هذا التركيب ونفس نظام الكلمات في خمس جمل.

ومما جاء الربط فيه بالسياق فحسب، قوله أيضاً:

«... وأباريق حُلِقَتْ من الزبرجد يُنْظَرُ منها الناظرُ إلى بَدْيٍ مَا حَلَمَ به

أبو الهندي»^(٣)

في هذا المثال يأتي أبو العلاء للمجرور في التركيب الثاني بنعت جملة:

«إلى بَدْيٍ مَا حَلَمَ به أبو الهندي»

وكثيراً ما نجد المعرى يستعمل نعتاً مفرداً، أو شبه جملة، أو جملة لمنعوت داخل

جملة وقعت نعتاً كما في المثال السابق وكما في قوله:

«ومع المِنْصَفِ بَاطِيَةِ من الزُّمُرْدِ، فِيهَا من الرَّجِيقِ المَخْتُومِ شَيْءٌ يُمَزَّجُ بِزَنْجَبِيلِ

والماءِ أَخَذَ من سَلْسَبِيلِ»^(٤).

وقد تأتي الجملة مركبة من ثلاثة تراكيب مستقلة، ترتبط فيما بينها بالربط

السياقي:

«وَمَمْضَى فِي نُزْهَتِهِ تِلْكَ بِشَاطِينِ يَتَحَادَثَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى بَابِ قَصْرٍ من دَرِّ

قَدْ أَعْفَى مِنَ البُؤْسِ وَالضَّرِّ»^(٥).

(١) الرسالة، ص ١٤٥، انظر مثلاً آخر ص ٥٨١.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٦، انظر، أمثلة أخرى، في ص ٢٢٣، ٤٩٦، ٥٥٠.

(٣) الرسالة، ص ١٤٢. انظر مثالين آخرين في ص ٢٧٩، ١٦٧.

«أبو الهندي» (شاعر مشهور أدرك الدولتين واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس. كما يذكر أبو العلاء في ص ١٤٣).

(٤) الرسالة، ص ١٨٥.

(٥) الرسالة، ص ٢٠١.

يلاحظ أن التركيب الثاني جاء اسمياً.

ثالثاً: الجمل المركبة التي ربطت بين بعض تراكيبيها أداة وبين بعضها الآخر الربط السياقي.

أمثلة هذا النوع قليلة جداً، ومنها قول أبي العلاء:

- «وَأَمَّا هِيَ مَقَادِيرُ يُدِيرُهَا فِي الْعُلُوِّ مَدِيرٌ يَظْفَرُ بِهَا مَنْ وَفَّقَ / وَ لَا يُرَاعِ بِالْمَجْتَهِدِ أَنْ يُحْفِقَ»^(١)

- «وَإِذَا هُوَ بِحَيَاتٍ يَلْعَبْنَ / وَ / يَتَمَاقَلْنَ يَخَافُنَ / وَ / يَتَنَاقَلْنَ»^(٢).

بعد إيراد هذه النماذج للجمل الفعلية المركبة الواقعة نعتاً نتقل إلى دراسة الجمل التركيبية.

النوع الثالث:

الجمل الفعلية التركيبية التي جاءت نعتاً منفرداً:

- جمل هذا النوع قليلة، تبلغ ثلاث عشرة جملة، وقد جاءت أداة الربط التركيبية فيها إما «لو» وإما «إذا» وفيما يلي أمثلة لكل منها.

(أ) «لو»:

«فَيَجْرَعَانِ مِنْ ذَلِكَ الْمِحْلَبِ جُرْعًا لَوْ فُرِّقَتْ عَلَى أَهْلِ سَقَرٍ لَفَارُوا بِالْخُلْدِ شَرْعًا»^(٣)

«... إِلَّا وَقَعَ مَسْرَةً لَوْ عُدِلَتْ بِمَسَرَّاتِ أَهْلِ الْعَاجِلَةِ، مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَنْ طَوَى ذُرَيْتَهُ مِنَ الْأَرْضِ، لَكَانَتْ الزَّائِدَةُ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةَ اللَّجِّ الْمَتَمَوِّجِ عَلَى دَمْعَةِ الْوَيْطِ، وَالْمَهْضَبِ الشَّامِخِ عَلَى الْهَبَاءَةِ الْمَتَفِضَةِ مِنَ الْكِفْلِ»^(٤)

(١) الرسالة، ص ٤١٩، انظر، مثلين آخرين، في ص ١٤٠، ٥٤٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٠٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٤٥.

لقد أوردنا هذا المثال الأخير لنعطي صورة على بعض الجمل التي تطول كثيراً،
لما تضمنه من تراكيب داخلية مثل :

الجملة المضافة إلى « منذ » :

« خَلَقَ اللهُ آدَمَ »

ومثل الجملة المؤولة بمصدر :

« أَنْ طَوَى اللهُ الأَرْضَ »

وكذلك طالت الجملة، بوجود معطوفات ذات نعت مفرد لمناسبة الفواصل،
وجار ومجرور اقتضاهما تعادل العبارتين :

« زيادة اللجِّ التَمَوِّجِ على دَمَعَةِ الطِفْلِ »

« والهضب الشامخِ على الهبَاءَةِ المتفضضة من الكفل »^(١).

في أمثلة هذا النوع يوجد رابط آخر بالإضافة إلى « لو »، هو « لام » واقعة في
جواب الشرط أى داخلية على التركيب الثانى.

(ب) « إذا » :

« . . . وَنَائِمٌ إِذَا أَحْسَسَ بِالمُؤَلِّمِ أَلَمٌ »^(٢)

هناك نوع آخر من الجمل الفعلية الواقعة نعتاً هو :

جملتان إحداهما بسيطة والثانية تركيبية، وأداة الربط التركيبية فيها هى « لو »

مثل :

« وَأَهَّا لِذَلِكَ عَسَلًا، لَمْ يَكُنْ بِالنَّارِ مُبَسَّلًا، لَوْ جَعَلَهُ الشَّارِبُ المَحْرُورُ غِذَاءَهُ »

طُولُ الأَبِيدِ مَا قَدِيرَ لَهُ عَارِضُ مُومٍ وَلَا لَيْسَ تَوْبُ المَحْمُومِ »^(٣).

(١) الرسالة، انظر، أمثلة أخرى من هذا النوع، فى ص ١٦٨، ٢١٣، ٣٩٨.

(٢) الرسالة، ص ٣٩٧.

(٣) الرسالة، ص ١٥٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٦٧، ١٤٩.

المبسل: المطبوخ.

جملتان إحداهما مركبة والثانية تركيبية، والرابط بين تركيبى الجملة المركبة هو «الواو»، وأداة الربط في الجملة التركيبية هي «مَنْ»، كقوله:

«وَتَجْرِي فِي أَصُولِ ذَلِكَ الشَّجَرِ أَنْهَارٌ تُخْتَلِجُ مِنْ مَاءِ الْحَيَوَانِ، وَالْكَوْثُرُ يَمِدُّهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا النَّعْبَةَ فَلَا مَوْتَ، قَدْ أَمِنَ هُنَالِكَ الْفَوْتَ»^(١).

الخلاصة:

من خلال هذا التحليل لأحوال الجمل الفعلية الواقعة نعتاً نستخلص ما يلي:

١ - أن أبا العلاء، حقاً، ذو نفس تركيبى طويل، حيث أن الجملة الواقعة نعتاً هي في الواقع تركيب غير مستقل داخل الجملة، ورغم ذلك فهي تتنوع ما بين بسيطة، ومركبة، وتركيبية، وفي كل نوع من هذه الجمل لا يكتفى أبو العلاء كما رأينا بركنى الإسناد الأساسيين: المسند والمسند إليه، بل، غالباً ما تحتوى الجملة على مكملات وقيود مختلفة، من جار ومجرور، ومضاف إليه، ونعت، وحال، ومعطوف...

٢ - يميل أبو العلاء في جملة المركبة إلى الربط بأداة، وأغلب تلك الروابط هي «الواو» وتليها الفاء.

٣ - أكثر أدوات الربط التركيبية شيوعاً في الجمل الفعلية التركيبية الواقعة نعتاً هي «لو» و«اللام».

٤ - قد تحتوى الجمل المركبة على تركيبين مختلفين أحدهما فعل والآخر اسمي.

٥ - لا يكتفى أبو العلاء - أحياناً - بالنعت جملة واحدة بل يتعدها إلى جملتين أو أكثر.

تلك هي بعض الملاحظات التي استخلصناها من دراسة الصنف الأول من صنفى الجمل الواقعة نعتاً منفرداً. ونتنقل الآن إلى دراسة الصنف الثانى، وهي الجمل الاسمية.

(١) الرسالة، ص ١٤١، انظر مثالا آخر في ص ١٢٩. النعبة: الجرعة.

الجمل الاسمية الواقعة نعتاً

أشرنا فيما سبق إلى أن عدد الجمل الاسمية الواقعة نعتاً في رسالة الغفران أقل بكثير من عدد الجمل الفعلية، فهي تبلغ ٦٠ جملة. وستقف عندها لنعطي نظرة عن تراكيبها ونظام الكلمات داخلها.

يمكن على أساس البناء الداخلى تقسيم جمل هذا الصنف إلى : جمل بسيطة، جمل مركبة، جمل تركيبية.

النوع الأول :

الجمل البسيطة :

تتألف الجمل الاسمية عموماً من مبتدأ وخبر، ومما هو مقرر في قواعد اللغة أن الخبر كما يجيء مفرداً يجيء جملة أو شبه جملة، وأن رتبته في الجملة غير محفوظة إذ يجوز أن يتقدم على المبتدأ متى أمن اللبس، بل في بعض الأحوال يجب أن يتقدم عليه. كما إذا كان المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة أو ظرفاً.

ومن الجمل الاسمية ما يدخل عليه ناسخ، فيحول المبتدأ فيه إلى «اسم» للناسخ ويصبح الخبر خبراً له.

فماذا نجد عند أبي العلاء؟ من الجمل البسيطة :

١- ما جاءت خالية من النواسخ.

٢- ما جاء بها ناسخ من أخوات كان.

١- الجمل الاسمية البسيطة الخالية من النواسخ :

تتنوع أحوال الخبر، فيها ما بين مفرد، وجملة، وشبه جملة.

(أ) الخبر المفرد.

وقد جاءت أمثلة هذا الصنف على الأشكال الآتية : المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند + تمييز.

«ولو كَانَ الْإِنْسَانُ فِي قَلْبٍ عَمِيقٍ ثَمَانُونَ قَامَةً لَجَازَ أَنْ تَسْتَنْقِذَهُ»^(١)

المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند + مضاف إليه، مثل :

«فَيَقُولُ أَجَلٌ إِذَا خُفِّقَتْ صَارَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ أَحَدُهُمَا حَرْفٌ عِلَّةٌ»^(٢).

أداة نفي + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير) + المسند، مثل :

«... عَلَى أَنْ الصُّوفِيَّةُ تُعَظِّمُهُ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مَا هِيَ لِأَمْرِهِ شَائِفَةٌ»^(٣).

(ب) الخبر الجملة :

كثيراً ما تأتي الجملة الواقعة خبراً فعلية على الشكل التالي :

المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند [المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جملة فعلية سدت مسد المفعول به (أن + المسند إليه (ضمير مستتر) + المسند + صفة المسند)].

مثل :

«وَحَدَّثَنِي مَنْ سَافَرَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ، أَنَّ بِهِ الْيَوْمَ جَمَاعَةً، كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ»^(٤).

(١) الرسالة، ص ٥٧١.

(٢) الرسالة، ص ٣١٨.

(٣) الرسالة، ص ٤٦٣.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٢.

ملاحظة :

في المثال الأخير نجد الضمير في قول أبي العلاء : « به » لا يعود على متأخر مذكور، وإنما يعود على متقدم عليه وهو « اليمن » في قوله : « وما زال « اليمن » منذ كان، معدناً للمتكسبين بالتدين، والمُحتالين على السحتِ بالترزين. وحدثني مَنْ سافرَ إلى تلك الناحية أن به اليومَ جماعةٌ... »^(١)

إذا نحن أعدنا الضمير على « الناحية » اختلت المطابقة بين الضمير، وما يعود عليه، فلو كان معاده « الناحية » لكان حقه التأنيث، أي لا تستعمل ضمير الغائبة المفردة « ها ».

(ج) الخبر شبه جملة مقدماً على المبتدأ، كما يلي :

المسند (جار ومجرور) + المسند إليه.

« وكان يحضرُ مع نداماه وبين يديه خُرْدَاذِيُّ فِيهِ مَطْبَخَةٌ »^(٢)

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + أداة عطف + اسم معطوف على المسند + نعت مفرد (المنعوت هو الاسم المعطوف على المبتدأ).

- « وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ رَجُلٌ لَهُ أَصْدِقَاءُ مِنَ الشَّيْعَةِ وَصَدِيقٌ زَنْدِيقٌ »^(٣)

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه (اسم موصول) + صلة الموصول (جملة فعلية).

« وَكَانَتْ لَهُ قُرْعَةٌ فِيهَا أَشْعَارٌ كَنَحْوِ مَا يَكُونُ فِي الْقُرْعِ »^(٤).

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + جار ومجرور (صفة للمجرور) :

(١) الرسالة، ص ٤٤٢.

(٢) الرسالة، ص ٥٢٥.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٣.

(٤) الرسالة، ص ٥٨٠.

« وقد شاهدتُ عندَ أبي أحمدَ عبدِ السلامِ بنِ الحسينِ [. . .] كُتِبَ عليها سَمَاعٌ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَلَبٍ »^(١)

٢ - الجمل الاسمية البسيطة التي دخل عليها ناسخ : يبلغ عددها تسعة عشر، وجل أفعالها الناسخة هي « ليس » مثل :

- « فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدًا لَيْسَتْ لغيره مِنْ وَلَدِ آدَمَ »^(٢).

- « والشَّرُّ يَزِيدُ عليه بأجزاء لَيْسَتْ بالمَحْصَاةِ »^(٣)

ويلاحظ أنه كثيراً ما يأتي خبر ليس مقترناً بالباء الزائدة.

النوع الثاني :

الجمل الاسمية المركبة :

كل الجمل الاسمية المركبة التي جاءت نعتاً تتكون من تركيبين مستقلين فقط. وغالباً ما يتم الربط بينهما بأداة العطف « الواو » نحو :

- « كَيْفَ يُرَكَّنُ إِلَى حِيَةٍ شَرَفُهَا السَّمُّ / وَ / لَهَا بِالْفَتْكَةِ هَمٌّ »^(٤)

- « فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ / وَ / حَوَالِيهِ رِجَالٌ تَأْتَلِقُ مِنْهُمْ أَنْوَارٌ »^(٥)

- يلاحظ في المثال الأخير أنه بالتركيبين الواقعيين صفة لـ « رجل » نعت داخلي للمسند إليه في كل منهما :

« نَوْرٌ يَتَلَأَلُ ».

« رِجَالٌ تَأْتَلِقُ مِنْهُمْ أَنْوَارٌ ».

هكذا تطول عند أبي العلاء الجمل بتداخل أنواع التراكيب فيها.

(١) الرسالة، ص ٥٢٩.

(٢) الرسالة، ص ٣١٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٧٧، وانظر أمثلة أخرى في ص ١٣٠، ١٣١، ٢٤٦، ٣٧٣، ٤٠٣، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٩٨.

(٤) الرسالة، ص ٣٧١.

(٥) الرسالة، ص ٢٥٢.

تلك هي أحوال النعوت الواقعة جملة اسمية، وقبل أن ننتقل إلى القسم الثاني للحديث عن النعت بمفرد وجملة نعطي خلاصة ما تقدم.

الخلاصة :

من خلال التحليل الذي بسطناه لأحوال الجمل الفعلية والجمل الاسمية الواقعة نعتاً في الغفران نستخلص ما يلي :

١ - ميل أبي العلاء إلى الجمل الفعلية، إذ يبلغ عددها ٢٥٠ جملة في حين لا يتعدى عدد الجمل الاسمية ٦٠ جملة.

٢ - تشتمل جملُ الجمل، بالإضافة إلى المسند والمسند إليه على قيد أو قيود، مختلفة من مضاف إليه ونعت وحال وتمييز وغيرها.

٣ - من الجمل الفعلية ما جاء بسيطاً، ومنها ما جاء مركباً أو تركيبياً، أما الجمل الاسمية فلم تأت إلا بسيطة أو مركبة.

القسم الثاني النعته المفرد والجملة

إن عدد مرات ورود النعت يجمع بين المفرد والجملة يبلغ ٣٨ مرة، وهي من حيث موضع المفرد من الجملة تنقسم إلى :

- ما تقدم فيه النعت المفرد على النعت الجملة.
- ما تقدم فيه النعت الجملة على النعت المفرد.

وسنعمل على دراسة صيغ المفردات ونظام تركيب الجمل ونوعها في كل منها.

النوع الأول :

ما تقدم فيه النعت المفرد على النعت الجملة :

تنقسم الجمل إلى فعلية واسمية، وعلى أساس البناء الداخلى للجملة يمكن أن نقسم كلا منها إلى :

بسيطة، ومركبة، وتركيبية.

أولاً : مفرد + جملة فعلية.

مفرد + جملة فعلية بسيطة.

من الجمل الفعلية هذه ما جاء بسيطاً والفعل فيه لازماً، ومنها ما جاء فيه الفعل متعدياً.

١ - الجمل البسيطة ذات الفعل اللازم، تحتوى هذه الجمل بالإضافة إلى المسند والمسند إليه على جار ومجرور، أو مضاف إليه، أو هما معاً، وذلك حسب الأشكال التالية :

(أ) أداة نفي + المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور.

مثل :

«وهذا قولٌ ينتقضُ، لأن في هذه (الطائية) أبياتاً كثيرةً لا تخلو من زحاف»^(١).
صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن «فَعِيل» (مؤنثة) : كثير، كثيرة.
(ب) أداة نفي + المسند + جار ومجرور + المسند إليه.

مثل :

«ولقد أراني في دارِ الشَّقْوَةِ أجهدُ أخلافِ شياهِ لجاتٍ لا يمتلئُ منهنَّ القَعْبُ»^(٢).
(القعب : القدح الغليظ).
صيغة النعت المفرد صفة مشبهة على وزن «فَعِل» (مجموعة جمع مؤنث سالم).
لجب، لجات.
(ج) المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إليه.

مثال :

«فيصيرُن جَوَارِيَّ كَوَاعِبَ يَرْفُلُنَ فِي وَشَى الْجَنَّةِ»^(٣).
صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن «فَاعِل» (مجموعة جمع تكسير).
كاعب، كواعب.

(د) المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إلى
المجرور + نعت للمضاف (اسم موصول صلته جملة فعلية [فعل ناسخ
+ اسمه (ضمير مستتر) + حرف جر زائد + الخبر].

(١) الرسالة، ص ٣٦٩.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٠، انظر، أمثلة أخرى من هذا النوع، في ص ٢٥١، ٣٩٠، ٤١٣، ٥٢٨.

(٣) الرسالة، ص ٢١٢.

مثل :

«وقد جَاءَتْ عن النبي ﷺ أخبار كثيرة تدلُّ على كراهة الاسم الذي ليس بِحَسَنٍ»^(١).

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن «فَعِيل» (مؤنثة) كثير، كثيرة.

٢ - الجمل البسيطة ذات الفعل المتعدى.

في هذه الجمل، إما أن يتقدم المفعول على الفاعل وإما أن يتأخر وسنأتي لكل نوع بأمثلة.

(أ) الجمل التي حافظ فيها المفعول به على رتبته.

جاءت جل جل هذا الصنف على الشكل التالي :

المسند + المسند إليه (ضمير متصل) + المفعول الأول + مضاف إليه + مضاف إليه

(ضمير متصل) + جملة فعلية سدت مسد المفعول الثاني.

«ولا ملَّةٌ إلا ولها قومٌ ملحدون يرون أصحابَ شرعهم أنهم مؤالفون»^(٢).

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل من الرباعي (مجموعة جمع مذكر سالم) :

ملحد، ملحدون.

«أنَّهُ كَانَ وهو شابُّ له امرأةٌ مُقَيَّنَةٌ تُزِينُ النساءَ في الأعراس»^(٣).

صيغة النعت المفرد، اسم فاعل من الرباعي (مؤنث).

قَيَّنٌ : مُقَيَّنٌ.

نجد من أمثلة الأفعال المتعدية هاته، ما جاء فيها الفعل مبنياً للمجهول مثل :

«فتركتُهُ وانصرفتُ بأملي إلى خازنٍ آخر يُقال لَهُ زفر»^(٤).

(١) الرسالة، ص ٤٧٨، انظر مثلاً آخر، في ص ١٧٧.

(٢) الرسالة، ص ٤٢٩.

(٣) الرسالة، ص ٥٨٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٥١، انظر مثلاً آخر في ص ٥٢٨.

تتكرر أمثلة هذا الصنف خمس مرات^(١).

(ب) الجمل التي تقدم فيها المفعول به على الفاعل :

إن نظام كلمات الجمل، غالباً، على الشكل الذي يلي :

المسند + المفعول به (ضمير متصل للغائب) + المسند إليه + مضاف إليه .

مثل :

« وما عَلِمْتُ أَنَّهُ جَاءَ عَنِ الْفُصْحَاءِ هَذَا الْوِزْنَ مُقَيَّدًا إِلَّا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يَتَدَاوَلُهُ رِوَاةُ اللَّغَةِ »^(٢).

« وهى لغةٌ رديئةٌ يستعملها أهلُ اليمنِ »^(٣).

صيغة النعت المفرد : صفة مشبهة على وزن فَعِيل (مؤنثة) : ردىء، رديئة .

مفرد + جملة فعلية مركبة .

تتألف الجمل هنا من تركيبين مستقلين فأكثر. ويمكن على أساس عدد التراكيب المستقلة التي تدخل في تكوين جملة النعت أن نقسم هذا النوع إلى قسمين، ما جاء جملة تتألف من تركيبين، وما جاء جملة تتألف من ثلاثة تراكيب .

وسنعطى نماذج لكل منها :

١ - الجمل المؤلفة من تركيبين :

ترتبط تراكيب الجمل فيما بينها بأداة « الفاء » على الشكل التالى :

تركيب مستقل + الفاء + تركيب مستقل

المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إلى المجرور +

الأداة + المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + حال مفرد من المسند

إليه .

(١) انظر أمثلة أخرى في ص ٢٥٥، ٢٥٩، ٣٨٤، ٣٩٢، ٥٠٠ .

(٢) الرسالة، ص ١٨٢ .

(٣) الرسالة، ص ٢٠١ .

« وما يُؤمِنِي إِذَا رَكِبْتُ طِرْفًا زَعَلًا رَتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَآصَّ مِنَ الْأَشْرِ مُسْتَسْعِلًا »^(١).

صيغة النعت المفرد: صفة مشبهة على وزن فَعِلَ: زَعِلَ.

٢ - الجمل المؤلف من ثلاثة تراكيب مستقلة.

أمثلة هذا الشكل قليلة جدًا وفي مثال منها يتم الربط بين تراكيبه المستقلة الثلاثة بأداة عطف (الواو) وذلك في قول أبي العلاء:

« . . . أَنهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفَّى مَا كَسَبَتْهُ النَّحْلُ الْغَادِيَةُ إِلَى الْأَنْوَارِ، / وَ/ لَا هُوَ فِي مُومٍ مَتَوَارٍ / وَ / لَكِنْ قَالَ لَهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ: كُنْ فَكَانَ »^(٢).

صيغة النعت المفرد، اسم مفعول من فعل زائد على ثلاثة:

صَفَّى، مُصَفَّى.

نلاحظ بهذا المثال ما يلي:

التركيب المستقل الثاني اسمي يتكون من مبتدأ وخبر.

نجد بالتركيب الأول والثالث نعتًا مفردًا داخليًا، وفي كليهما جاء نعتًا للمسند إليه، وصيغة النعتين معًا اسم فاعل:

ففي التركيب الأول جاء « الغادية » نعتًا « للنحل ».

وفي « الثالث » « القادر » نعتًا « للعزيز ».

ثانيًا: مفرد + جملة فعلية تركيبية.

تتألف الجملة في هذا النوع من تركيب غير مستقل وآخر مستقل وأداة الربط

(١) الرسالة، ص ١٩٥، انظر، أمثلة أخرى، في ص ٣٧٦، ٤٥٨.

- الزعل: النشط.

- الأشتر: اشتر، كفرح بَطْر ومرح.

- استسعل: صار صَحْبًا.

(٢) الرسالة، ص ١٥٣، انظر أمثلة أخرى في ص ٤٦٦. الموم: الشمع.

التركيبية التي تربطها هي «إن» الشرطية. وتأتى هذه الجملة التركيبية نعتاً ثالثاً
لنعت بمفرد وبجملة بسيطة فعلية، وهذا نجده في قوله :
«والشعر كلامٌ موزونٌ تقبله الغريزة على شرائط، إن زاد أو نقص أبانهُ
الحِسنُ»^(١).

بعد تفصيل القول في النعت بمفرد وجملة فعلية، نتقل إلى الحديث عن النعت
بمفرد وجملة اسمية.

ثالثاً: مفرد + جملة اسمية.

من الجمل الاسمية الواقعة نعتاً مع نعت مفرد، ما جاء مكوناً من مبتدأ وخبر،
ومنها ما دخل عليه ناسخ، وسنورد لكل نوع منها أمثلة.

١ - الجمل المكونة من مبتدأ وخبر:

جمل هذا النوع قليلة جداً، وهي من حيث بناؤها الداخلى جميعها بسيطة،
وتترتب الكلمات داخلها كالتالى:

(أ) المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + شبه جملة (ظرف
ومضاف إليه) + جملة معترضة + المسند.

وذلك فى قوله:

«وَفِي تِلْكَ السُّطُورِ كَلِمٌ كَثِيرٌ كُلُّهُ عِنْدَ الْبَارِي - تَقْدَسُ - أَثِيرٌ»^(٢).

صيغة النعت المفرد فى هذا المثال، صفة مشبهة على وزن «فعليل»: كثير.

(ب) المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + المسند (جملة فعلية)
+ فعل ناسخ + المسند إليه (ضمير مستتر) + حرف جر زائد + الخبر.

(١) الرسالة، ص ٢٥١.

(٢) الرسالة، ص ١٤٠.

مثل :

«وعندهُ شجرةٌ قميئةٌ ثمرها ليسَ بزالكِ»^(١).

صيغة النعت المفرد صفة مشبهة على وزن فعيل (مؤنث : قَمِيءٌ : قَمِيئةٌ .

٢ - الجمل الاسمية التي دخل عليها ناسخ :

تتكرر جمل هذا النوع مرات كثيرة، وقد جاء نظام كليات بعضها على الشكل الآتي :

الفعل الناسخ + الخبر (شبه جملة، جار ومجرور) + الاسم + مضاف إليه .
وذلك كقوله :

«لو شفعتُ لأحدٍ أبياتٌ صادقةٌ ليسَ فيها ذكرُ الله سبحانه لَشَفَعْتُ لَكَ
أبياتك»^(٢).

صيغة النعت المفرد، اسم فاعل من الفعل الثلاثي مؤنث : صادق، صادقة .

«فيمشون قليلاً، فإذا هم بأبياتٍ ثلاثة ليسَ في الجنةِ نظيرها بهاءٌ وحُسناً»^(٣).

صيغة النعت المفرد : عدد، ثلاثة .

«وإنما أفرقُ من وقوعِ هذه الرسالةِ في يدِ غلامٍ مترعرٍ، ليسَ إلى الفهمِ
بمتسرِّعٍ»^(٤).

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل من الفعل الخماسي : ترعرع : مترعر .

«ولمَ تَكُنْ [الدنانير] كَذَهَبٍ تَحْزُونُ صَارَ إِلَى الخِمارِ مَعَ الموزُونِ»^(٥)

صيغة النعت المفرد : اسم مفعول من الفعل الثلاثي :

(١) الرسالة، ص ٣٠٧ .

(٢) الرسالة، ص ٣٢٨ .

(٣) الرسالة، ص ٢٧٦ .

(٤) الرسالة، ص ٣٨٢ .

(٥) الرسالة، ص ٥٦٠، انظر مثلاً آخر، في ص ٥٦٦ .

خزن، مخزون.

ومن الأمثلة ما نجد به حرفاً مشبهاً بـ«ليس» مثل :

«ويعمّد لِعَلَجٍ وَحشِيٌّ ما التلّفُ عندهُ بِمَحْشِيٍّ»^(١).

صيغة النعت المفرد: اسم منسوب : وحش، وحشي.

ومن الأمثلة ما نجد به أحد أخوات «إن» :

«ويحضرُ المجالسَ أناسٌ طاغونٌ كأنهم للرشدِ باغونٌ»^(٢).

صيغة النعت المفرد: اسم فاعل (في صيغة الجمع): طاغ.

لم يكتب أبو العلاء في بعض الأحيان، بالنعت المفرد مع الجملة، بل رأيناه يأتي بنعتين مفردتين تتلوها جملة. وكما جاءت الجملة فعلية بسيطة جاءت اسمية مركبة من تركيب اسمي وآخر فعلي، أو تركيبية، وسنسوق لكل منها أمثلة :

(أ) مفرد + مفرد + جملة فعلية بسيطة.

نظام كلمات الجملة الفعلية على الشكل التالي :

المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير) + المفعول به + مضاف إليه (اسم ظاهر).

ومنه قول أبي العلاء :

«فتخرجُ منها جاريةٌ حوراءٌ عِيناءُ تبرقُ لحسنها حورياتُ الجنان»^(٣).

صيغة النعتين المفردتين : صفة مشبهة على وزن «فعلاء» (للمؤنث)

أحور : حوراء.

أعين : عِيناء.

(١) الرسالة، ص ١٩٨.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٥.

(٣) الرسالة، ص ٢٨٨.

(ب) مفرد + مفرد + جملة فعلية مركبة.

الرابط بين تركيبى الجملة هو السياق على الشكل التالى :

[المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + المسند + مضاف إليه
(اسم إشارة) + بدل] + [قد + المسند + نائب الفاعل (ضمير مستتر) + جار
ومجرور].

كقوله :

« وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ أَيْبَاتًا قَافِيَةً طَوِيلَةً الْوِزْنَ / وَ / قَافِيَتِهَا مِثْلُ هَذِهِ الْقَافِيَةِ قَدْ
نُسِبَتْ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ »^(١).

صيغة النعت المفرد الأول اسم منسوب :

قاف، قافية.

وصيغة الثانى، صفة مشبهة على وزن « فاعيل » (مؤنث) : طويل : طويلة.

النوع الثانى :

ما تقدم فيه النعت الجملة على النعت المفرد :

رأينا فى نعوت القسم الثانى هذا، أن أبا العلاء يجمع بين النعت المفرد والنعت
الجملة للمنوعات الواحد، فىأتى بالنعت المفرد أولاً، ثم بالنعت الجملة ثانياً، مرتبة
حسب الأشكال التى سقناها سابقاً، وتتلخص فى :

المنعوت + النعت المفرد (أو النعتين المفردين) + النعت الجملة. وهذا الترتيب
يسير طبقاً لما تنص عليه قواعد اللغة، وما يقرره النحاة، إذ ينصون على أن الأغلب
فى حالة تعدد النعوت مع اختلافها، أن يتقدم النعت المفرد على شبه الجملة، وشبه
الجملة على الجملة، أى أن المفرد يتقدم شبه الجملة والجملة معاً. ويستشهدون
لذلك بأية اجتمعت بها أنواع النعت الثلاثة وهى قوله تعالى :

﴿وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتمُ إيمانه أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾^(١).

يبد أننا نجد أبا العلاء أحياناً، يقدم النعت الجملة على النعت المفرد، على الشكل التالي :

المنعوت + النعت الجملة + النعت المفرد.

وذلك كقوله :

«ولم تكنْ صَاحِبَ مثلِ مذكورٍ، ولا لَفْظٍ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٍ»^(٢).
«فَتَلَعَبُ فِيهَا أَسْمَاكَ هِيَ عَلَى صُورِ السَّمَكِ بَحْرِيَّةٌ وَنَهْرِيَّةٌ وَمَا يَسْكُنُ مِنْهُ فِي الْعِيُونِ النَّبَعِيَّةِ»^(٣).

وهناك أمثلة أخرى يتقدم فيها النعت شبه جملة على النعت المفرد، مثل قول أبي العلاء :

- «وثوباً من الدعة ضافياً»^(٤).
- «وإنما كانت تخطر بهم أطيقال منّا عارمُون»^(٥).
- «والحوف أزيّر من آدمٍ مشقّق الأطراف السافلة تنزر به الجارية وهي صغيرة»^(٦).

ونعثر بالرسالة على مثال اجتمعت فيه أنواع النعوت الثلاثة، وقد تقدم شبه الجملة على الجملة الفعلية التي تقدمت بدورها على نعت مفرد وآخر جملة فعلية وهو قوله :

(١) سورة غافر الآية ٢٨.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٥.

(٣) الرسالة، ص ١٦٨٢.

(٤) الرسالة، ص ٥٧٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٩١.

(٦) الرسالة، ٤٩٦ انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف في ص ١٤١، ٢٥٨، ٣٠٨، ٣٦٩، ٤٢٤، ٤٣٩.

« فَيَنْشِئُ اللَّهُ [. . .] سَحَابَةً كَأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ السُّحُبِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا شَهِدَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ قَطُّ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهَا مَحَلَّةً بِالْبَرْقِ فِي وَسْطِهَا وَأَطْرَافِهَا تَمْطُرُ بِمَاءٍ وَرَدَ الْجَنَّةِ مِنْ طَلِّ وَطَشٍ وَتَنْشُرُ حَصَى الْكَافُورِ كَأَنَّهُ صِغَارُ الْبَرَدِ » .

فهل نعد استعماله هذا خروجاً عن القياس؟ لا . إنه ليس خروجاً عن القياس .
فهذا النوع من التقدم - وإن كان نادراً - فصيح لوروده في القرآن، وذلك في قوله تعالى :

﴿ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكٌ ﴾^(١) .

فأبو العلاء لم يخالف الكثرة الشائعة، وإن الأمثلة التي جاء فيها النعت المفرد متأخراً عن النعت الجملة أو شبه الجملة، قليلة جداً .

الخلاصة :

من التحليل الذي قمنا به للجمل الواقعة نعتاً في الرسالة سواء وحدها أو مع نعت آخر مفرد، يبدو لنا أن أغلب الجمل الوصفية جاءت فعلية بسيطة ومركبة وتركيبية، وأغلب أنواع الأدوات المستعملة في الجمل المركبة هي « الواو » .
أما أدوات الربط التركيبية فأكثرها انتشاراً في الجمل التي وقعت نعتاً هي « لو » .

أما النعوت المفردة التي جاءت معها فقد تنوعت صيغها، ما بين اسم فاعل، واسم مفعول ونسب وعدد وصفة مشبهة . وأكثر الصيغ استعمالاً عند أبي العلاء في هذه النعوت هي الصفة المشبهة . ففي الأمثلة التي سقناها كنهاج في هذا القسم نجد ٥٠٪ من صيغ المفردات جاءت صفة مشبهة موزعة على الأوزان التالية :

فَعْل - فَعِيل - فَاعِل - فَعْلَاء - فَعِل .

فلعل أبا العلاء وهو يصف حور الجنة وأوانيها كان يصف بما هو ثابت دائم، لن يتغير على الدوام فالجنة هي المقر الدائم كما هو الأمر بالنسبة للمقيمين في النار .

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٢ .

فلا غرابة أن يختار صاحبنا من الصيغ ما يدل على الثبوت والالتصاق الدائم، وهو الصفة المشبهة، لكن قد نكون مخطئين إذا قلنا إن أغلب صيغ النعوت المفردة في الغفران، جاءت صفة مشبهة، لذا سنعمل في الصفحات التالية على دراسة أحوال النعت المفرد.

النعته المفرد

تقرر القواعد النحوية أن منعوت المفرد كما يكون نكرة، يكون معرفة بشرط المطابقة بين النعت ومنعوته في كل من التعريف والتنكير.

وعلى ضوء ذلك، وبعد عملية إحصاء وفرز، علمنا أن نسبة ورود المفرد نعتاً للمعرفة في رسالة الغفران، أعلى بكثير من مجيئه صفة للنكرة، فلقد استعمل أبو العلاء:

٤٤٨ مرة النعت المفرد للمنعوت المعرفة.

و ١٥٥ مرة فقط للمنعوت النكرة.

ولعل لأبي العلاء العذر في ذلك، إذ ليس للمعارف من الصفات إلا ما كان منها مفرداً، أما النكرات، فلها بالإضافة إلى النعت المفرد، مزية الاختصاص بالنعوت الواقعة جملة وشبه جملة.

وقد حاولنا الكشف عن ميل أبي العلاء في اختياره لأنواع وصيغ النعوت المفردة، وأيها أكثر وروداً مع المنعوت النكرة، ومع نظيره المعرفة، فاستخلصنا من ذلك بعض الخصائص التي تميز الاستعمال العلائقي للنعته المفرد في الرسالة، واستطعنا أن نحصل من الجذاذات التي توفرت لدينا لأمثلة هذا الصنف، على الملاحظات التالية:

- يربى عدد النعوت المفردة على ٥٠٠ نعت، بعضها من الأسماء المشتقة العاملة (اسم الفاعل - صيغ المبالغة - الصفة المشبهة - اسم المفعول - أفعال التفضيل)، وبعضها الآخر من الأسماء المشتقة تأويلاً، أي الأسماء الجامدة التي تشبه المشتق في دلالتها على معناه (أسماء الإشارة غير المكانية - ذو المضافة - الاسم الدال على النسب قصداً - المصدر - العدد - بعض الألفاظ الجامدة المؤولة بالمشتق).

وقد شكلنا جداول إحصائية تبين نسبة ورود كل صيغة من صيغ النعته هذه، مع كل من المنعوت النكرة، ومع المنعوت المعرفة كما يلي:

الصف الأول :

أحوال النعت المفرد مع المنعوت النكرة.

شواهد	العدد	نوع النعت
«فقد رَزَقَهَا الباريُّ صِيْتًا شَائِعًا» ^(١) «ثم اجْتَرَأَتْ على تَصْيِيرِهَا أَلْفًا خَالِصَةً» ^(٢) «أَلَمْ تَكُونِي السَّاعَةَ إِوْزَةَ طَائِرَةٍ» ^(٣)	٢٣	اسم فاعل - من الفعل الثلاثي
«فقد كان أسلم وَرَوَى حديثاً مُنْفَرِداً» ^(٤) «فيقول سمعتُ أنكم جنُّ مؤمنون» ^(٥) «ثم يضربُ سائراً في الفِرْدَوْسِ فإذا هو بروضةٍ مُونقةٍ» ^(٦)	١٨	- من الزائد على ثلاثة أحرف
«وكم أعمل من مَطِيَّةٍ أُمُونٍ» ^(٧) «فصادتُ ملكاً غَفُوراً» ^(٨) «وهل جعدةٌ إلا رائدةٌ ظليمٍ نَفُورٍ؟» ^(٩)	٥	صيغة مبالغة على وزن : - فَعُول

(١) الرسالة، ص ١٩٠.

(٢) الرسالة، ص ٢١٤.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٥، انظر الأمثلة الباقية في الصفحات : ١٣٩، ١٤٧، ١٦٨، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٧، ٣٢٧، ٣٥٠، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٩٢، ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٦٠، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٥٤، ٥٧٤.

(٤) الرسالة، ص ١٥٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٩٠.

(٦) الرسالة، ص ٣٦٤، انظر الأمثلة الباقية في الصفحات : ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٨١، ١٨٥، ٢٩٧، ٣١٨، ٣٤١، ٣٤٤، ٤٢٣، ٤٦٩، ٤٩٦، ٥٣٦.

(٧) الرسالة، ص ١٧٢.

(٨) الرسالة، ص ١٨٣.

(٩) الرسالة، ص ٢٢٩، انظر كذلك، ص ٣٩٧، ٤٨٥.

شواهد	العدد	نوع النعت
«لَقَدْ رَضِيَتْ بِحَقِيرِ شَقِينٍ» ^(١) «لَيْسَ هُوَ كِتَابُ الْمُنِيرِ وَلَكِنْ مُنْدِيَةٌ غَوِيٌّ حَلِيرٌ» ^(٢) «وَتَبَّ إِلَيْهِ وَثَبَةٌ غَيْرٌ، إِلَى مِتْخَلْفَةٍ وَقِيرٍ أَمِيرٍ» ^(٣)	٤	- فَعِيل
«فَلَمَّا خِفْتُ الْقَتْلَ صِرْتُ رِيحًا هَفَافَةً» ^(٤) «أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ آدَمَ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِ حَقِيرٍ» ^(٥) «وَذَلِكَ أَنَّ حُوسِبَتْ حِسَابًا شَدِيدًا» ^(٦) «فَيَقُولُ لَقَدْ قَلْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْهَا مَا نُقِلَ إِلَيْكُمْ وَمِنْهَا مَا لَمْ يُنْقَلِ» ^(٧) «هَا هُنَا نَاقَةٌ صَعْبَةٌ» ^(٨) «وَلِكُلِّ وَجْهٌ حَسَنٌ» ^(٩)	١ ٣٥	- فَعَال صفة مشبهة على وزن : - فَعِيل
	١ ٣	- فَعْلَةٌ (مؤنث فعل) - فَعَل

(١) الرسالة، ص ٣٠٧ الشقن: القليل.

(٢) الرسالة، ص ٤٧١.

(٣) الرسالة، ص ٥١٩، انظر، كذلك ص ٣٤٤ - الوقير: القطيع - الأمر: الكثير

(٤) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٥) الرسالة، ص ٢٣٣.

(٦) الرسالة، ص ٢٤٧، انظر كذلك: ١٦٣، ١٨٠، ٣٣١، ٣٤٢، ٣٦٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤١٠، ٤١٣،

٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٧٥، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٣١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٨٣.

(٧) الرسالة، ص ٣٥٦.

نلاحظ أن أبا العلاء استعمل ١٠ مرات اللفظة «كثير» صفة للمفرد النكرة وها هي أرقام الصفحات التي وردت فيها

أمثلتها: ٢٣٧، ٢٧١، ٤٢٠، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٩٤، ٥٨٣.

(٨) رسالة الغفران، ص ٤٢٣.

(٩) رسالة الغفران، ص ٣٢٨.

شواهد	العدد	نوع النعت
«... لَكُنْتَ قَدْ أَبْقَيْتَ أَثْرًا حَسَنًا» ^(١) «يُحْسِنُ لَهَا حُبًّا قَبْلًا» ^(٢) «وَكَمْ عَلَى تِلْكَ الْأَنْهَارِ مِنْ آنِيَةٍ زَبْرَجَدٍ مُحْفُورٍ» ^(٣)	١٩	اسم المفعول - من الفعل الثلاثي
«وَقَدْ صَارَ عَشَاهُ حَوْرًا مَعْرُوفًا» ^(٤) «إِنْ وَصَفْتُهَا وَصْفًا مُطْلَقًا» ^(٥) «لَوْ سُبِّكَ رَجَزُكَ وَرَجَزُ أَبِيكَ لَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ قَصِيدَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ» ^(٦)	١٦	- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف
«فَتُقْبِلَانِ عَلَى نَجِييْنِ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ الْلَامِعِ» ^(٧) «ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ» ^(٨) «وَلَوْ فَعَلْنَ ذَلِكَ لِبَارْتَهَنِّ الْبَائِيَاتِ بِمَأْتَمٍ أَعْظَمَ رَيْنًا وَأَشَدَّ فِي الْحِنْدِسِ حَيْنًا» ^(٩)	٨	اسم تفضيل

(١) رسالة الغفران، ص ٣٣٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٨٤.

(٣) الرسالة، ص ١٤٩.

(٤) الرسالة، ص ١٧٨، ٣٧٥، انظر، الأمثلة الباقية في الصفحات: ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٩٢، ٣٦٥، ٣٧٦،

٣٨٧، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٧، ٥٣٧، ٥٥٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٠٥.

(٦) الرسالة، ص ٣٧٥، انظر كذلك ص: ١٥٤، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٦٥، ٤١٠، ٤١٣، ٤٦٣، ٤٧٧، ٤٨٨،

٥٢٥، ٥١٧.

(٧) الرسالة، ص ٢٧٤.

(٨) الرسالة، ص ٣٥٧.

(٩) الرسالة ص ٤٨٥، انظر ص ٤٨٧.

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>ملاحظة :</p> <p>(أ) في المثال الأخير، لم يذكر أبو العلاء، بعد اسم التفضيل المجرد من «الـ» والإضافة «من» ومجرورها المفضل عليه، لكن حذفها سائغ عند النحاة ماداما ملحوظين في النية والتقدير.</p> <p>فالمأتم الذى تقيمه «البائيات» أعظم من المأتم الذى تقيمه سواها، فمن والمفضل عليه بمنزلة المذكورين، إذن فلا خلل، في ذلك بقواعد اللغة.</p> <p>(ب) استعمل أبو العلاء لفظ «آخر» أربع مرات^(١) وصفا للمفرد النكرة، ونعلم أن أصله (أخر) أى اسم تفضيل مجرد من أل والإضافة فيكون واجب الإفراد والتذكير مهما كانت حال المنعوت، غير أن أبا العلاء جاء به مطابقا للمنعوت في التأنيث، في قوله :</p> <p>«وتقول حَيَّةٌ أُخْرَى»^(٢)</p> <p>لعل أبا العلاء سلك مسلك من تقدموه. فقد جاءت كذلك، في الفصيح من كلام العرب، وكثرت تعاليل النحاة لهذا الاستعمال الخارج عن القياس، ومن جملة</p>		

(١) انظر الصفحات: ٣٥٧، ٣٦٧، ٥١١.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٧.

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>ما قالوه أن «أخرى» في استعمالها المختلفة لا تدل على التفضيل، وإنما تدل على المغايرة والمخالفة فقط، وأنها لا تقع بعدها «من» الجارة للمفضل عليه، لا لفظاً ولا تقديراً، فها دامت لا تفيد التفضيل فلا ضرر أن لا تنطبق عليها أحكامه.</p>		
<p>«فلما أرهقتني تحولت صلاً أرقم»^(١) «والكذب كثيرٌ جمٌّ كأنه في النظر طودٌ أشم»^(٢)</p>	٣	صفة على وزن : أفعال
<p>«وسألت عن ذلك القطار فوجدت فيه جملاً أعور»^(٣)</p>		
<p>«فكان أحدنا إن شاء صار حيةً رشاء»^(٤) «فكأنني أخطبُ ركوداً صمًا»^(٥)</p>	٣	صفة على وزن : فعلاء : (مؤنت أفعال)
<p>«ودخلت في قِطيل هناك»^(٦) في المثال الأخير اسم الإشارة جاء للمكان، ونعلم أنه لا يقع نعتاً بنفسه ولكنه يتعلق بمحذوف هو النعت يقدر «بوجود» أو «كائن» ونحوهما وللإختصار نقول «الظرف نعت».</p>	٢	اسم إشارة

(١) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٤٤٨.

(٣) الرسالة، ص ٤٦٩.

(٤) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٥) الرسالة، ص ٢٥١.

(٦) الرسالة، ص ٢٩٣.

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>«أَعْطِ لَبَنَةً ذَاتَ قَضَّةٍ»^(١) «لَشَهْدِ أَنَّهَا حِينَ تَبْرُزُ، أَجَلٌ مِنْ تِلْكَ الْقَسَمَاتِ وَإِنْ كَانَتْ فِي أَوْجِهِ ذِي سِمَاتِ»^(٢) ملاحظة: استعمال أبي العلاء لكلمة «ذِي» في المثال الأخير يثير الانتباه، فقد وقعت صفة لكلمة «أوجه» الواقعة جمعاً في حين أن «ذِي» جاءت مفردة وبذا تكون المطابقة بين النعت ومنعوته منعدمة في هذا المثال. فما سبب ذلك؟ هل لأبي العلاء استعمال خاص لكلمة «ذِي»؟</p> <p>الملاحظ أنه لم يتكرر مثل هذا الاستعمال في الرسالة، إذ جاء هذا المثال منفرداً، فقد يكون ذلك غلطاً من الناسخ، فإذا كان الأمر كذلك، لم لم ينتبه إليه المحققون، فهل ياترى لهم رأي خاص في هذا الاستعمال؟ «وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَجِدَّعَ بِقَضِيْبِ هِنْدِيٍّ»^(٣) «... كان له قرودٌ يجمله على أتانٍ وحشيَّةٍ»^(٤) «أَجِبُّكَ حُبًّا صَرْدًا»^(٥)</p>	٤	ذو المضافة بمعنى صاحب وفرعها ذات
	٤	الاسم الجامد الدال على نسب قصداً
	٢	المصدر

(١) الرسالة، ص ٥٢٧ - القِضَّة بكسر فتشديد: الحصى الصغير.

(٢) الرسالة، ص ٥٦٣.

(٣) الرسالة، ص ٤٧٤، انظر شاهدين آخرين آخرين ٢٧٢، ٥٥١.

(٤) الرسالة، ص ٤٥٤.

(٥) الرسالة، ص ٣١٢.

شواهد	العدد	نوع النعت
« فيه لغاتٌ ستٌ » ^(١) ملاحظة : إن أبا العلاء جعل العدد « واحد » صفة ست مرات مذكراً، ومؤنثاً، وكلها جاءت لتأكيد الوحدة مثل قوله « وقد يجوز أن يكونَ سَبَقكَ لأنكُما في عصر واحد » ^(٢) « والزَّمْنُ كُلُّهُ على سَجِيَّةٍ واحدةٍ » ^(٣) « قَبْلَ أن يُلَقَّنَ كَذِباً حَنْبَرِيَّتاً » ^(٤)	٧	عدد
« لو أَنَّ لِلأمير « أبي المَرْجِي » خازناً مثلكَ ما وصلت أنا ولا غيري إلى قرقوف من خزائنه » ^(٥) « وَتَمُرُّ إوزَةٌ مثلُ البُخْتِيَّةِ » ^(٦) « أُمُّ قَالِهَا كَذَلِكَ عَرَبِيٌّ سَوَاكُ » ^(٧)	٢	صفة على وزن : فَعْلَلِيل (وزن قليل في العربية) بعض ألفاظ جامدة مؤولة بالمشتق : - مثل
	١	- سوى

(١) الرسالة، ص ١٦٠.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٥.

(٣) الرسالة، ص ٣٥٩، انظر، الشواهد الباقية، بالصفحات ١٩٠، ٤٣٦، ٥٢٥، ٥٢٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٢٦.

(٥) الرسالة، ص ٢٦٢.

(٦) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٧) الرسالة، ص ٣٢٩.

شواهد	العدد	نوع النعت
«وما اعتصير بـ» صَرْخَدَّ «أو أرض «شيام» لِكَلِّ مَلِكٍ غَيْرِ عِيَامٍ» ^(١) «ولستُ آمنًا في العاقبة فَصِيحَةً غيرَ مُصَاقِبَةٍ» ^(٢)	٥	- غير

تلك هي أحوال النعت المفرد وصيغته، حينما يكون المنعوت نكرة. وستتناول الآن دراسة الصنف الثاني من النعوت المفردة.

الصنف الثاني :

أحوال النعت المفرد مع المنعوت المعرفة.

رغبة في تيسير العمل، وفي مزيد الوضوح، قسمنا أمثلة هذا الصنف، حسب ما يعرف المنعوت، إلى ما جاء معرفة بالأصل، سواء كان علمًا أم معرفًا بالالف واللام، وإلى ما ورد نكرة واكتسب التعريف بالإضافة إلى معرفة.

والجدول التالي يعطينا نظرة مفصلة عن أحوال النعت وصيغته مع المنعوت المعرفة العلم والمعرف «بأل» :

(١) الرسالة، ص ١٥٢، العَبَام : الثقيل الغبي

(٢) الرسالة، ص ٣٩١، انظر الشواهد الباقية، في الصفحات ٢٢٤، ٢٢٦، ٤١١.

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>« ما كَسَبَتْهُ النحلُ الغادية إلى الأنوار»^(١) « زَيَّنْتُ لِي النفسُ الكاذبة»^(٢) ملاحظة :</p> <p>(أ) استعمل أبو العلا : لفظة : « القادر» ٥ مرات ، نعتاً «لله» و« للعزیز» ، يقول : «ولكنَّ قالَ له العزيز القادر : كُنْ فكانَ»^(٣) «فينشئُ اللهُ القادر بلطفِ حكمته»^(٤)</p> <p>(ب) لفظة «راكد» ٤ مرات : «تعرج بها الملائكة من الأرض الراكدة إلى السماء»^(٥)</p> <p>(ج) صيغة اسم الفاعل من الثلاثي نعتاً للدنيا ١٧ مرة ، وقد تنوعت الألفاظ ما بين «دانية»^(٦) «ساخرة» «خالبة» ، «ماكرة» ، «عاجلة» .</p> <p>ولم يستعمل لفظة «دنيا» في هذه الأمثلة إلا مرة واحدة « إذ كان يسميها «بالدار» .</p>	٩٢	اسم الفاعل من الفعل الثلاثي

(١) الرسالة، ص ١٥٣ .

(٢) الرسالة، ص ٢٤٩ ، ٢٧١ أرقام الصفحات التي بها الشواهد الباقية : ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣١٥ ، ٣٠٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٤ ، ٥٥٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٤ .

(٣) الرسالة، ص ١٥٣ .

(٤) الرسالة، ص ٢٧٩ ، انظر، كذلك، ص ٢٦٣ ، ٢٤٥ .

(٥) الرسالة، ص ١٤٠ ، انظر كذلك، ١٨٩ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢ .

(٦) الرسالة، ص ١٤٣ ، انظر كذلك ١٨١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٩٥ .

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>(١٥ مرة) يكرر في نعوت هذه الأمثلة بعض الألفاظ بعينها:</p> <p>* ٣ مرات لفظة «الذاهبة»</p> <p>«كنا في الدار الذاهبة»^(١)</p> <p>* ٣ مرات «الخادعة»:</p> <p>«إني قلت بيتاً في الدار الخادعة»^(٢)</p> <p>* ٦ مرات «الفانية»:</p> <p>«ولكني كنتُ في الدار الفانية صاحب قنص»^(٣)</p> <p>* ٩ مرات «العاجلة»:</p> <p>«إن أردتِ سلامتي فاستعملي معي قول القائل في الدار العاجلة»^(٤)</p> <p>«الاسود بن يعفرُ ذا المقال المطرب»^(٥)</p> <p>«لكانت الزائدة على ذلك زيادة اللجج المتموج على دمة الطفل»^(٦)</p> <p>«وكيف يقول الخليل المخلص»^(٧)</p>	٣٤	اسم الفاعل من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف

(١) الرسالة، ص ٢٥١، انظر كذلك ٢٥٧، ٢٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٨، انظر كذلك، ١٦٤، ٢٨٠.

(٣) الرسالة، ص ١٩١، انظر كذلك، ٢١٥، ٢٨٨، ٣٣٠، ٣٣٥، ٤٦١.

(٤) الرسالة، ص ٢٦٠، انظر كذلك، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣١٠، ٣٥٥، ٣٧٢.

(٥) الرسالة، ص ١٣٤.

(٦) الرسالة، ص ٢٢٥.

(٧) الرسالة، ص ٣٨٥، انظر الأمثلة الباقية في الصفحات: ١٥٢، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٨، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٥.

٢٢٦، ٢٢٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٩١، ٥٠٧، ٥١٧.

٥٢٢، ٥٣٤، ٥٥٦، ٥٧١، ٥٧٤.

الأمثلة	العدد	نوع النعت
«والولدان المخلدون في ظلال تلك الشجر قيام وعود» ^(١) «أتشعر أيها العبد المغفور له لمن هذا الشعر» ^(٢)	٤٠	- اسم مفعول : - من الفعل الثلاثي
«إنها لتفضل على تلك فضل الدرّة المختزنة على الحصاة الملقاة» ^(٣) «خفف الله عنك أيها الشاب المغتصب» ^(٤)	٣٢	- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف
«لأن ابليس اللعين نفته في إقليم العرب» ^(٥) «فكيف يطمع له بالحظ المشيد» ^(٦) «دون من نسيب إلى القرآن البجيل» ^(٧)	٣	اسم مفعول (سماعي) على وزن فعيل النائية على صيغة اسم المفعول من الثلاثي ومما زاد على الثلاثة
«والرواية الأولى إنشاد النحويين» ^(٨) ملاحظة : (أ) استعمل أبو العلاء ٨ مرات العدد اثنين على وزن اسم الفاعل :	١٩	عدد

(١) الرسالة، ص ١٤١.

(٢) الرسالة، ص ١٧٦، انظر، الشواهد الأخرى، في الصفحات ١٣٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٧٦، ١٨٥، ٢٢١،

٢٢٣، ٢٢٨، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٩٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤٦، ٤٤٨،

٤٥٠، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٩٦، ٥٣٤، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٧.

(٣) الرسالة، ص ٢٢١.

(٤) الرسالة، ص ٣٥٥، انظر، الشواهد الأخرى، في الصفحات: ١٦٥، ١٦٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٩،

٢٥٧، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٣٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٨٧، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٧، ٤٩١، ٥٤٧، ٥٥٥، ٥٧٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٥٢.

(٦) الرسالة، ص ٤١١.

(٧) الرسالة، ص ٥٦٦.

(٨) الرسالة، ص ١٤٣، انظر، الأمثلة الباقية في الصفحات: ٢١٣، ٢٣٨، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٦٣، ٣٤٢.

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>- أربع مرات للمؤنث.</p> <p>«وقد كان بعضُ علماءِ الدَّولةِ الثانيةِ»^(١)</p> <p>- أربع مرات للمذكر.</p> <p>«ما كان يَقُولُ في البيتِ الثاني»^(٢)</p> <p>(ب) كرر النعت بلفظة «الأول»^(٣)</p> <p>٥ مرات «هَلُمَّ خفيف الثَّقيلِ الأول»^(٤).</p> <p>أكثر ما يجيء من الأسماء الموصولة نعتاً للمفرد هي «الذي» و«التي».</p> <p>* الذي ٤٤ مرة.</p> <p>«وقد عليم الجبرُّ الذي نُسِبَ إليه جبرئيل»^(٥)</p> <p>* التي ٤٤ مرة.</p> <p>«ولم تكن في النسخة التي في دار العلم»^(٦) ومن الأسماء الموصولة، كذلك، ما يلي:</p>	١٠٣	اسم الموصول :

(١) الرسالة، ص ٣٢٠، انظر، أمثلة أخرى، في الصفحات ٣٣٢، ٥٤٨، ٢١٤.

(٢) الرسالة، ص ١٥٥، انظر أمثلة أخرى، في الصفحات ١٨٠، ٢١٣، ٢١٤.

(٣) الرسالة، ص ٢١٣، انظر أمثلة أخرى، في الصفحات ٢١٧، ٢٤٤، ٣٦١، ٤٢٥.

(٤) الرسالة، ص ٢١٣ انظر أمثلة أخرى، في الصفحات ٢١٧، ٢٤٤، ٣١١، ٤٢٥.

(٥) الرسالة، ص ١٢٩، انظر، أمثلة أخرى، في الصفحات ١٣٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ٢٢٢، ٢٢٣،

٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٩٣، ٤٠٣،

٤١٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٧، ٥٤٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٨،

٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٨.

(٦) الرسالة، ص ١٤٧، انظر أمثلة أخرى، في الصفحات: ١٣٠، ١٣٩، ١٦٢، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٥،

٢٢٢، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٧٠،

٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٩٤، ٥٤٠، ٥٥٢، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٨٣.

شواهد	العدد	نوع النعت
<p>* اللذان، ٨ مرات :</p> <p>« .. حضره الأَسْوَدَانِ اللذان هُمَا الهنمُ والماء والحرَّةُ الغابرة والظلماء»^(١)</p> <p>* اللتان، مرة واحدة :</p> <p>« ولو أنَّ القصائدَ لها علمٌ [. . .] لأقامتُ عليه (الممدودتان) اللتان في أولِ ديوانه مأتمًّا»^(٢).</p> <p>* الذين، ٧ مرات :</p> <p>« نحنُ الرواةُ الذين شئتُ إحصارَهم آنفا»^(٣)</p>		
		صيغ المبالغة على وزن :
	٣	- فَعَالٌ
<p>« تَبَارَكَ العَزِيزُ الوَهَّابُ»^(٤)</p> <p>« زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا الغَرَّارَةَ»^(٥)</p> <p>ويلاحظ أن أبا العلاء استعمل ٣ مرات صيغة فعالة نعتاً «للدنيا» بنفس اللفظة «الغرارة»</p>	٣	- فَعَالَةٌ (مؤنث)
<p>« يَتْرُكُنِي كَالطَّرِيدَةِ العَدُوبِ»^(٦).</p> <p>« وهو أشهرُ من الأبلقِ العَقُوقِ»^(٧).</p>	٢	- فَعُولٌ

(١) الرسالة، ص ١٣٨، انظر، الأمثلة الباقية في الصفحات : ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ٤٢٤، ٤٨٢، ٥٢٤، ٥٣٧، ٤٨٤.

(٢) الرسالة، ص ٤٨٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٠٦، انظر، الأمثلة الأخرى في الصفحات : ٢٠٩، ٢٩١، ٤٠٧، ٥٣١، ٥٦٢، ٥٧١.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٥، ٤٨١.

(٥) الرسالة، ص ٢٨٧، انظر الأمثلة الأخرى في الصفحات : ٣٥٨، ٥٢٩.

(٦) الرسالة، ص ٣٩٢.

(٧) الرسالة، ص ٥٣٠.

الشواهد	العدد	نوع النعت
«وَأَنَا أَعْتَلُّ كَيْمَى الْقَيْ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» ^(١) .	١٠	اسم تفضيل على وزن : - أفعل (مفرد مذكر)
«فَسَأَلَ عَنْ عَمَلِي فَوَجِدَ فِي الدِّيْوَانِ الْأَعْظَمِ» ^(٢) .	٢	- فُعْلَى (مفرد مؤنث)
«وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ الشَّفَةَ الْعُلْيَا بِيَدِهِ» ^(٣) . يلاحظ أن الصفة المشبهة في جل الأمثلة جاءت نعتاً «للكتاب»، وقد تكررت لفظة «العزیز» في ثلاثة أمثلة :	٢١	صفة مشبهة على وزن : - فاعيل
«وَأَنَّ الْبِشْرَ لَكَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» ^(٤) .		
وفي ٤ أمثلة وقعت الصفة المشبهة نعتاً لله : «وَكُنْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» ^(٥) .		
«وَهُوَ فِي هَذَا أَحَدُ الْكُفْرَةِ لَا يُحْسَبُ مِنَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ» ^(٦) .	٢	- فاعِل (صيغة الجمع)
«وَمَا بِنِي عَلَى الْحُرُوفِ الدُّلِّلِ» ^(٧) .	١	- فَعُول (صيغة الجمع)

(١) الرسالة، ص ١٧٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٠، انظر الشواهد الأخرى، في الصفحات: ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٢، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٣١.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٢، انظر كذلك ٣١٧.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٥، انظر الأمثلة الباقية، في الصفحات ٣٥٨، ٥٢٩.

(٥) الرسالة، ص ١٨٣.

(٦) الرسالة، ص .

(٧) الرسالة، ص ٤٨١.

الشواهد	العدد	نوع النعت
«وكالأرض السبخة ما تحفل...» ^(١) .	٣	- فَعْل
«لقد ضيقَ الله على مَرَأَشَفَ الحُورِ الحِسانِ» ^(٢) .	١	- فَعْل (في صيغة الجمع)
«وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنئة بقوله» ^(٣) .	١	- فِعْل
«هذه» وردت مرتان : «أفتظنُّ أن «الرباب» هذه هي التي ذكرها القائل»؟ ^(٤) .	٤	اسم إشارة
«هذا» مرتان : «قد جاء رَجُلٌ لغوى يعنى أبا الطيب هذا» ^(٥) .		
«فإنه المينُ الحَبْرِيْتُ» ^(٦) . ويلاحظ أن نفس الكلمة جاءت مرة نعتاً للمعرفة ومرة نعتاً للنكرة.	١	صفة على وزن فعلليل
«فَرُويَ : يَهْدِي بالبدالِ غير المُعْجَمَةِ» ^(٧) . «ولم تكن العربُ في الجاهلية تُقَدِّمُ على هذه العظائم والأُمور غير النِظائِمِ» ^(٨) .	٢	لفظ جامد مؤول بالمشتق : غير

(١) الرسالة، ص ٣٩١، انظر الباقي في ص ٤٠٧، ٥٦٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٢.

(٣) الرسالة، ص ١٤٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٢٧ انظر مثلاً آخر، في ص ٣٢١.

(٥) الرسالة، ص ٥٥١، انظر مثلاً آخر في ص ٥٦٨.

(٦) الرسالة، ص ٤٥٣.

(٧) الرسالة، ص ٣٢٩.

(٨) الرسالة، ص ٤٤٠.

الشواهد	العدد	نوع النعت
ملاحظة: نعلم أن «غير» نكرة وتظل كذلك وإن أضيفت إلى معرفة لشدة إبهامها، وإنما جاز لأبي العلاء أن يجعلها وصفاً للمعرفة في هذين المثالين، لأن «أل» التي في المنعوتين «الذال» و«الأمور» أل «الجنسية»، ونعلم أن المعرف الجنسي قريب من النكرة، من ثم جاز له أن يصف «بغير» هاتين الكلمتين.		
«الأسود بن يعفر ذا المقال المطرب» ^(١) «ثم تداركهم المقتدر ذو الجلال» ^(٢) .	٤	«ذو» المضافة بمعنى صاحب وفروعها: ذو
«وأصبرُ على إدلاجِ المظلمة ذات الأريز» ^(٣) .	٧	ذات
«والنَّسْوَةُ ذَوَاتُ التَّيْجَانِ يُصْرَنَ بِالسِّنَةِ مِنْ الْوَقُودِ» ^(٤) .	٢	ذوات
«وعاطوهُ الأكوُسَ آلاتِ التصاويرِ» ^(٥) .	١	آلات

٢ - أحوال النعت المفرد مع النكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف.

يبلغ عدد أمثلة هذا النوع ٧٣ مثلاً: وقد تنوعت صيغ النعت فيها تنوعاً كبيراً كما يظهر من الجدول التالي:

(١) الرسالة، ص ١٣٣.

(٢) الرسالة، ص ٥١٠، انظر مثالين آخرين في ص ١٩٥، ٥٦٦.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٦، انظر الباقى في ص ١٥٢، ٣٩٣، ٥٠٣، ٥٥٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٤٧، انظر مثلاً آخر، ١٥٠.

(٥) الرسالة، ص ٣٩٩.

الشواهد	العدد	نوع النعت
«وَعَرِقْتُ فِي أَمْوَاجٍ بَدَعَهَا الزَّاخِرَةُ» ^(١) . «فَيَقُولُ، وَهُوَ يَسْمَعُ خِطَابَهَا الرَّائِقُ» ^(٢) . «قَدْ نَصَبَ لِسُطُورِهَا الْمُنْجِيَةَ مِنَ اللَّهَبِ مَعَارِيَجَ» ^(٣) . «الَّذِي خَزَنَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ» ^(٤) . «أَنْ أَصْنَافِ الْأَشْرَبَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الدَّارِ الْفَانِيَةِ...» ^(٥) . «... فَلَا تُعْتَبَرُوا هَذَا الشَّيْخَ فَإِنَّهُ يَمُتُ بِكِتَابِهِ فِي (الْقُرْآنِ) الْمَعْرُوفِ بِ(كِتَابِ الْحِجَّةِ)» ^(٦) . «... وَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ حَقِيقِيُّ التَّذْكِيرِ وَلَا تَأْنِيثُهُ الْمَعْتَمَدُ بِنَكِيرٍ» ^(٧) . «... فَيَنْصَرِفُ إِلَى قَصْرِهِ الْمَشِيدِ» ^(٨) . «فَقُلْتُ لِنَفْسِي الْكَذُوبِ» ^(٩) .	٨ ٥ ٣ ٧ ٢	اسم الفاعل : - من الفعل الثلاثي - من الفعل الزائد على ثلاث أحرف اسم المفعول : - من الفعل الثلاثي - من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف صيغ المبالغة على وزن : فَعُول

(١) الرسالة، ص ١٤٠.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٢، انظر الأمثلة الباقية في الصفحات ١٤٠، ١٦٨، ١٧٩، ٤٣٧، ٣٩٠، ٥٥٤، ٥٨١.

(٣) الرسالة، ص ١٤٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٠٤، انظر مثالين آخرين في ص ٤٦١، ٥٠٦.

(٥) الرسالة، ص ١٥٠.

(٦) الرسالة، ص ٢٥٥، انظر مثالا آخر في ص ٢٢٢.

(٧) الرسالة، ص ١٣٣.

(٨) الرسالة، ص ٣٥١، انظر أمثلة أخرى في ص ٢٢١، ٣٥٣، ٤٠٠، ٥٢١.

(٩) الرسالة، ص ٢٥٣، انظر مثالا آخر في ص ٤٤٧.

نوع النعت	العدد	الشواهد
	٣	«فقد جَدَّدَ عَهْدَهُ الْأَوَّلَ بِـ» «قَوَيْقُ» ^(١) . «وَأَمَّا حِجْبُجُهُ الْخُمْسُ...» ^(٢) .
ذو بمعنى صاحب	١	«عَدَّ أَنْ تَحَطَّمَ الْغَضَارَةَ فَنَاءُ عَيْشِهِ، ذِي الْغَضَارَةِ» ^(٣) .
الاسم الجامد الدال على نسب قصداً	١	«خير من بنتِ الكرمَةِ الْعَاجِلِيَّةِ» ^(٤) . «وَيَسْتَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ بِقَصِيدَتِهِ الْجَيْمِيَّةِ» ^(٥) .
صفة مشبهة على وزن : - فَعِيل	٦	«لَقَدْ سُغِلْتُ عَنْ زُبَيْدٍ وَطَرِدَ النَّافِرَةَ مِنَ الرَّبِيدِ بِمَا وَهَبَ رَبِّي الْكَرِيمُ» ^(٦) . «وَعَلَى حَضْرَتِهِ الْجَلِيلَةِ سَلَامٌ» ^(٧) .
- فِعْل	١	«لَعُدَّ فِي ثَرَابِهَا اللَّذْفِيرُ كَصَيْقِ الْمَقْتُولِ» ^(٨) .
اسم الموصول	٣٢	يستخدم أبو العلاء من أسماء الموصول ما يلي : الذي : ثمان مرات مثل : «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ سُلْطَانَهُ الْأَبْجَرِمَنِي فِي الْجَنَّةِ تَلَذُّذًا بِأَدْبِي الَّذِي كُنْتُ أَتَلَذُّذُ بِهِ فِي عَاجِلَتِي» ^(٩)

(١) الرسالة، ص ٤٠٥، انظر مثلاً آخر في ص ٣٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٥٣٤، انظر مثلاً آخر في ص ٣٩٣.

(٣) الرسالة، ص ٥٠٦. (٥) الرسالة، ص ٤٠٧.

(٤) الرسالة، ص ١٤٥. (٦) الرسالة، ص ٢٦٧ الريد : النعام.

(٧) الرسالة، ص ٥٨٤ انظر كذلك ص ٣٠٥، ٣٣٠، ٤٤٧، ٤٩٩.

(٨) الرسالة، ص ٢٢٢ ذفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت، طيبة كانت أو خبيثة، فهو ذفر. الصيق الريح المنتنة من

الدواب.

(٩) الرسالة، ص ٢٠١، انظر الباقي في ص ٢٠٤، ١٦٨، ٥١٩، ٥٤٦، ٥٦٩.

الشواهد	العدد	نوع النعت
<p>التي : ٢١ مرة، مثل : «فشاهدت بعض الوراقين يسأل عن قافية «عدى بن زيد» التي أولها»^(١). «فإنه في قصيدتك التي أولها»^(٢). يلاحظ أن الأمثلة متشابهة التركيب والبنية إذ جاء اسم الموصول «التي» وصفاً «لبيت» أو «قصيدة» منسوبة إلى ضمير المخاطب يعود على الشاعر الذي يحاوره ابن القارح. الذين : مرتان، مثل : «فإذا أتت الأطمعة، افترق غلمانها الذين كأنهم اللؤلؤ المكنون»^(٣). «لو أنه أخذ لصوص العرب الذين رويت لهم الأمثال السائرة»^(٤). اللوات، مرة واحدة : «أنت من حور الجنان اللوات خلقك الله جزاء للمتمقين»^(٥). «ويمضي في نزهته تلك شبابين يتحدثان»^(٦).</p>	١	اسم الإشارة

(١) الرسالة، ص ١٤٦.

(٢) الرسالة، ص ٣٣٩، انظر الشواهد الباقية في ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٥٣، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٣، ٥١٥، ٥٦٩.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٤) الرسالة، ص ٤٠٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٨٦.

(٦) الرسالة، ص ٢٠١.

تلك هي أحوال النعت المفرد وصيغته مع المنعوت النكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف. ويمكن أن نسجل هنا أن أغلب النعوت المفردة في هذه المجموعة جاء اسماً موصولاً إذ يحظى بنسبة ٧٢ تقريباً (٣٦٧٣) وأن أقلها استعمالاً هو اسم الإشارة ٧٣. فلم يرد إلا مرة واحدة.

لم يكتف أبو العلاء، بالنعت المفرد الواحد للمنعوت، بل نجده، أحياناً، يخصص المنعوت بـ:

- ١ - نعتين مفردتين : (مفرد + مفرد).
 - ٢ - ثلاثة نعوت مفردة : (مفرد + مفرد + مفرد).
 - ٣ - نعتين أحدهما مفرد والآخر جملة، أو شبه جملة.
- وقد يتقدم المفرد على الجملة أو شبه الجملة، وقد يتأخر عنها.

فأشكال النعوت التي تقدم فيها المفرد هي :

(أ) مفرد + جملة فعلية.

(ب) مفرد + جملة اسمية.

(ج) مفرد + شبه جملة.

وصور الجمل التي تأخر فيها النعت المفرد على النعت جملة أو شبهها هي ما يلي :

(أ) جملة فعلية + مفرد.

(ب) جملة اسمية + مفرد.

(ج) شبه جملة + مفرد.

٤ - ثلاثة نعوت : وقد جاءت كالتالي :

(أ) النعت الأول والثاني مفردان، والثالث جملة فعلية :

مفرد + مفرد + جملة فعلية.

(ب) الأول مفرد، والأخران شبهها جملة :
مفرد + شبه جملة + شبه جملة .

(ج) الأول شبه جملة، والثاني مفرد، والثالث جملة فعلية :
شبه جملة + مفرد + جملة فعلية .

(د) الأول شبه جملة، والثاني مفرد، والثالث جملة اسمية :
شبه جملة + مفرد + جملة اسمية .

٥ - أربعة نعوت مرتبة كالتالى :

(أ) الثانى مفرد، والباقى أشباه جمل :
شبه جملة + مفرد + شبه جملة + شبه جملة .

(ب) الأول شبه جملة والثانى جملة فعلية، والثالث مفرد والرابع جملة فعلية .
شبه جملة + جملة فعلية + مفرد + جملة فعلية .

وسنعمل، الآن، على دراسة أحوال وصيغ النعوت المفردة فى هذه الأنواع بعد أن تحدثنا عن أحوال الجمل الواقعة نعتاً مع النعت المفرد للمنعوت الواحد .

١ - مفرد + مفرد . عدد شواهد النعتين المفردين للمنعوت الواحد ١٤ وقد جاءت صيغ كل من المنعوت والنعتين، كما يلى :

الشواهد	العدد	نوع النعتين	المنعوت
«أُنشِدْنَا كَلِمَتِكَ الَّتِي عَلَى الشَّيْنِ الَّتِي تَقُولُ فِيهَا» ^(١) «وَعَلَىٰ لَهُ سَابِقَةٌ وَمَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ رَائِقَةٌ» ^(٢)	١	اسمًا موصول	نكرة
«وَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ لِأَشْرِبَةٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ الْخَمْرِ» ^(٣) «وَكُلُّ هَيْبَرِيٍّ مِنْ هَذِهِ الصَّفْرِ الْمُبَارَكَةِ» ^(٤)	١	صفة مشبهة على وزن فَعِيلٌ + اسم فاعل من الثلاثي (مؤنث).	نكرة
«وقد ظهر في الضيعة المعروفة بالنيرب المقاربة لـ «سرمين» رَجُلٌ» ^(٥) «.. كما قال «عدى بن زيد» في الأبيات الصادية التي مضت» ^(٦) «.. أحق ماروى عنك «سيبويه» في قصيدتك اللامية التي تمدح بها عبد الملك بن مروان» ^(٧)	١	صفة مشبهة على وزن أَفْعَلٌ (جمع) + اسم مفعول مما زاد على ثلاثة أحرف.	معرفة
	٣	اسم جامد دال على نسب قصدًا + اسم موصول.	معرفة

(٥) الرسالة، ص ٤٩٦.

(٦) الرسالة، ص ٥٥٢.

(٧) الرسالة، ص ٢٦٢، انظر مثالا آخر في ص ٣٥٦.

(١) الرسالة، ص ٢٠٨.

(٢) الرسالة، ص ٤٩٤.

(٣) الرسالة، ص ٣١٠.

(٤) الرسالة، ص ٥٦٨.

الشواهد	العدد	نوع النعتين	المنعوت
« فَعَزَّ إلهُنَا القَدِيمُ الذي لا يُعْجِزُهُ تصوِيرُ الأمانِي وتكوِينُ الهواجِسِ في الظُنُونِ » ^(١)	١	صفة مشبهة على وزن فَعِيل + اسم موصول.	نكرة مضافة إلى معرفة
« وآله الطيبين الطاهرين وسلم » ^(٢)	١	صفتان مشبهتان على وزن فَعِيل (جمع) + فاعل (جمع).	
« وعلى عِترته الأَخيارِ الطيبين » ^(٣)	١	فَعَل + فَعِيل (كلاهما جمعا).	
« صيرها ربي اللطيف الحفيظ » ^(٤)	٢	فَعِيل + فَعِيل	

هناك مثال آخر به نعتان مفردان، أيضًا، لكنه يتميز عن الأمثلة السابقة بكون النعت الأول قد عطف عليه مفرد آخر، قبل ورود النعت الثاني كما يلي:

(١) الرسالة، ص ٢٧٦.

(٢) الرسالة، ص ٥٨٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٥٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٥٧.

الشاهد	العدد	نوع النعتين	المنعوت
«فيرويه لهم عن أشياخ العرب حَرْشَةَ الضَّبَابِ فِي الْبِلَادِ الْكَلْدَاتِ وَجَنَاتِ الْكَمَاةِ فِي مَغَانِ الْبُدَاةِ الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا شِيرَارَ الْأَلْبَانِ وَلَمْ يَجْعَلُوا الثَّمَرَ فِي الثَّبَانِ» ^(١)	١	اسم فاعل (جمع) + (مفرد، اسم فاعل معطوف على النعت الأول) + اسم موصول.	نكرة مضافة إلى معرفة

يلاحظ أن أغلب النعوت المفردة في هذا النوع جاءت صفة مشبهة ١٣/٢٨ . وأكثرها جاء مع المنعوت النكرة المضافة إلى معرفة ٧/١٣ . وفيما يلي ننتقل إلى دراسة شواهد النعوت الثلاثة المفردة للمنعوت الواحد .
٢ - مفرد + مفرد + مفرد .

لم ترد في الرسالة ثلاثة نعوت مفردة للمنعوت الواحد، إلا مرة فقط على الصورة التالية :

الشاهد	العدد	نوع النعوت	المنعوت
«أَوْ نَشْرُ مَدَامِ خَوَّارَةٍ، سَيَّارَةٍ فِي الْقَلْلِ، سَوَّارَةٍ» ^(٢)	١	ثلاث صيغ مبالغة على وزن فَعَّالٍ	نكرة

(١) الرسالة، ص ١٧٧ .

(٢) الرسالة، ص ١٦٨ . سارت الخمر في الرأس : دارت وارتفعت فيه .

٣ - ننتقل الآن إلى الحديث عن النعتين للمنعوت الواحد، أحدهما مفرد والآخر جملة أو شبه جملة. كما قلنا سابقا، قد يتقدم في هذه الأمثلة النعت المفرد وقد يتأخر، ويبلغ عدد أمثلة كلا الصنفين ٣٤ مثالا.

(أ) أحوال النعتين أولهما مفرد والثاني جملة فعلية :
مفرد + جملة فعلية.

له ١٨ مثلا في رسالة الغفران، ومن الواضح أن المنعوت في هذه الأمثلة يأتي نكرة، لأن الجمل لا تقع وصفاً إلا للنكرات :

الشواهد	العدد	النعت المفرد
« لو شفعت لأحد أبيات صادقة ليس فيها ذَكَرُ اللهُ سُبْحَانَهُ لَشَفَعْتَ لَكَ أَبِياتَكَ » ^(١)	١	اسم فاعل : - من الفعل الثلاثي
« وَإِنَّمَا أَفَرِقُ مِنْ وَقُوعِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي يَدِ غُلَامٍ مَتَرَعْرَعٍ لَيْسَ إِلَى الفِهْمِ بِمَتَسَرِّعٍ » ^(٢)	٣	- مما زاد على ثلاثة
« أَنْ تَغْرِيدَهُ فِي السَّحَرِ أَشْعَارُ موزونة تَأْذُنُ لنظيرها المحزونة » ^(٣)	٢	اسم مفعول : - من الفعل الثلاثي
« ولم أتركُ وزناً مقيداً ولا مُطلقاً يجوزُ أن يوسمَ بـ «رُفْرُ» إلا وسمتهُ به » ^(٤)	١	- مما زاد على ثلاثة
« وما يؤمنني إذا ركبت طرُفا زِعْلاً رتَع في رياض الجنة فأض من الأشهر مُستسجِلاً » ^(٥)	٢	صفة مشبهة على وزن : - فَعِيل
« وهذا قولٌ يَنْتَقِضُ لأن في هذه (الطائفة)	٢	- فَعِيل

(١) رسالة الغفران، ص ٣٢٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٨٢ انظر، المثالين الآخرين، في ص ١٩٨، ٤٢٩.

(٣) رسالة الغفران، ص ٣٩٠، المثال الآخر في ص ٥٦٠.

(٤) رسالة الغفران، ص ٢٥١.

(٥) رسالة الغفران، ص ١٩٥ انظر المثال الآخر في ص ٢٤٠.

الشواهد	العدد	النعته المفرد
أبياتاً كثيرة لا تخلو من زحاف ^(١) «ولو سُئِلَ أُمَّةٌ عَوْرَاءَ، يُعَوِّضُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ بِحَوْرَاءَ، لَمَا فَعَلَ» ^(٢) «وانصرفتُ بِأَمَلِي إِلَى خَازِنٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ رُفْرُ» ^(٣)	٢ ٣	(مؤنثة) - فَعْلَاءَ (مؤنث أفعال) اسم تفضيل: لفظ آخر
«فإذا هم بأبياتٍ ثلاثية، ليس في الجنة نظيرها بهاءً وحسنًا» ^(٤)	٢	

(ب) النعتان أولهما مفرد، والثاني جملة اسمية:

مفرد + جملة اسمية.

وردت له ٤ شواهد.

الشواهد	العدد	النعته المفرد
«ومحضرُ المجالسِ أناسٌ طاعُونَ كَأَنَّهُمْ لِلرَّشْدِ باغُونَ» ^(٥)	١	اسم فاعل من الثلاثي
«وعندهُ شجرةٌ قمِيئةٌ ثمرُها ليس بِرَاكٍ» ^(٦)	٢	صفة مشبهة على وزن فَعِيل (مؤنث)

(١) رسالة الغفران، ص ٣٦٩ انظر المثال الآخر في ص ٤٧٦.

(٢) رسالة الغفران، ص ٥٢٨، انظر المثال الآخر في ص ٣٧٣.

(٣) رسالة الغفران، ص ٢٥١، انظر الأمثلة الأخرى في ص ٢٥٥.

(٤) رسالة الغفران، ص ٢٦٧، انظر مثلاً آخر في ص ٤٨٣.

(٥) رسالة الغفران، ص ٤٦٥.

(٦) رسالة الغفران، ص ٣٠٧، انظر مثلاً آخر في ص ١٤٠.

الشواهد	العدد	النعته المفرد
«وَيَعِيمِدُ لِعَلِجٍ وَحَشِيٌّ مَا التَّلْفُ عِنْدَهُ بِمَحَشِيٍّ ^(١) »	١	اسم جامد دال على نسب قصداً

(ج) النعتان أولهما مفرد والثاني شبه جملة :
مفرد + شبه جملة
جاءت لهذا النوع ٤ أمثلة :

الشواهد	العدد	النعته المفرد
«فَتَحَضَّرُ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ» ^(٢)	١	صفة مشبهة على وزن :
«إِنَّ رُوحِي قَدْ نُقِلْتُ إِلَى جَمَلٍ أَعْوَرَ فِي قَطَارِ فُلَانٍ» ^(٣)	١	- فَعِيل - أَفْعَل
«وَحُكَيٌّ لِي عَنْ رَجُلٍ آخَرَ مَنْ يَقُولُ بِالتَّنَابِيخِ أَنَّهُ قَالَ» ^(٤)	١	اسم تفضيل : لفظ آخر

وفيما يلي الأمثلة التي تأخر فيها النعت المفرد عن الجملة أو شبه الجملة :

(أ) نعتان أولهما جملة فعلية والثاني مفرد :
جملة فعلية + مفرد

له مثال واحد فقط :

(١) رسالة الغفران، ص ١٩٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٧٢.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.

(٤) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.

الشاهد	العدد	النعته المفرد
«ولا لفظٌ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٌ» ^(١)	١	صفة مشبهة على وزن فَعْل

(ب) نعتان أولهما جملة اسمية والثاني مفرد:

جملة اسمية + مفرد

وله مثال واحد فقط:

الشاهد	العدد	النعته المفرد
«فتلعبُ فيها أسماكٌ هي على صور السمك بحرّية ونهرية وما يسكنُ منه في العيون النُّبَعِيَّةُ» ^(٢)	١	اسم جامد دال على نسب قصداً

(ج) نعتان أولهما شبه جملة والثاني مفرد:

شبه جملة + مفرد

وله ٦ أمثلة:

(١) رسالة الغفران، ص ٣٧٥.

(٢) رسالة الغفران، ص ١٦٨.

الشواهد	العدد	النعته المفرد
« .. وثوبًا من الدعة ضافياً » ^(١) .	٢	اسم فاعل من الفعل الثلاثي
« ولا يمتنع أن يكون أعداً له شيئاً من المطاعم مسموماً » ^(٢) .	١	اسم مفعول من الفعل الثلاثي صفة مشبهة على وزن :
« وإنما كانت تخبطُ بهم أطفال منّا عارمون » ^(٣)	١	- فاعِل (جمع)
« فإذا هو بامرأة في أقصى الجنة قريبة من المَطَّلِعِ إلى النار » ^(٤) .	١	- فَعِيل (مؤنث)
« وكل قصيدةٍ لِلْعَرَبِ غيرها على هذا القَرَى » ^(٥)	١	لَفْظ شبيهه بالمشق: غير

من التحليل السابق نعلم أن أغلب صيغ النعت المفرد، في شواهد النعت بمفرد وجملة أو شبه جملة للمنعوت الواحد، جاءت صفة مشبهة، إذ يبلغ عددها ١٣٤ .

وفيماء يلي نتطرق للحديث عن شواهد النعوت الثلاثة للمنعوت الواحد.

٤ - قلنا إن أبا العلاء قد يأتي للمنعوت الواحد بثلاثة نعوت تتنوع ما بين مفرد، وجملة، وشبه جملة، مرتبة حسب الأشكال التالية :

(أ) النعتان : الأول والثاني مفردان، والثالث جملة فعلية :

مفرد + مفرد + جملة فعلية

له مثال واحد فقط :

(١) رسالة الغفران، ص ٥٧٤، انظر مثالا آخر في ص ٣٧٧.

(٢) رسالة الغفران، ٤٢٤. (٤) رسالة الغفران، ص ٣٠٨.

(٣) رسالة الغفران، ص ٢٩١. (٥) رسالة الغفران، ص ٣٦٩.

الشاهد	العدد	النعتان المفردان
«فتخرجُ منها جارية حوراء عَيْنَاءُ تَبْرَقُ لِحُسْنِهَا حورِيَّاتُ الْجِنَانِ» ^(١)	١	صفتان مشبهتان على وزن فعلاء

(ب) ثلاثة نعوت، أولها مفرد، والثاني والثالث شبهها جملة:
مفرد + شبه جملة + شبه جملة
له مثال واحد:

الشاهد	العدد	النعته المفرد
«اجتمع من آل أبي طالب نَحْلَقُ كثيرٌ من ذكور وإناتٍ ممن لم يَشْرَبْ خمرًا ولا عَرَفَ قَطَّ منكرًا» ^(٢) .	١	صفة مشبهة على وزن فَعِيل

(ج) ثلاثة نعوت، أولها شبه جملة، وثانيها مفرد، والثالث جملة فعلية:
شبه جملة + مفرد + جملة فعلية
تردد مجيء ذلك في ٤ شواهد:

(١) رسالة الغفران، ص ٢٨٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٥٨.

الشواهد	العدد	النعته المفرد
«وسعدٌ من اللبن متخرّقات لا تُغيّرُ بأنْ تطولَ الأوقاتُ» ^(١) .	٢	اسم فاعل من الفعل الزائد على ثلاثة
«والخوف أزيّرُ من آدم مشققُ الأطراف السافلة تترزُّ به الجاريةُ وهي صغيرة» ^(٢) .	١	اسم مفعول مما زاد على ثلاثة
«ويكونُ الواسطةُ بينَهُ وبينَ الناسِ خادماً له أسودٌ قد سماهُ جبريلُ» ^(٣) .	١	صفة مشبهة على وزن أفعل

(د) ثلاثة نعوت، أولها شبه جملة، والثاني مفرد، والثالث جملة اسمية :
شبه جملة + مفرد + جملة اسمية

له شاهد واحد :

الشاهد	العدد	النعته المفرد
«غُرسَ [...] بذلك الشاءِ شجرٌ في الجنةِ لذيذٌ اجتناء كل شجرةٍ منه تأخذ ما بين المشرقِ إلى المغرب بظل غاط» ^(٤)	١	صفة مشبهة على وزن فَعِيل

ومن الملاحظ في هذه الشواهد :

١ - أن أغلب صيغ النعوت المفردة جاءت صفة مشبهة إذ تبلغ ٥٧٪ من مجموع النعوت المفردة في هذا الصنف.

(١) رسالة الغفران، ص ١٤١، انظر مثلاً آخر في ص ٤٨٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٤٩٦.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٣٩.

(٤) رسالة الغفران، ص ١٤٠.

٢ - أن النعت المفرد قد تأخر عن النعت شبه الجملة في مثالين.

وفيما يلي نسوق شواهد من الرسالة جاءت فيها أربعة نعوت للمنعوت الواحد.
(هـ) أربعة نعوت للمنعوت الواحد، جاء أحد هذه النعوت مفردًا، ورتبته بالنسبة للنعوت الأخرى كما يلي:

(أ) أربعة نعوت ثانيها مفرد، والباقي كله أشباه جمل:

شبه جملة + مفرد + شبه جملة + شبه جملة

له مثال واحد فقط:

الشاهد	العدد	النعت المفرد
«وأبو الطيب اللغوى [...] له كتابٌ في (الاتباع) صغيرٌ على حروف المعجم في أيدي البغداديين» ^(١)	١	صفة مشبهة على وزن: فَعِيل

(ب) أربعة نعوت، أولها شبه جملة والثاني جملة شرطية والثالث مفرد، والرابع جملة فعلية:

شبه جملة + جملة شرطية + مفرد + جملة فعلية

جاء له مثال واحد:

الشاهد	العدد	النعت المفرد
«... سحابةٌ كَأَحْسَنِ ما يَكُونُ من السَّحْبِ مَنْ نَظَرَ إليها شَهِدَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ قط شيئاً أَحْسَنَ مِنها مُحَلَاةٌ بالبرق في وَسْطِها وأَطرافِها، تُمَطَّرُ بماءٍ ووردِ الجنةِ من طَلِّ وطَشٍّ وتَنْشُرُ حصى الكافورِ كأنَّهُ صِغارُ البَرَدِ» ^(٢) .	١	اسم مفعول من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٧٦.

(١) رسالة الغفران، ص ٥٥٠.

الخلاصة :

من دراستنا لأحوال النعت الحقيقي وصيغته نستطيع أن نرسم جدولاً يلخص النتائج الإجمالية لصيغ النعت المفرد، سواء كان منفرداً عن غيره من النعوت، أم كان مع نعت أو نعوت أخرى، وذلك مع كل من المنعوت النكرة والمنعوت المعرفة، والنكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف، وهدفنا من ذلك أن نكشف عن ميل أبي العلاء إلى نوع أو أنواع خاصة من الصيغ التي يجعلها صفات.

التائج العامة	نكرة مضافة إلى ما يكسبها التعريف	المنعوت		النعت
		المعرفة	النكرة	
١٥٤	١٤	١٢٨	١٢	اسم فاعل
٨٢	١٠	٧٧	٥	اسم مفعول
٦٥	١٦	٣١	١٨	صفة مشبهة
١٣	٢	٨	٣	صيغة مبالغة
١٨	٢	١٢	٤	اسم تفضيل
١٤١	٣٤	١٠٥	٢	اسم موصول
٥	١	٤	٠	اسم إشارة
٢٤	٣	١٩	٢	عدد
١٥	١	١٤	٠	ذو المضافة
٤	٠	٢	٢	غير
٢	٠	١	١	فعلليل
٧	٢	٣	٢	اسم جامد

نستنتج من الجدول السابق أن صيغة اسم الفاعل تحظى بأكثر نسبة. فعدد مرات ورودها نعتاً يزيد على ثلث مجموع النعوت المفردة (١٥٤/٥٣٠)، ويليهما في ذلك اسم الموصول (١٤١)، ثم اسم المفعول (٨٢)، فالصفة المشبهة (٦٥).

محاولة تعليل ذلك.

اسم الفاعل :

يمكن أن نعزو كثرة ورود الصفات المفردة في صيغة اسم الفاعل إلى طبيعة مضمون رسالة الغفران التي اقتضت ذلك. فأبو العلاء أكثر ما يصف من الأشياء هو الفاعل منها، يعنى المتلبس بالقيام بالفعل، ثم إنه يصفه في لحظة تلبسه بهذا الفعل العرضي الذي قد يزول بانقضاء فترة الوصف أو بعدها بقليل، أو على الأقل يكون وصفه ذاك غير ثابت بثبوت الذات الصادر عنها.

وقد نجد مصداق قولنا هذا في ما سقناه من شواهد النعت الواقع اسم فاعل، ويكفي أن نلقى نظرة متفحصة على تلك الشواهد لنجد مثلاً :

«إوزة طائرة» و«النحل الغادية» و«النفس الكاذبة» و«الخليل المخلص» و«المقال المطرب» و«الخطاب الرائق» و«أناس طاغون» و«غلام مترعرع».

إن الطيران، والغدو، والكذب، والإخلاص، والطرب، والصدق، والطغيان، والترعرع، كلها صفات تلزم موصوفاتها تلك، لحظات، أو زمناً معيناً، ثم تزول عنها، وليس لها من الدوام والاستمرار، ما يطالب صاحبنا بأن يختار لها من الصيغ ما يفيد ذلك.

وحيث إن جل ما جاء من موصوفات عالم الغفران، يبنى أساساً على الخيال، وأن المقام مقام خلق وابتكار، فإن أبا العلاء اختار لأغلب موصوفاته من الصيغ صيغ اسم الفاعل، إذ كان يعلم مسبقاً أن أوصافه تلك عرضية ليست راسخة، لأن جنته خيالية ونفسها عرضية اختارها لتناسب المشاهد التي ينسقها لروايته.

اسم المفعول :

قد نعلل ظاهرة انتشار صيغ اسم المفعول بالتعليل السابق، مع فرق أن المقام في الوصف بصيغة اسم المفعول يختلف عن الوصف بصيغة اسم الفاعل في كون المنعوت هنا لم يكن هو الفاعل وإنما اكتسب صفة كان تحقيقها خارجاً عن إرادته

أى لم تصدر عنه هو، وهذه الصفات، هى أيضاً عرضية ليست ثابتة مثل :
 «أشعارٌ موزونة»، «وزناً مُطلقاً ولا مقيداً» و«كتاب معروف» و«القصر
 المشيد» و«سحابة محلاة» و«الأشربة المنسوبة إلى...» .
 ولا شك أن هذه الصفات مما يمكن أن يستمر زمناً ثم يزول.

اسم الموصول :

لعل اعتماد أبى العلاء على اسم الموصول فى ١٤١ مثالا، كان طريقاً آخر
 للوصول إلى الوصف بما يدل عليه اسم الفاعل كما فى قوله :
 «ولم تكن فى النسخة التى فى دار العلم» (أى، الموجودة فى دار العلم).
 أو لما يدل عليه اسم المفعول نحوه :
 «قد علم الجبرُ الذى نسب إليه جبرئيل» (أى المنسوب إليه).
 «ولو أن أحدَ لصوص العرب الذين رويت لهم الأمثال السائرة» (أى المروى
 لهم).

ويبدو لنا أن تواتر مجيء اسم الموصول، صفة فى الرسالة، هو من ميزات لغة
 أبى العلاء كأعمى، فكأنه يتخذ اسم الموصول سنداً أولياً يستريح إليه، قبل أن
 يأتى بالصفة التى يريد إثباتها للموصوف، وإلا فله من صيغ اسم الفاعل واسم
 المفعول، والأسماء المنسوبة والمصادر. . مجالاً رَحْباً، خصوصاً وهو الفقيه المتضلع
 فى اللغة.

الصفة المشبهة :

إذا أمعنا النظر فى شواهد النعت المفرد الواقع صفة مشبهة وهى كما نظقت
 الأرقام تحتل الدرجة الرابعة (عدد مرات ورودها ٦٥)، فإننا نسجل أن أبى العلاء
 يستعمل الصفة المشبهة نعتاً :

١ - لله سبحانه، كقوله : الله العزيز، القادر، العظيم، اللطيف، الخبير.

٢ - لمرافق الجنة وحورها :

« شجرة قميئة » و « الحُور الحسان » و « طُرفا زَعلا » و « جارية حوراء عيناء » .
فالمقام في الجنة مقام الأشياء الثابتة القارة، التي جاء بها القرآن ولا شك في قيامها وثبوتها .

٣ - للرسل والصحابة :

« آله الأخيار الطيبين »

٤ - للكائنات الدنيوية التي يعتبر تلبسها بتلك الصفات دائماً ومستمرا لا يزول إلا بزوال الذوات نفسها كما في قوله :

« جمل أعور » و « أمة عوراء » و « طُود أشم » « صلا أرقم » « ركودا صماء » « حية رقشاء » .

فالعور والشمم بالنسبة للجبل، والرقم للصل، والصمم كلها صفات ثابتة غالباً .

ماذا نستخلص؟

من خلال هذا التحليل يبدو، واضحاً أن أبا العلاء في اختيار صيغ نعوته المفردة لم يخرج عما وضعت له تلك الصيغ في الاستعمال العربي الفصيح كما أن ورود صيغ متواترة، أكثر من غيرها شيء اقتضته مضامين الغفران ومشاهد القص والحوار في عالم خاص من نوعه عالم أخروي، وهو بذلك لم يأت بجديد في تلك الاستعمالات. وإن كنا نسجل قدرته على حسن الاختيار وتوفيقه في أن يجعل لكل مقام ما يناسبه من الصيغ.

تلك خلاصة تحليل شواهد النعت المفرد الحقيقي، في رسالة الغفران، ولا يفوتنا في نهاية هذا الفصل أن نثبت ملاحظة تخص النعت السببي وموقف أبي العلاء منه .

النعت السببي في الغفران :

من الإحصاء الدقيق الذي قمنا به للنعوت الواردة في الرسالة ظهر لنا أن النعت

السببي حظى بنسبة ١٪ فقط من مجموع النعوت. إذ لم نعثر إلا على شاهد واحد، في جملة بها أربعة نعوت سببية لمنعوت واحد. يقول أبو العلاء:

«إذ كَانَ كَالشَّجَرَةِ الوَارِفِ ظِلَّهَا فِي الهَوَاجِرِ، وَالبَارِدِ هَوَاؤُهَا فِي نَاجِرِ، وَالطَّيِّبِ ثَمَرُهَا لِلذَّائِقِ، وَالأَرَجِ نَسْمِيهَا لِلنَّاشِقِ»^(١).

إن ندرة مجيء هذا النوع من النعوت في الرسالة، ليست غريبة في الأسلوب العربي، فالنعت السببي عموماً، أقل استعمالاً من النعت الحقيقي. لكن هل يمكن أن نستنتج من ورود هذا المثال فريداً استثقال أبي العلاء لهذا النوع ونفور ذوقه منه، أم أن ذلك وليد الصدفة فحسب؟

ذاك خلاصة ما توصل إليه البحث في دراسة النعت في رسالة الغفران. وحيث إن الجمل العلائقية، تمتد داخلياً بما تضمه من بعض القيود والتراكيب غير المستقلة كالنعت كما رأينا من خلال هذا الفصل، وكذلك ببعض التراكيب المستقلة وعلى رأسها الجمل الدعائية، لذا سيتصدى الفصل التالي لهذا النوع من الجمل في الغفران وتبيان خصائص الاستعمال العلائقي له.

(١) الرسالة، ص ٥٠٠-٥٠١.

الفصل الخامس

الجمل الدعائية

عما يثير انتباه الدارس لرسالة الغفران، أيضاً، ظاهرة انتشار الجمل الدعائية فيها، وقد لفت ذلك نظر بعض الدارسين^(١)، غير أنهم اكتفوا بالإشارة إلى كثرتها وتنوعها.

سبق أن تعرضنا لهذه الجمل، في الفصل المتعلق بدراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

ونظراً لما تستحقه من اهتمامها نحن نعود إليها من جديد لنفصل القول. إن كثرة الجمل الدعائية في رسالة الغفران، تجعلنا نتساءل عن السبب الذي دعا أبا العلاء إلى المبالغة في إيرادها.

فهل كان المعري، وهو يتفنن في اختيار جملة وتدقيقها، يرمى إلى إظهار طواعية اللغة العربية له، وإلى المبالغة في التطاول على ابن القارح، وتحديه؟ قد يكون، فكما لاحظنا، لم يجد أبو العلاء فرصة للتفاخر بثروته اللغوية إلا استغلها. بل كثيراً ما كان يختلق الفرص لذلك.

فلا غرابة، إذن، أن تشيع الجمل الدعائية في رسالة الغفران، وألاً تمر صفحة أو صفحتان دون أن نجد جملة دعائية أو أكثر، خصوصاً في الفصل الأول. ولا غرابة، كذلك، أن يحمل أبو العلاء جملة الدعائية شتى المعاني ومختلف المتمنيات.

هذا ما جعلنا نعير هذه الجمل اهتمامنا، ونحاول دراسة مضامينها وهندسة

(١) من هؤلاء نذكر أجد الطرابلسي في كتابه، «النقد واللغة في رسالة الغفران»، انظر، ص ٣١.

كلماتها، علنا نستخلص من خلال ذلك، بعض ميزات الأسلوب العلائقي في الرسالة.

أولاً : مضامين الجمل الدعائية :

أشرنا سابقاً إلى أن عدد الجمل الدعائية في الغفران، يبلغ ١١٩، وقد تنوعت مضامينها تنوعاً كبيراً، وخاصة في الجمل التي يدعو فيها أبو العلاء لابن القارح، وعددها ٩٥.

يتمنى صاحبنا لمراسله دوام السرور:

« لا زالَ في الغبطة والسرور»^(١).

« عمَّره اللهُ بالسرور»^(٢).

ويدعو له ببلوغ الأمان:

« بلَّغهُ اللهُ الأمانِ»^(٣).

كما يتمنى للآداب أن تأنس، وللعلم أن يثبت، وللمحافل أن تزدهر، كل ذلك بحضور ابن القارح وطول عمره، فيقول:

« آنسَ اللهُ الآدابَ ببقائه»^(٤).

« ثبَّتَ اللهُ أركانَ العلمِ بحياته»^(٥).

« أكملَ اللهُ زينةَ المحافلِ بحضوره»^(٦).

ولعل حب أبي العلاء للآداب وغرامه باللغة، جعلاه يدعو ويكرر أمانيه في الرفع من شأنهما، خلال دعواته لابن القارح. ولسنا ندرى استهزاءً بمراسله، أم تحدياً له، أم هما معاً؟ على أنه قد لا يكون هذا ولا ذاك، وإنما هو مجرد الزخرف في الأسلوب وتنوع العبارات يقول:

(٤) الرسالة، ص ٤٠٧.

(٥) الرسالة، ص ١٣١.

(٦) الرسالة، ص ١٧٩.

(١) الرسالة، ص ٣٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٤٣.

«فَرَعَ اللهُ ذِهْنَهُ لِلآدَابِ»^(١).

«خَلَّدَ اللهُ أَلْفَاظَهُ فِي دِيْوَانِ الْأَدَبِ»^(٢).

ولا ينسى أبو العلاء أن يدعو لصاحبه بالوقاية من كل شر:
«جَنَّبَهُ اللهُ الْمَكَارَةَ»^(٣).

«عُطِيَ شَخْصُهُ أَنْ يُلَحِظَ بِنَوَاطِرِ الْغَيْرِ، وَمَتَّعَ مِنْ مَالِ بَحِيرٍ»^(٤).

كما لا يغفل أن يدعو له بالتوبة والمغفرة. ألم يقر ابن القارح، في رسالته، بما ارتكب من ذنوب؟ ألا تقتضى مشاهد الغفران أن ينال ابن القارح حظه من الغفران فيدعو له المعرى؟

«أَعْظَمَ اللهُ حَظَّهُ فِي الثَّوَابِ»^(٥).

«أَجْزَلَ اللهُ عَطَاءَهُ مِنَ الْغَفْرَانِ»^(٦).

ولم يفت أبا العلاء، وهو الخبير المجرب، أن في الدنيا الغرارة أناس لا يحبون الخير لغيرهم، فيحقدون ويمكرون، فما من أحد إلا وله حسدة، لذلك نراه يدعو على أعداء ابن القارح، في تسع جمل، وينزل بهم وبيل شتمه. يقول:
«أَحَلَّ اللهُ الْهَلَكَةَ بِمُبْغِضِيهِ»^(٧).

«أَرْغَمَ اللهُ حَامِيْدَهُ»^(٨).

تلك نظرةٌ مجملة عن مضامين الجمل الدعائية التي تتعلق بابن القارح. فهل نجد بالرسالة جملاً أخرى غيرها؟

(١) الرسالة، ص ٣١٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٤٦، انظر في نفس المعنى، الجمل الدعائية بالصفحات: ٢٣٦، ٢٨٠، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٩٩.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٣٧ - حير: كثير.

(٥) الرسالة، ص ٢١٧.

(٦) الرسالة، ص ٣٥٩، انظر، في نفس المعنى، جملاً أخرى بالصفحات: ٢٠٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٥٢١.

(٧) الرسالة، ص ٣٤٧.

(٨) الرسالة، ص ٢١٧. انظر الجمل الأخرى بهذا المعنى، في ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٤١، ٣٧٧، ٥٢٣.

لقد شكّا ابن القارح إلى أبي العلاء، نكرانه «حلب»، حين وردّها بعد غيبة جعلته يفقد، بها، المعرفة والجار، فبكاها. وقد صادفت الشكوى عند أبي العلاء هوى بحلب ملك قلبه :

«إنها الأمّ البرة، تُعَقِّدُ بِهَا الْمَسْرَةَ»^(١).

لذا، غالباً ما يدعو لحلب، كلياً ذكرها. والملاحظ هو ترويض أبي العلاء لجملة : «حرسها الله»، بنفس اللفظ والتركيب (٨ مرات)^(٢) ويستعمل مرة واحدة «حماها الله»^(٣).

إن الجملتين معاً جاءتا معطوفتين في رسالة ابن القارح، دعاءً لحلب حيث قال :

«وردت حلبَ حرسها الله وحماها، بعد أن مُنيتُ بربضها بالدرخين»^(٤).

ذاك كان نصيب «حلب» من أدعية أبي العلاء. فهل من نصيب لبعض الأموات من الأنبياء والصحابة والعلماء؟

إن تعلق أبي العلاء بمحمد ﷺ، يبدو واضحاً في رسالة الغفران، رغم ما يرمى به صاحبنا من طعن في النبوة. فقد اعتبر المعري الصلاة على نبي الإسلام من أسباب الفلاح، دنيا وآخرة. يقول على لسان ابن القارح :

«إني كنتُ أخلِصُ الدعاءَ في أعقابِ الصلواتِ»^(٥).

فلعل ذلك ما جعل المعري، كلياً ذكر نبيّاً من الأنبياء، وعلى رأسهم محمد^(٦) وإبراهيم^(٧)، صلى عليه :

(١) الرسالة، ص ٤٠٧.

(٢) انظر ص ٢٥٦، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٨، ٥٨٠.

(٣) انظر، الرسالة، ص ٤٠٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٤١، انظر، كذلك في نفس المعنى، عبارة وردت بصفحة ٢٥٧.

(٦) الرسالة، ص ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩. مثلاً.

(٧) انظر ص ٢٥٦، ٢٥٩.

«صلى الله عليه». وكان يصلى على عليّ بن أبي طالب، ويدعوه بالسلام :
«عليه السلام»^(١).

ويصلى على فاطمة الزهراء: «صلى الله عليها»، و«عليها السلام»^(٢).
إن قصة الحشر التي ساقها أبو العلاء، على لسان ابن القارح، مليئة بمثل تلك الدعوات^(٣). وقد غفلنا عن إحصائها لأننا لم نتبين في ذلك فائدة. كما غفلنا عن إحصاء الجمل الترحيمية التي ذكرها أبو العلاء، بصدده حديثه عن بعض الفقهاء «كالحسن البصرى رحمه الله»^(٤)، وأبي بكر الشبلي^(٥). وهذا النوع من الأدعية يكثر في الفصل الثاني من الغفران، حيث يجيب أبو العلاء على أسئلة مراسله، ويتصدى للحديث عن بعض العلماء.

لم يكن نصيب «إبليس» من تلك الأدعية، مُغْفَلًا إن إبليس «عدو الله وعدو أوليائه»^(٦)، وعدو أبي العلاء. لذا نال حظه وافيًا، فخصه بلعناته ولعنات الخالق كلها لفظه لسانه:

«فیری إبلیس - لعنه الله - وهو یضطرب فی الأغلال...»^(٧)، «فیقول (إبليس) عليه اللعنة؟ ألم تُنْهَوْا عن الشماتِ، يا بَنِي آدَمَ»^(٨).
«عليه التبار»^(٩).

هكذا سعى أبو العلاء إلى تنويع مضامين الجمل الدعائية، تبعًا للمواقف التي يوجد فيها ابن القارح، إذ كان يختار لكل موقف ما يلائمه لفظًا ومعنى. لكن هذا لم يمنع من أن نجد، بالرسالة جملًا متقاربة لفظًا ومعنى وصياغة، مثل قوله:

(١) انظر، ص ٢.

(٢) نفس الصفحة، وص ٢٥٧-٢٥٩.

(٣) انظر، من ص ٢٤٨ إلى ٢٦٢.

(٤) الرسالة، ص ٣٦٧.

(٥) الرسالة، ص ٥٨٢، انظر، أمثلة أخرى في ص ٣٦٧، ٥٢٩، ٥٣٢.

(٦) الرسالة، ص ٣٠٩.

(٧) الرسالة، ص ٣٥٠.

(٨) الرسالة، ص ٣٠٩.

(٩) الرسالة، ص ٤٩٠.

«أنطقه الله بكل فضل»^(١).

«لا فتى ناطقاً بالصواب»^(٢).

«وهو بالقول مُنطق»^(٣).

«لا زال مُنطقاً بالسدد»^(٤).

فالمادة، (ن. ط. ق) توجد في الجمل الأربع الأخيرة، وإن اختلفت صيغها. فقد جاءت:

- في الجملة الأولى: فعلاً ماضياً متعدّياً بالهمزة.

- في الجملة الثانية: اسم فاعل.

- في الجملتين الثالثة والرابعة: اسم مفعول.

ونلاحظ أن حدث النطق يتعلق، في جميع الأحوال، بابن القارح.

ونجد كذلك تكراراً لبعض العبارات، بلفظها وتركيبها، في ثلاث جمل أو أكثر.

(١) الرسالة، ص ٢٤٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٦.

(٤) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر أمثلة أخرى في ص ٢١٧، ٣٥٩.

والجدول التالي يعطينا بعض الأمثلة على ذلك :

عدد المرات	عبارات متكررة في الجمل الدعائية
٣	« بلغه الله . . . » ^(١)
٣	« زاد الله . . . » ^(٢)
٥	« ثبت الله . . . » ^(٣)
٢	« أعلى الله . . . » ^(٤)
٣	« آنس الله . . . » ^(٥)
٤	« أيد الله . . . » ^(٦)
٥	« لازال . . . » ^(٧)
١٥	« أدم الله . . . » ^(٨)
٢	« أدام الله الجمال ببقائه » ^(٩)
٧	« أدام الله تمكينه » ^(١٠)

كان هدفنا، من هذه الوقفة، هو التعرف على طريقة أبي العلاء في اختيار جملة الدعائية. فقمنا بتحليل مضامين تلك الجمل وحاولنا الكشف على مدى ملاءمة كل منها للسياق الذي أتت فيه، وسنتقل، الآن، إلى دراسة تلك الجمل من حيث طريقة تركيبها، وموضع المسند والمسند إليه في كل واحدة منها.

(١) انظر ص ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) انظر ص ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٧١ .

(٣) انظر ص ١٣١ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٣١٧ .

(٤) انظر ص ٢٠٦ ، ٣١٠ .

(٥) انظر ص ٢٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٠٧ .

(٦) انظر ص ١١٧ ، ٢٠٦ ، ٢٦٨ ، ٥٣٠ .

(٧) انظر ص ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٧٥ .

(٨) منها، في ص ١٣٢ ، ١٨٣ ، ٥٠٠ ، ٥٢٩ ، ٥٥٣ ، ٥٧٨ .

(٩) الرسالة، ص ١٦٨ ، ٢٧٥ .

(١٠) الرسالة، ص ١٥٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٣٤٨ .

ثانياً : نظام تركيب الجمل الدعائية :

ذكرنا، في فصل مضى، أن أبا العلاء يستعمل الجمل الفعلية أكثر من الجمل الاسمية، وكانت وسيلتنا في التعرف على ذلك، استقراء جمل الغفران استقراءً مكثراً من تسجيل بعض الملاحظات، وإحصاء بعض النماذج، من بينها الجمل الدعائية. وفي إحصائنا لهذه الأخيرة لم نذكر الأسباب التي دفعتنا لاختيارها، ولم نقف عندها بالقدر الكافي، لذا عقدنا هذا الفصل، وبعد أن تحدثنا في الجزء الأول منه عن مضامين تلك الجمل، سندرس الآن تراكيبيها علناً نستطيع إظهار العلاقة بين المحتوى والقالب، أو بعبارة أخرى، بين مضامين تلك الجمل وهندسة أجزائها.

استخلصنا أن نصيب الجمل الاسمية، في مجموع الجمل الدعائية جد ضئيل، لا يتعدى خمس عشرة جملة أى ٨/١. وقد جاءت على صنفين، منها ما يتكون من مبتدأ وخبر، ومنها ما دخل عليه ناسخ من أخوات كان. فالأولى أربع جمل هي :

« عليك البهّلة »^(١).

« عليه اللعنة »^(٢).

« عليه التُّبار »^(٣).

« وهو بالقول منطّق »^(٤).

إنها من حيث البناء الداخلى، تدخل تحت قسم واحد هو الجمل البسيطة : تتكون من مبتدأ وخبر. والخبر في الجمل الثلاث الأولى شبه جملة (جار ومجرور) متقدم على المبتدأ، وفي الجملة الرابعة، اسم مفعول، محافظ على رتبته بعد المبتدأ.

ومن الصنف الثانى قول أبى العلاء :

(١) الرسالة، ص ٣٤٩.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٠.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٦.

- « ولا انفكَّتْ الفوائدُ واصلةٌ منه إلى الجلساء »^(١).
- « لا برحٍ مِنطيقًا بالحكم »^(٢).
- « لا فتىً خصمه مفحماً »^(٣).
- « لا زالت همته عالية »^(٤).

ويلاحظ أن الاسم وعلى ابن القارح غالباً: «لازال في الغبطة والسرور» على الشكل التالي:

- الناسخ + المسند إليه (ضمير مستتر) + المسند (الخبر جار ومجرور).
- ومما جاء فيه الاسم ظاهراً قوله:
- «لازال خصمُهُ مغلباً» على الشكل التالي:

- الناسخ + المسند إليه + ضمير مضاف إليه (يعود على ابن القارح) + المسند (الخبر).

وغالباً ما يأتي المسند إليه الظاهر مضافاً إلى ضمير متصل للمفرد الغائب، يعود على ابن القارح، كما في المثال أعلاه.

تلك هي أحوال تراكيب الجمل الاسمية الدعائية.

أما الجمل الفعلية، فيفوق عددها بكثير الجمل الاسمية إذ يبلغ ١٠١، كما رأينا، وسنقف عندها لإبداء ملاحظات تتعلق ببنائها التركيبي.

يمكن، على أساس البناء الداخلي، تقسيم الجمل الفعلية الدعائية إلى قسمين: الجمل البسيطة، الجمل المركبة.

(١) رسالة الغفران، ص ٢٨٠.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣١٥.

(٣) رسالة الغفران، ص ٢١٦.

(٤) رسالة الغفران، ص ٢٩٢، انظر الأمثلة الباقية في ص ٢٠٣، ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩٢، ٣٠٤.

١ - الجمل الدعائية البسيطة :

قلنا، إن الجملة البسيطة هي ما تكونت، على الأقل، من تركيب مستقل.

نلاحظ أن جل الجمل الفعلية الدعائية بسيطة.

أيستحسن أبو العلاء الجمل البسيطة لكونها غالباً ما تأتي معترضة، بين الفعل ومفعوله، وبين المبتدأ وخبره... ؟

أم لكونها أبلغ في التعبير من الجمل المركبة؟

أم لاعتبارات أخرى نجهلها؟

وقد جاءت أفعال هذه الجمل كما يلي :

(أ) ماضية متعدية إلى مفعول به واحد، عدا ثلاث جمل جاءت أفعالها متعدية

إلى مفعولين، هي :

« جعلَ اللهُ سَمْعَهُ مستودعاً كُلِّ الصَّالِحَاتِ »^(١).

« أَسْمَعُهُ اللهُ مَحَابَّةً »^(٢)، « أورد اللهُ قلبه المَحَابَّ »^(٣).

(ب) ذكر أبو العلاء لكل الأفعال مفاعيلها، إلا في خمسة أمثلة وهي :

« جمل اللهُ ببقائه »^(٤).

« أصلح اللهُ به وعلى يَدَيْهِ »^(٥).

« آنس اللهُ بحياته »^(٦).

« زاد اللهُ في أنفاسه »^(٧).

(ج) جميع الأفعال مبنية للمعلوم، إلا في ثلاثة أمثلة فإنها مبنية للمجهول،

وهي :

(٥) الرسالة، ص ٢٣١.

(٦) الرسالة، ص ٢٨١.

(٧) الرسالة، ص ١٨٥، ٢٠١.

(١) الرسالة، ص ٣٢٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٠.

(٣) الرسالة، ص ٢١٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٠٤.

« قُضِيَ لَهُ بِالسَّعْدِ الْمُؤْرَبِ »^(١).

« غُطِيَ شَخْصُهُ أَنْ يُلْحَظَ بِنَوَاطِرِ الْغَيْرِ، وَمُتَّعَ مِنْ مَالٍ بِحَيْرٍ »^(٢).

(هـ) وأخيراً إن المسند إليه، في ١٠٠ جملة، جاء «اسم الجلالة» بلفظة الله، إلا في مثال واحد، فقد جاء بلفظ «القادر» وهو قوله:

« أَمْضَى الْقَادِرُ لَهُ اقْتِرَاحُهُ ».

تلك ملاحظات عامة. ومنتقل، الآن، إلى دراسة الجمل البسيطة من حيث موضع المفعول فيها.

نعلم أن للرتبة، في نظام الكلمات داخل التركيب، دوراً هاماً في تعيين وظيفة الكلمة وبابها النحوي، وأن من تلك الرتب ما يتعين حفظه سلامة للمعنى، ومنها ما لا يشترط فيه ذلك. وتقرر قواعد اللغة أن من الرتب غير المحفوظة، رتبة الفاعل والمفعول، إذ يجوز تقديم المفعول به على الفاعل، إلا إذا كان ذلك يوقع في لبس لانتبين معه أحدهما من الآخر.

كقولنا: «كافأت سلمى نجوى»، في هذا المثال، يتعين أن تكون سلمى فاعلاً، لأن رتبة الفاعل أن يلي الفعل.

على أساس موضع المفعول، يمكن تقسيم الجمل الدعائية الفعلية إلى نوعين، الجمل التي حافظ فيها المفعول به على رتبته بعد الفاعل، والجمل التي تقدم فيها المفعول به على الفاعل.

النوع الأول:

يبلغ عدد الجمل التي جاء فيها المفعول به بعد الفاعل ٨٣ جملة، ويخضع نظام كلماتها إلى الترتيب التالي:

(١) الرسالة، ص ٣٦٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.

المسند + المسند إليه + المفعول به .

وذلك مثل قول أبي العلاء :

«أُسْكَتَ اللهُ مُجَادِلَهُ»^(١).

وغالبًا ما يأتي المفعول به مضافًا إلى ضمير المفرد الغائب، على هاته الصورة :

المسند + المسند إليه + المفعول به + مضاف إليه (ضمير).

مثلا :

«أَعْلَى اللهُ دَرَجَتَهُ»^(٢).

وقد يردف أبو العلاء المضاف إلى ضمير بجار ومجرور :

المسند + المسند إليه + المفعول به + مضاف إليه (ضمير) + جار ومجرور.

مثل : «زَادَ اللهُ أَمْرَهُ مِنَ النَّفَازِ»^(٣).

وقد يأتي المضاف إليه اسمًا ظاهرًا، ويردف المجرور بمضاف إليه (ضمير يعود

على غائب).

المسند + المسند إليه + المفعول + المضاف (اسم ظاهر) + جار ومجرور + مضاف

إليه (ضمير).

مثل : «أَكْمَلَ اللهُ زِينَةَ الْمُحَافِلِ بِحُضُورِهِ»^(٤).

وأحيانًا يكون المفعول به مضافًا إلى كلمة مضافة بدورها إلى ضمير الغائب

المفرد :

المسند + المسند إليه + المفعول به + المضاف إليه (اسم ظاهر) + مضاف إليه

(ضمير).

(١) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٢) الرسالة، ص ٣١٠، انظر أمثلة أخرى في ص : ١٥٤، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٧.

٢١٩، ٣٤٨، ٣٧٧، ٥٣٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٧١، انظر الأمثلة الباقية في ص ٢٠٧، ٢١٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٥٩.

٣٦٠.

(٤) الرسالة، ص ١٧٩، انظر أيضًا ١٣١، ١٣٢، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٥٣، ٥٢٩.

مثل : « أرغَمَ اللهُ أنفَ شائته »^(١).

وفي أمثلة أخرى، لا يأتي المفعول به مضافاً، وإنما يتلوه جار ومجرور مضاف إلى ضمير المفرد الغائب :

المسند + المسند إليه + المفعول + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير).
مثل : « أحلَّ اللهُ الهلكةَ بمبغضيه »^(٢).

وقد تمتد بعض هذه الجمل البسيطة بعطف اسم على المفعول به، كما في قوله :
« جعلَ اللهُ الإحسانَ إليه مَرَبُوبًا، ووده في الأفئدةِ مشبُوبًا »^(٣).
« جعلَ اللهُ أمنهُ مُتَّصِلًا، والطالبَ شأوهُ مِنْ تَقْصِيرِ مُتَّصِلًا »^(٤)

وقد يفصل بين الفاعل (المسند إليه) والمفعول به فاصل، غالباً، ما يكون جاراً ومجروراً :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + مفعول به + مضاف إليه، أو جار ومجرور.
مثل : « كتبَ اللهُ له مَثُوبَةَ الْمُتَّقِينَ »^(٥).

والفاصل، دائماً، هو لام الجر الداخلة على ضمير الغائب المفرد، إلا في مثال واحد حيثُ حرف الجر هو « على » وقد دخل على اسم ظاهر مضاف إلى اسم آخر، وهو قول المعري :

« حفظَ اللهُ على أهلِ الأدبِ حَوَائِءَهُ »^(٦).

ومرة جاء الفاصل هو العبارة : « تعالى ».

« ثَبَّتَ اللهُ تعالى الإحسانَ عَلَيْهِ »^(٧).

(١) الرسالة، ص ٢٠٥، انظر كذلك ص ٢٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٤٧، انظر أمثلة أخرى في ص ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ٢٠٦، ٢٣٦، ٢٧٥، ٣٨٢، ٣٥٠.

٤٠٠، ٤٠٧، ٥٠٧.

(٣) الرسالة، ص ٢٢٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٧١.

(٥) الرسالة، ص ٢٠٨، انظر، كذلك، ص ٢١١، ٢٦٨، ٣٩٩، ٥١٤، ٥٧٨.

(٦) الرسالة، ص ٢٠٨.

ونبدي ملاحظة أخيرة، هي أن ضمير المفرد الغائب، يأتي، إما مجروراً، بحرف الجر، وإما مضافاً إليه، ويعود دائماً على ابن القارح بصفته المدعو له.

النوع الثاني :

يبلغ عدد الجمل البسيطة التي تقدم فيها المفعول به على الفاعل ٢٤ جملة، وقد جاء تنظيم كلماتها على الشكل التالي :

المسند + المفعول به (ضمير المفردة الغائبة) + المسند إليه .
مثل قوله : «حرسها الله»^(١).

وهذا النوع من الجمل يشيع، خاصة، في الجمل الدعائية التي تتعلق بحلب، وفي الجمل الترحيمية، وفي التي يدعو فيها أبو العلاء على إبليس، وقد يتلو المسند إليه جار ومجرور :

المسند + المفعول به + المسند إليه + جار ومجرور (اسم ظاهر) .
مثل :

«عَمَّرَهُ اللهُ بالسُّرُورِ»^(٢).

«أَذْكَرَهُ اللهُ بالصَّالِحَاتِ»^(٣).

ومن أفعال جمل هذا الصنف ما يتعدى إلى مفعولين، فيأتي المفعول به الثاني وقد فصل عن الأول بالمسند إليه :

المسند + المفعول به الأول (ضمير متصل) + المسند إليه + المفعول به الثاني .
مثل :

«وَيَبْلَغُهُ اللهُ الْأَمَانِ»^(٤).

تلك هي صور نظام وهندسة الكلمات في الجمل الدعائية البسيطة، وننتقل

(١) الرسالة، ص ٤٩٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر أمثلة أخرى من هذا النوع في ص ٢٤٨، ٣٧٠، ٣٧٧.

(٤) الرسالة، ٢٤٣، وانظر كذلك ص ٢٣٣، ٣٠٧، ٣٤٤.

الآن، إلى دراسة القسم الثاني من الجمل الدعائية في الغفران، وهو الجمل المركبة.

٢ - الجمل الدعائية الفعلية المركبة :

عرفنا، فيما سبق، الجملة المركبة بكونها ما تألفت من تركيبين أو أكثر من التراكيب المستقلة. وقد يتم الربط بين تراكيبها «بأداة» كما قد يتم بدونها.

فأى أنواع الروابط استعمل أبو العلاء في جملة المركبة الدعائية؟

لا تتعدى الجمل المركبة العدد ثلاثة، تتألف كل جملة منها من تركيبين مستقلين تربط بينهما أداة الربط (واو العطف) وهي :

- «كَبَتَ اللهُ عَدُوَّهُ، / و / أَدَامَ رِوَاخَهُ إِلَى الْفَضْلِ وَغُدُوهُ»^(١).

- «غُطِيَ شَخْصُهُ أَنْ يُلْحَظَ بِنَوَاطِرِ الْغَيْرِ، / و / مُتَّعَ مِنْ مَالٍ بِجَيْرٍ»^(٢).

- «عَمَرَ اللهُ خَلْدَهُ بِالْجَذَلِ، / و / أَرَاخَ سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ عَدَلٍ»^(٣).

وهذه الجمل، من حيث نظام كلماتها، لا تختلف في شيء عما رأيناه في الجمل البسيطة.

الخلاصة :

إن الجمل الدعائية في الغفران، لا تخرج عن كونها اسمية أو فعلية. والاسمية، من حيث بناؤها الداخلى، كلها جاءت بسيطة. أما الفعلية فتتقسم إلى جمل بسيطة وأخرى مركبة، غير أن نسبة المركبة جد ضئيلة، على غير عادة أبى العلاء في لغة كل الرسالة، فكما رأينا، تطفئ الجمل المركبة والجمل التركيبية على الجمل البسيطة، الشيء الذى جعل لغة المعرى تتميز بالامتداد الداخلى في جملها، وتعكس النفس التركيبى الطويل لمؤلفها.

(١) الرسالة، ص ١٢٩.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.

(٣) الرسالة، ص ٥٠٨.

أما من حيث مضامين الجمل الدعائية، فقد رأينا كيف أجهد أبو العلاء نفسه لتأق متنوعة، وكم استغل الصيغ المختلفة للفعل الواحد، وللإداة الواحدة، كما استغل تغيير نظام كلمات بعينها، داخل جمل مختلفة، لتعبر عما يدعو به لمراسله (ابن القارح) أو على أعداء مراسله.

وخلاصة القول إن الجمل الدعائية في الغفران، تدل، هي أيضاً، على ما لهذا الرجل الأعمى البصير من باع طويل في اللغة العربية وقوالبها، وما تتوفر عليه من مرونة في استعمال الألفاظ والتراكيب، فاستطاع أن يلائم بين مضمون الجمل وقوالبها، وأن يسوقها منسجمة انسجاماً تاماً مع المشاهد.